كتاب مقامات حريري
عدد ١٣

ايا صوفيه
٤٢٩٢

٢٢٨

٤٢٩٢

قوله الجادع مارن انفه بكفه هذا مثل يضرب لمن جهل هلاك نفسه بيده وقصته انه كان رجل من ملوك العرب يقال له جذيمة الابرش
قتل جذيمة ابا الزباء والزباء امرأة مالكة على قلعتين متقابلتين فارسلت الزباء بعد حين الى جذيمة انى اعفو عنك عن دم ابى على ان تنكحنى وملكى الى
فرغب جذيمة فى ذلك فالتمسته الزباء ان يأتيها جذيمة ويكون عندها فاجابها جذيمة وكان لجذيمة نديم يقال له القصير فقال القصير لجذيمة
لا تخرج اليها فلعلها تغدر فلم يسمع جذيمة قول القصير وقصد الزباء فقال القصير لو رايت جيش الزباء يستقبلونك مجتمعين ففر منهم وكان لجذيمة
فرس يقال له العصا شديد العدو بحيث لا يلحقه فرس فاعطى جذيمة العصا الى القصير فقال احفظها فاذا رايت الجيش يأتونى مجتمعين فات
بالعصا لاركبها وافر فلما دنوا من القلعة راوهم يأتونهم مجتمعين فركض القصير العصا الى جذيمة فلم ينفصل العصا من مكانه وركب القصير
العصا وفر واتى الجيش جذيمة واخذوه فاتوا به الى الزباء فوق القلعة فشدوا يديه واتته الزباء وقالت اتظن ان تقتل ابى وتنكحنى وتدبر
ملكى فقتلته واخذ ملك جذيمة ابن اخته اسمه عمرو بن عدى فاتى القصير عمرو بن عدى فقال عمرو كيف نفعل بدم جذيمة فقال القصير هذا
الامر على فاخذ سكينا واخذ فقطع انف نفسه بكفه واتى قلعة الزباء واستغاث وقال قطع عمرو بن عدى انفى فقال انت ذهبت بجذيمة
الى الزباء فرحمته الزباء وقالت لا تحزن لانك فانا نعززك ونعطيك ما تشاء فكان القصير عند الزباء مرة فقال القصير جهاز الاصفهان البلاد
واشكر الثياب المرتفعة والاشياء العجيبة فجهزته اجمالا مع اجمال فاتى القصير عمرو بن عدى واعطاه الاجمال واخذ منه ثيابا مرتفعة وامتعة
مليحة واتى الزباء ففرحت الزباء بتلك الامتعة ثم جهزته كرة ثانية فاتى القصير عمروا وهيأ ثمانين صندوقا وجعل فى كل صندوق
رجلا مع السلاح وحمل الصناديق على اربعين جملا واتى الزباء وكان مفتاح الصناديق فى يده فقالت الزباء افتح الصناديق لانظر
الى الامتعة فقال هذا اخر النهار والتمس فى اول النهار فاصبرى الى الغد فابت الزباء من اباها فلما دخل الليل ونامت الزباء واهل القلعة
قام القصير وفتح ابواب الصناديق وخرج منها الرجال وحملوا على انفسهم السلاح وضربوا الطبل وقال الملك ملك عمرو بن عدى واغاروا على
اهل القلعة وقتلوهم فلما سمعت الزباء صوت الطبل فرت من القلعة لتدخل السرب الذى جعلته الزباء بين قلعتيها احد
بابى السرب الى هذه القلعة والباب الاخر الى القلعة الاخرى فلما وصلت الزباء الى باب السرب رات عمرو بن عدى على باب
السرب واقفا بيده سيف مسلول ينتظر الزباء وكان يعلم انها تفر الى السرب فلما رات الزباء عمرا امتصت خاتما فى
اصبعها وكان فصه مسموما فلما امتصت الخاتم قالت قتلت نفسى بيدى لا بيد عمرو بن عدى وفى رواية اخرى
اخذها عمرو وجعل يضرب السيف فخرجها حتى ماتت وفى هذه القصة الفاظ مختلفة وتغيرات من الزيادة والنقصان
يطول ذكرها وهذا القدر كاف

مقامات حريرى

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان
الغازى محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع واستكتب وتوسم بسمة الادب اعظم الله ثوابه واعلى حرره الفقير احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

اسقلك نسخ الشرعي
هذا الكتاب الى تكد
محمود بن السيد العبدي
في شهر رمضان المعظم
سنة ست وخمسين وسبعمئة
في ... قويمر

قال ... فلم خص البيان بالتعلم والبيان بالالهام اجيبت لان الالهام اسم من بين
كالبلاغ من بلغ والسلام من سلم ونحو اللسن والفصاحة وذلك بمنزلة الحرفة والتعليم
بالحرفة اولى بقاله علمته الحرفة وخص التبيان بالالهام لان الالهام علة علة البيان
وعلة علة الشي علة لذلك الشي وبين العلة والمعلول اقوى مناسبة اما ان الالهام علة
علم البيان فلان البيان نحو المبالغة في ايضاح ما في ضميرك ولم تبالغ في ايضاح ما في
ضميرك الا اذا استحق المبالغة ولم تقع المبالغة وان استحق الا اذا حدثت انه اغنى
ولن يحدث الا بالالهام فعلم ان الالهام علة علة البيان في اماسات المعدمين
الماهرين وطاهر ... هج

قال صاحب الايضاح البيان هو كشف ... عن
الكلام ... ما تريد من نعيم المعاني وادابها ولم ذلك
... طرا وعال ... فكان الالهام ...
... قالوا الالهام للعلة كالتعلم ...

السادن ما ... مسل
عبد الحيد

٤٢٩٣

اللهم كلمة تستعمل في الدعاء بمعنى يا الله والميم فيها عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجمع بينهما
وانما فتحت من قبل ان الحروف مبنية والاصل في البناء السكون فلما زيدت الميمان
وهما ساكنان حركت الثانيه بالفتح لالتقاء الساكنين واختاروا الفتحة لخفتها
هذا مذهب الخليل وسيبويه وانكر الفراء هذا القول فقال لم نجد الميم زيدت
في الاسماء الا مخففة ولو كانت هنا بدلا من يا لما جمع بينهما من قال
وما عليك ان تقولي كلما صليت او سبحت يا اللهما قال ونرى ان الاصل يا الله ام
ضمت الى اسم الله تعالى على معنى يا الله امنا بخير فلما كثر استعمالها حذفت الهمزة
من بينها فثقل اللهم والاختيار هو الاول

قوله ونحوه بك يعني بنا الكرخي الامور وهو اوساطها فانه انما يلحق الذي على غاية
الفصاحة ضرر من جرى شي على لسانه ويلحق الالكن تعب وافتضاح عند
حصره في الكلام. الشره النشاط والحدة كانه من الشر او من الشرارة
المحرة العيب وهي اما من الحر وهو الجرب او من الحرة وهي الحجة اي
السرجين يقال عره بحره اذا لطخه به ومنه لعن الله تعالى بايع
الحرة ومشتريها والمحرة في القرآن الاثم. التوفيق
جعل الشي وفق الشي آخر والوفق المثل والتوافق التماثل ومعنى توفيق
الله تعالى عباده ان يوفقهم عملا يوافق رضاه تعالى

حصايد الالسنة شبه اللسان وما يقطع به من القول بحد المنجل
وما يقطع به من النبات وفي الحديث وهل يكب الناس على
مناخرهم الا حصايد السنتهم
ولا نرهق بنجدة اي يعزز والبا للسبب اي ولا
تؤخذ على ضيق وعسر بسبب النجدة
فحقق النا منا من التعقيبية بو بلده تحقق والمعنى
ندعوك ونسالك فنستوجب منك التحقيق وهو من
حروف هذه الديباجة

... قال يا رسول الله ما ... نزل للنبي عليه ... اتواخذ ... هل

... الكاس والكيس لم يعرض اجتماعهما ... من الكبس حتى ... الكاسا

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت
من التبيان كما نحمدك على ما اسبغت من العطا واسبلت
من الغطا ونعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر
كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر ونستكفي
بك الافتتان باطرا المادح واغضا المسامح كما نستكفي
بك الانتصاب لازرا القادح وهتك الفاضح ونستغفرك
من سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك
من نقل الخطوات الى خطط الخطيات ونستوهب
منك توفيقا قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق
ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مويدا بالحجة واصابة
ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة
ندرك بها عرفان القدر وان تسعدنا بالهداية الى الدراية

وتعضدنا بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية في
الرواية وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نامن
حصايد الالسنة ونكفى غوايل الزخرفة فلا نرد مورد
ماثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة
ولا نلجا الى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه
المنية وانلنا هذه البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ
ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا اليك يد المسالة
وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا كرمك
الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الامل
ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر
الذي ختمت به النبيين واعليت درجته في عليين
ووصفته في كتابك المبين فقلت وانت اصدق
القايلين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اللهم

قوله من اشارته حكم قال الاستاذ القاضي يعني به وزير نوشروان بن خالد الاصفهاني وكان وزير السلطان محمود ... المسترشد بالله

نصلّي عليه وعلى آله الهادين واصحابه الذين شادوا
الدين واجعلنا لهديه وهديهم متبعين وانفعنا
بمحبته ومحبتهم اجمعين انك على كل شيء قدير
وبالاجابة جدير فانه قد جرى ببعض اندية الادب
الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه
ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة
همذان رحمه الله وعزى الى ابي الفتح الاسكندري
نشاتها والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول
لا يعرف ونكرة لا تتعرف فاشار من اشارته حكم
وطاعته غنم الى ان انشي مقامات اتلو فيها تلو
البديع وان لم يدرك الظالع شاو الضليع
فذكرته بما قيل فيمن الف بين كلمتين ونظم
بيتا او بيتين واستقلت من هذا المقام الذي

الاسعاف قضاء الحاجة

فيه يحار الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل
وتتبين قيمة المرء ويضطر صاحبه الى ان يكون
كحاطب ليل او جالب رجل وخيل وقلما سلم مكثار
او اقيل له عثار فلما لم يسعف بالاقالة ولا
اعفي من المقالة لبيت دعوته تلبية المطيع
وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع وانشات
على ما اعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة
وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة
تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ
وجزله وغرر البيان ودرره وملح الادب
ونوادره الى ما وشحتها به من الايات ومحاسن الكنايات
ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف
الادبية والاحاجي النحوية والفتاوى اللغوية

والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية

والاضاحيك الملهية مما املت جميعه على لسان

ابي زيد السروجي واسندت روايته الى الحارث

بن همام البصري وما قصدت بالاحماض فيه

الا تنشيط قاريه وتكثير سواد طالبيه ولم اودع

من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين اسست

عليهما بنية المقامة الحلوانية وآخرين توامين

ضمنتهما المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري

ابو عذره ومقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافي

بان البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات

وان المتصدي بعده لانشاء مقامة ولو اوتي

بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته ولا يسري

ذلك المسرى الا بدلالته ولله القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وارجو الا اكون في الهذر الذي اوردته والمورد الذي

توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن

انفه بكفه فالحق بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم

في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

على اني وان اغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني

المحب المحابي لا اكاد اخلص من غمر جاهل

او ذي غمر متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويندد

بانه من مناهي الشرع ومن نقد الاشيا بعين

المعقول وانعم النظر في مباني الاصول نظم

هذه المقامات في سلك الافادات وسلكها

مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات

ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات او اثم
رواتها في وقت من الاوقات ثم اذا كانت الاعمال
بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات فاي
حرج على من انشا ملحا للتنبيه لا للتمويه
ونحا بها منحى التهذيب لا الاكاذيب وهل
هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم او هدى
الى صراط مستقيم سعد
على اني راض بان احمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا
وبالله اعتضد فيما اعتمد واعتصم فيما يصم
واسترشد الى ما يرشد فما المفزع الا اليه
ولا الاستعانة الا به ولا التوفيق الا منه ولا الموئل
الا هو عليه توكلت واليه انيب

المقامة الاولى وتعرف بالصنعانية

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب
الاغتراب وانأتني المتربة عن الاتراب طوحت
بي طوائح الزمن الى صنعاء اليمن فدخلتها
خاوي الوفاض بادي الانفاض لا املك
بلغة ولا اجد في جرابي مضغة فطفقت
اجوب طرقاتها مثل الهائم واجول في حوماتها
جولان الحائم وارود في مسارح لمحاتي
ومسايح غدواتي وروحاتي كريما اخلق
له ديباجتي وابوح اليه بحاجتي او اديبا
تفرج رؤيته غمتي وتروي روايته غلتي
حتى ادتني خاتمة المطاف وهدتني فاتحة
الالطاف الى ناد رحيب محتو على زحام ونحيب
فولجت غابة الجمع لاسبر مجلبة الدمع فرايت

في بهرة الحلقة شخصا شخت الخلقة عليه أهبة
السياحة وله رنة النياحة وهو يطبع الأسجاع
بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه
وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر
والأكمام بالثمر فدلفت إليه لأقتبس من فوائده
والتقط بعض فرائده فسمعته يقول حين
خب في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله
أيها السادر في غلوائه السادل ثوب خيلائه
الجامح في جهالاته الجانح إلى خزعبلاته
إلام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى
بغيك وحتام تتناهى في زهوك ولا
تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك
مالك ناصيتك وتجتري بقبح سيرتك

على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وأنت
بمرأى رقيبك وتستخفي من مملوكك وما
تخفى خافية على مليكك أتظن أن ستنفعك
حالك إذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك
حين توبقك أعمالك أو يغني عنك ندمك
إذا زلت قدمك أو يعطف عليك معشرك
يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك
وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك
وقدعت نفسك فهي أكبر أعدائك أما الحمام
ميعادك فما إعدادك وبالمشيب إنذارك
فما أعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك
وإلى الله مصيرك فمن نصيرك طالما أيقظك
الدهر فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست

وجلت لكم العبر فتعاميتم وأمكنكم أن تواسوا فما
آسيتم تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه
وتختار قصرا تعليه على بر توليه وترغب
عن هاد تستهديه إلى زاد تستهديه
وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه
يواقيت الصلات أعلق بقلبك من مواقيت
الصلوة ومغالاة الصدقات آثر عندك
من موالاة الصدقات وصحاف الألوان
أشهى إليك من صحائف الأديان ودعابة
الأقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر
بالعرف وتنتهك حماه وتحمي عن النكر
ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم
تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه

ثم أنشد يقول

تبا لطالب دنيا ثنى إليها انصبابه
ما يستفيق غراما بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه مما يروم صبابه

ثم إنه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته
وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة إلى تحفزه ورأت
تأهبه لمزايلة مركزه أدخل كل منهم يده
في جيبه فأفعم له سجلا من سيبه وقال
اصرف هذا في نفقتك أو فرقه على رفقتك
فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا
وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليهم مهيعه
ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه قال
الحارث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني

وتنوّرت أثره من حيث لا يراني حتى انتهى إلى
مغارة فانساب فيها على غرارة فأمهلته ريثما
خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته
مجاثيا لتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ
وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذاك
خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد
يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق إلي حتى خفت
أن يسطو علي فلما أن خبت ناره وتوارى أواره

أنشد يقول

لبست الخميصة أبغي الخبيصة وأنشبت شصي في كل شيصة
وصيرت وعظي أحبولة أريغ القنيص بها والقنيصة
وألجأني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه ولا نبضت لي منه فريصة

ولا شرعت بي على مورد يدنس عرضي نفس حريصة
ولو أنصف الدهر في حكمه لما ملك الحكم أهل النقيصة
ثم قال لي ادن فكل وإن شئت فقم وقل فالتفت
إلى تلميذه وقلت له عزمت عليك بمن تستدفع به
الأذى لتخبرني من ذا فقال هذا أبو زيد السروجي
سراج الغرباء وتاج الأدباء فانصرفت من حيث
أتيت وقضيت العجب مما رأيت

المقامة الثانية تعرف بالحلوانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم
ونيطت بي العمائم بأن أغشى معان الأدب
وأنضي إليه ركاب الطلب لأعلق منه بما يكون
لي زينة بين الأنام ومزنة عند الأوام وكنت
لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص لباسه

أباحثُ كلَّ من جلَّ وقلَّ، واستسقي الوبلَ والطلَّ، وأتعلّلُ
بعسى ولعلّ، فلما حللتُ حُلوان، وقد بلوتُ الإخوان،
وسبرتُ الأوزان، وخبرتُ ما شانَ وزانَ، ألفيتُ
بها أبا زيدٍ السروجيَّ، يتقلّبُ في قوالبِ الانتساب،
ويخبطُ في أساليبِ الاكتساب، فيدّعي تارةً أنه من آلِ
ساسان، ويعتزي مرةً إلى أقيالِ غسّان، ويبرزُ
طورًا في شعارِ الشعراء، ويلبسُ حينًا كِبرَ الكبراء، بيدَ
أنّه مع تلوّنِ حالِه، وتبيّنِ مُحالِه، يتحلّى برواءٍ وروايه،
ومداراةٍ ودرايه، وبلاغةٍ رائعه، وبديهةٍ مطاوعه،
وآدابٍ بارعه، وقدمٍ لأعلامِ العلومِ فارعه، وكان
لمحاسنِ آلاته، يُلبسُ على علّاته، ولسعةِ روايته، يُصبى
إلى رؤيته، ولخلابةِ عارضته، يُرغبُ، ولعذوبةِ إيراده،
يُسعفُ، فتعلّقتُ بأهدابه، لخصائصِ آدابه، ونافستُ

ومِياط، وأنا يومئذٍ مرموقُ الرخاء، موموقُ الإخاء،
أسحبُ مطارفَ الثراء، وأجتلي معارفَ السرّاء،
فرافقتُ صحبًا قد شقّوا عصا الشقاق، وارتضعوا
أفاويقَ الوفاق، حتى لحوا كأسنانِ المشطِ في
الاستواء، وكالنفسِ الواحدةِ في التئامِ الأهواء،
وكنّا مع ذلك نسيرُ النجاء، ولا نرحلُ إلا كلَّ هوجاء،
وإذا نزلنا منزلًا، أو وردنا منهلًا، اختلسنا
اللبثَ، ولم نُطلِ المكثَ، فعنَّ لنا إعمالُ الركاب
في ليلةٍ فتيّةِ الشباب، غُدافيّةِ الإهاب، فأسرينا
إلى أن نصلَ الليلُ شبابَه، وسلتَ الصبحُ خضابَه،
فحين مللنا السرى، وملنا إلى الكرى، صادفنا
أرضًا مخضلّةَ الربى، معتلّةَ الصبا، فتخيّرناها مُناخًا
للعيس، ومحطًّا للتعريس، فلما حلّها الخليطُ

وهلمّ بها الغطيط والأطيط. سمعت صيّتا من الرجال
يقول لسميرٍ في الرحال. كيف حكم سنابك مع جيلك
وخيرتك. فقال ارعى الجار ولو جار. وابذل الوصال
لمن صال. واحتمل الخليط ولو ابدى التخليط. واودّ
الحميم ولو جرّعني الحميم. وافضّل الشفيق على
الشقيق. واَفي للعشير وان لم يكافِ بالعشير
واستقلّ الجزيل للنزيل. واغمر الزميل بالجميل
وانزل سميري منزلة اميري. واحلّ انيسي محلّ
رئيسي. واودع معارفي عوارفي. واولي
مرافقي مرافقي. والين مقالي للقالي. وادِيم
تسآلي عن السالي. وارضى من الوفاء باللفاء
واقنع من الجزاء باقلّ الاجزاء. ولا اتظلّم حين اظلم
ولا انقم ولو لسعني الارقم. فقال له صاحبه ويك
لدعي

فاستجادة من حضر واستحلاه. واستعادة منه واستملاه
وسُئل لمن هذا البيت. وهل حيٌّ قائله ام ميت. فقال ايم
الله للحقّ احقّ ان يتّبع. وللصدق حقيق بان يستمع
انه يا قوم لنجيكم من اليوم. فكأنّ الجماعة
ارتابت بعزوته. وأبت تصديق دعوته. فتوجّس ما
هجس في افكارهم. وفطن لما بطن من استنكارهم
وحاذر ان يفرط اليه ذمّ. فقرأ ان بعض الظنّ اثم
ثمّ قال يا رواة القريض. واساة القول المريض. ان خلاصة
الذهب تظهر بالسبك. ويد الحقّ تصدع رداء الشكّ
وقد قيل فيما غبر من الزمان. عند الامتحان يكرم
الرجل او يهان. وها انا قد عرضت خبيئتي للاختبار
وعرّضت حقيبتي على الاعتبار. فابتدر احد من حضر
وقال اعرف بيتا لم ينسج على منواله. ولا سمحت قريحة

بمثاله، فإن آثرت اختلاب القلوب، فانظم على هذا الأسلوب:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضّت على العنّاب بالبرد

فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب:

سألتها حين زارت نضو برقعها الـ ... ـقاني وإيداع سمعي أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشّى سنا قمر ... وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته، واعترفوا بنزاهته، فلما آنس استئناسهم بكلامه، وانصبابهم إلى شِعب الراحة، أطرق لطرفة العين، ثم قال: ودونكم بيتين آخرين:

وأقبلت يوم جدّ البين في حلل ... سود تعضّ بنان النادم الحصر

فلاح ليل على صبح أقلّهما ... غصن وضرّست البلّور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته، واستغزروا ديمته، وأجملوا عشرته، وجمّلوا قشرته. قال الراوي: فلما رأيت تلهّب جذوته، وتألّق جلوته، أمعنت النظر في توسّمه، وسرّحت الطرف في ميسمه، فإذا هو شيخنا السروجي، وقد أقمر ليله الدجوجي، فهنّأت نفسي بمورده، وابتدرت استلام يده، وقلت له: ما الذي أحال صفتك، حتى جهلت معرفتك، وأي شيء شيّب لحيتك، حتى أنكرت حليتك، فأنشأ يقول:

وقعُ الشوائب شيّب ... والدهر بالناس قُلّب

إن دان يوما لشخص ... ففي غد يتغلّب

فلا تثق بوميض ... من برقه فهو خُلّب

واصبر إذا هو أضرى ... بك الخطوب وألّب

فما على التبر عار ... في النار حين يقلّب

ثم نهض مفارقا موضعه، ومستتبعا القلوب معه.

المقامة الثالثة تعرف بالقَيْلية

أخبر الحارث بن همام قال: نظمني وأخدانا لي ناد، لم يخب فيه مناد، ولا كبا فيه قدح زناد، ولا ذكت نار عناد،

بينا نحن نتجاذب أطراف الأناشيد، ونتوارد طُرَف الأسانيد
إذ وقف بنا شخص عليه سَمَل، وفي مشيته قَزَل، فقال
يا أخاير الذخائر، وبشائر العشائر، عِمُوا صباحاً
وأنعِموا اصطباحاً، وانظروا إلى من كان ذا نديّ
وندى، وجِدةٍ وجَدى، وعَقار وقِرى، ومَقارٍ
وقرى، فما زال به قطوب الخطوب، وحروب الكروب
وشرر شر الحسود، وانتياب النوب السود
حتى صفِرت الراحة، وقرِعت الساحة، وغار
المنبع، ونبا المربع، وأقوى المجمع، وأقضّ المضجع
واستحالت الحال، وأعول العيال، وخلت المرابط
ورحم الغابط، وأودى الناطق والصامت، ورثى
لنا الحاسد والشامت، وآل بنا الدهر الموقع
والفقر المدقع، إلى أن احتذينا الوجى، واغتذينا

الشجى، واستبطنّا الجوى، وطوينا الأحشاء على الطوى
واكتحلنا السهاد، واستوطنّا الوهاد، واستوطأنا
القتاد، وتناسينا الأقتاد، واستطبنا الحين المجتاح
واستبطأنا اليوم المتاح، فهل من حرّ آسٍ، أو سمحٍ
مواسٍ، فوالذي استخرجني من قَيلة، لقد أمسيت
أخا عيلة، لا أملك بيت ليلة، قال الحارث بن همام
فأويت لمفاقره، ولويت إلى استنباط فِقَره، فأبرزت
له ديناراً، وقلت له اختباراً، إن مدحته نظماً
فهو لك حتماً، فانبرى ينشد في الحال، من غير انتحال

أكرم به أصفر راقت صفرته ... جوّاب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته ... قد أودعت سرّ الغنى أسرّته
وقارنت نجح المساعي خطرته ... وحُبّبت إلى الأنام غرّته
كأنما من القلوب نقرته ... به يصول من حوته صرّته

وإن تفانت وتوالت عترته * يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته * كم آمر به استتبت إمرته
ومترف لولاه دامت حسرته * وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته * ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته * وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته * وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته

ثم بسط يده بعد ما أنشده وقال أنجز حر ما وعد وسح خال إذ رعد فنبذت الدينار إليه وقلت خذه غير مأسوف عليه فوضعه في فيه وقال بارك اللهم فيه ثم شمر للانثناء بعد توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام سهلت علي ائتناف اغترام فجردت له دينارا آخر وقلت له هل لك في

استشاط غضباً أي احترق

أن تذمه ثم تضمه فأنشد مرتجلا وشدا عجلا

تبا له من خادع مماذق * أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق * يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق * ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق * ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق * وشر ما فيه من الخلائق
أن ليس يغني عنك في المضايق * إلا إذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق * ومن إذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق * لا رأي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما أغزر وبلك فقال والشرط أملك فنفحته بالدينار الثاني وقلت له عوذهما بالمثاني فألقاه في فيه وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه

قال الحرث بن همام فناجاني قلبي بأنه أبو زيد وأن تعارجه
لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم
في مشيك فقال إن كنت ابن همام فحييت بالإكرام
وحييت بين كرام فقلت أنا الحرث فكيف حالك
والحوادث فقال أتقلب في الحالين بؤس ورخاء
وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت
القزل وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذي
كان تجلى ثم أنشد حين ولى **يقول**

تعارجت لا رغبة في العرج ... ولكن لأقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي ... وأسلك مسلك من قد مرج
فإن لامني القوم قلت اعذروا ... فليس على أعرج من حرج

المقامة الرابعة تعرف بالدمياطية

أخبر الحرث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياط

في مصباح فاته لنفائس صفاته **أنشد**

فكنت به أجلو همومي واجتلي ... زماني طلق الوجه ملتمع الضيا
أرى قربه ثروى ومغناه غنية ... ورؤيته ريا ومحياه لي حيا

ولبثنا على ذلك برهة ينشي لي كل يوم نزهة ويدرأ بنفثه
عن قلبي شبهة إلى أن جدجت له يد الإملاق كأس
الفراق وأغراه عدم العراق بتطليق العراق
ولفظته معاوز الأرفاق إلى معاوز الآفاق ونظمه
في سلك الرفاق خفوق راية الإخفاق فشحذ للرحلة
غرار عزمته وظعن يقتاد القلب بأزمته **شعر**

فما راقني من لاقني بعد بعده ... ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ند ند لفضله ... ولا ذو خلال حاز مثل خلاله

واستسر عني حينا لا أعرف له عرينا ولا أجد عنه
مبينا فلما أبت من غربتي إلى منبت شعبتي حضرت

دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين
منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثّة وهيئة رثّة فسلّم
على الجلّاس وجلس في أخريات الناس ثم أخذ
يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه
فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان
أبي عبادة المشهود له بالإجادة فقال هل عثرت
له فيما لمحته على بديع استملحته فقال نعم قوله
كأنما يبسم عن لؤلؤ منضّد أو برد أو أقاح فإنه أبدع
في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة
الأدب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير
ضرم أين أنت عن البيت الندر الجامع مشبهات الثغر
نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفترّ عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

يا بني إنما يضنّ بالضنين ويناقش في الثمين لكن
أنا لا آتي غير المواتي ولا أسم العاتي بمراعاتي
ولا أصافي من يأبى إنصافي ولا أواخي من
يلغي الأواخي ولا أمالي من يخيّب آمالي ولا
أبالي بمن صرم حبالي ولا أداري من جهل
مقداري ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي
ولا أبذل ودادي لأضدادي ولا أدع
إيعادي للمعادي ولا أغرس الأيادي
في أرض الأعادي ولا أسيح بمواساتي لمن
يفرح بمساءاتي ولا أرى التفاتي إلى
من يشمت بوفاتي ولا أخصّ بحبائي إلا
أحبائي ولا أستطبّ لدائي غير أودّائي

ولا املك خلتي من لا يسد خلتي، ولا اصفي نيتي
لمن يتمنى منيتي، ولا اخلص دعاي لمن لا يفعم
وعاي، ولا افرغ ثناي على من يقرع اناي
ومن حكم بان ابذل وتخزن، والين وتخشن
واذوب وتجمد، واذكو وتخمد، لا ولعله بل نتوازن
في المقال، وزن المثقال، ونتحاذى في الفعال
تحذو النعال، حتى تأمن التغابن، ونكفى التضاغن
والا فلم اعلك وتعلني، واقلك وتستقلني، واجرح
لك وتجرحني، واسرح اليك وتسرحني، وكيف
يجتلب انصاف بضيم، وهل تشرق شمس مع
غيم، ومتى اصحب ود بعنف، واي حر رضي
بخطة خسف، ولله ابو زيد يقول
جزيت من اعلق بي وده، جزاء من يبني على اسه

وكلت للخل كما كال لي، على وفاء الكيل او بخسه
ولم اخسره وشر الورى، من يومه اخسر من امسه
وكل من يطلب عندي جنا، فما له الا جنى غرسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني، بصفقة المغبون في حسه
ولست بالموجب حقا لمن، لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني، اصدقه الود على لبسه
وما درى من جهله انني، اقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى، وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة، لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى، انك محتاج الى فلسه
قال الحرث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت
الى ان اعرف عينيهما فلما لاح ابن ذكاء والحف
الجو الضياء، غدوت قبل استقلال الركاب، ولا اغتداء

الغراب، وجعلت استقري صوب الصوت الليالي، واتوسم
الوجوه بالنظر الجلي، الى ان لمحت ابا زيد وابنه
يتجاذبان، وعليهما بردان رثان، فعلمت انهما
نجيا ليلتي، وصاحبا روايتي، فقصدتهما قصد
كلف بدماثتهما، راث لرثاثتهما، واجتهما التحول الى
رحلي، والتحكم في كثري وقلي، وطفقت اثني
بين السيارة فضلهما، واهز الاعواد المثمر لهما،
حتى غمرا بالنحلان، واثريا من الخلان، وكنا
بمعرس تبين منه بنيان القرى، وتنور نيران
القرى، فلما راى ابو زيد امتلاء كيسه، وانجلاء
بوسه، قال لي ان بدني قد اتسخ، ودرني قد
رسخ، افتاذن لي في قصد قرية لاستحم، واقضي
هذا المهم، فقلت له اذا شئت فالسرعة السرعة،

والرجعة الرجعة، فقال ستجدني مطلعي عليك اسرع
من ارتداد طرفك اليك، ثم استن استنان الجواد
في المضمار، وقال لابنه بدار بدار، ولم نخل انه عرج
وطلب المفر، فلبثنا نرقبه رقبة الاعياد، ونستطلعه
بالطلايع والرواد، الى ان مرم النهار، وكاد
حرف اليوم ينهار، فلما طال امد الانتظار، ولاح
الشمس في الاطمار، قلت لاصحابي قد تناهينا
في المهلة، وتمادينا في الرحلة، الى ان اضعنا
الزمان، وبان ان الرجل قد مان، فتاهبوا
للظعن، ولا تلووا على خضراء الدمن، ونهضت
لاخرج راحلتي، واتحمل لرحلتي، فوجدت
ابا زيد قد كتب على القتب،

شعر

يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر،

لا تحسبن أني نأيت عن ملال أو أشر

لكنني مذ لم أزل ممن إذا طعم انتشر

قال فاقرأت الجماعة القنب ليعذره من كان
عتب فاعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته ثم إنا
ظعنا ولم ندر من أغاض عنا

المقامة الخامسة تعرف بالكوفية

قال حكى الحرث بن همام قال سمرت بالكوفة
في ليلة أديمها ذو لونين وقمرها كالتعويذ من
لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا
على سحبان ذيل النسيان ما فيهم إلا من يحفظ
عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه
فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب
السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق إلا التهويم

سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح
فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضرا

قد دفع الليل الذي اكفهرا ... إلى ذراكم شعثا مغبرا

أخا سفار طال واسبطرا ... حتى انثنى محقوقفا مصفرا

مثل هلال الأفق حين افترا ... وقد عرا فناءكم معترا

وأمكم دون الأنام طرا ... يبغي قرى منكم ومستقرا

فدونكم ضيفا قنوعا حرا ... يرضى بما احلولى وما أمرا

وينثني عنكم ينث البرا

قال الحرث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا
ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب
وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف
والذي أحلني ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا

لي اله تمذوي كلا، ولا تحسموا الاجلي لكلا، فرب
اكلة هاضت الآكل، وحرمته مآكل، وشر الاضياف
من سام التكليف، وآذى المضيف، وخصوصا
اذى يتعلق بالاجسام، ويفضي الى الاسقام، وما
قيل في المثل الذي سار سائره، خير العشا سوافره،
الا ليعجل التعشي، ويجتنب اكل الليل الذي يعشي،
اللهم الا ان تقد نار الجوع، وتحول دون الهجوع،
قال فكانه اطلع على ارادتنا، فرمى عن قوس عقيدتنا،
لا جرم انا آنسناه بالتزام الشرط، واثنينا على
خلقه السبط، ولما احضر الغلام ما راج، واذكى
بيننا السراج، تاملته فاذا هو ابو زيد، فقلت لصحبي
ليهنكم الضيف الوارد، بل المغنم البارد، فان يكن
افل قمر الشعرى، فقد طلع قمر الشعرا، او استسر

بدر النثرة، فقد تبلج بدر النثر، فسرت حميا المسرة
فيهم، وطارت السنة عن مآقيهم، ورفضوا الدعة
التي كانوا نووها، وثابوا الى نشر الفكاهة بعد
ما طووها، وابو زيد مكب على اعمال يديه، حتى اذا
استرفع ما بين يديه، قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب
اسمارك، او عجيبة من عجائب اسفارك، فقال لقد
بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون، ولا رواه الراوون،
وان من اعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم
ومصيري الى بابكم، فاستخبرناه عن طرفة مرآه
في مسرح مسراه، فقال ان مرامي الغربة لفظتني
الى هذه التربة، وانا ذو مجاعة وبوسى، وجراب
كفواد ام موسى، فنهضت حين سجى الدجى،
على ما بي من الوجا، لارتاد مضيفا، او اقتاد رغيفا

فساقني حادي السغب والقضاء الذي يكنى ابا العجب
الى ان وقفت على باب دار فقلت
حييتم يا اهل هذا المنزل وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل نضو سرى خابط ليل اليل
جوي الحشا على الطوى مشتمل ما ذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له في ارضكم من موئل وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي ألق عصاك وادخل وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز الي جؤذر عليه شوذر وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى واسس المحجوج في ام القرى
ما عندنا لطارق اذا عرا سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى طوى برى اعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت ما اصنع بمنزل قفر ومثوى حليف فقر ولكن يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشاي فيد ووردت هذه المدرة امس مع اخوالي من بني عبس فقلت له زدني ايضاحا زادك الله صلاحا عشت ونعشت فقال اخبرتني امي برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف احي فيتوقع ام اودع اللحد البلقع قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب باعجب من هذا العجاب

فقلنا له من عنده علم الكتاب، فقال ائتوني بها في عُجالة
الاتفاق، وخلّدوها بطون الأوراق، فما سُيّر مثلها
في الآفاق، فأحضرنا الرواة وأبا زيد، ورقشنا
الحكاية على ما سردها، ثم استنبطناه عن مرتآه في
استصحاب فتاة، فقال إذا أثقل ردفي، خفّ على أن
أكفل ابني، فقلنا إن كان يكفيك نصاب من المال،
ألفناه لك في الحال، فقال وكيف لا يقنعني نصاب،
وهل يحتقر قدره إلا مصاب، قال الراوي فالتزم منه
كلٌّ منا قسطا، وكتب له به قطّا، فشكر عند ذلك
الصنع، واستنفد في الثناء الوسع، حتى إننا استطلنا
القول، واستقللنا الطول، ثم إنه نشر من وشي
السمر، ما ازدرى بالحبر، إلى أن أطلّ التنوير،
وجشر الصبح المنير، فقضيناها ليلة غابت شوائبها،

إلى أن شابت ذوائبها، وكمل سعودها، إلى أن انفطر
عودها، ولما ذرّ قرن الغزالة، طمر طمور الغزالة،
وقال انهض بنا لنقبض الصلات، ونستنضّ الحالات،
فقد استطارت صدوع كبدي، من الحنين إلى ولدي،
فوصلت جناحه، إلى أن نيّلت نجاحه، فحين أحرز
العين في صرّته، برقت أسارير مسرّته، وقال لي
جُزيت خيرا عن خطى قدميك، والله خليفتي عليك،
فقلت أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب، وأنافثه
لكي يجيب، فنظر إليّ نظرة الخادع إلى المخدوع،
وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع، وأنشد

يا من تظنّى السراب ماءً ... لما رويت الذي رويتُ
ما خلت أن يستبين مكري ... وأن يخيّل الذي عنيتُ
والله ما برّة بعرسي ... ولا لي ابنٌ به اكتنيتُ

وأماني فنون سحر ابتدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الأصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت
تجنيتها وصلة إلى ما تجتنيه كف من اشتهيت
ولو تعافيت ما تحاليت حيات ولم أجو ما جويت
فمهد العذر أو فسامح إن كنت أجرمت أو جنيت
ثم إنه ودعني ومضى وأودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة تعرف بالمراغية

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان اليراعة وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء وأن المفلق من كتاب هذا الأوان المتمكن من أزمة البيان كالعيال على الأوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية وعند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم في شوطهم ونثروا العجوة والنوى من سوطهم ينبي تخازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق لينباع ومجرنمز سيمد الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال فلما نثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع وسكنت الزماجر وصمت المزجور والزاجر أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا إدا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات وافتتنتم بالميل إلى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات أنسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته طوارف

القرائح ويبزّ فيه الجذع على القارح من العبارات
المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة
والاساجيع المستملحة وهل للقدماء اذا انعم النظر
من حضر غير المعاني المطروقة والموارد المعقولة الشرب
المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد
واني لاعرف الآن من اذا انشا وشّى واذا عبّر
حبّر وان اوجز اعجز وان اسهب اذهب وان بدَه
شدَه ومتى اخترع خرّع فقال له ناظورة الديوان
وعين اولئك الاعيان من قارع هذه الصفاة وقريع
هذه الصفات فقال انه قرن مجالك وقرين جدالك
واذا شئت فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا
فقال له يا هذا ان البغاث بارضنا لا يستنسر والتمييز
عندنا بين الفضة والقضة متيسر وقل من استهدف

للنضال فخلص من الداء العضال او استثار نقع الامتحان
فلم يقذ بالامتهان فلا تعرّض عرضك للمفاضح ولا تعرض
عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ اعرف بوسم قدحه
وسيتفرى الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر
به قليبه ويعلم فيه تقليبه فقال بعضهم ذروه في
حصتي لارميه بحجر قصتي فانها عضلة العقد
ومحك المنتقد فقلدوه في هذا الامر الزعامة تقليد
الخوارج ابا نعامة فاقبل على الكهل وقال اعلم
اني اوالي هذا الوالي وارجي حالي بالبيان الحالي
وكنت استعين على تقويم اودي في بلدي بسعة
ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد
رذاذي اممته من ارجائي برجائي ودعوته لاعادة
رواء روائي فهش للوفادة وراح وغدا بالافادة

ودراح فلما استاذنته في المراح الى المراح على كاهل المراح

قال قد ازمعت الا ازود ركبانا ولا اشيع لك شانا او

تنشي امام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف

احدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الاخرى لم يعجمن قط

وقد استانيت ببيانها حولا فما احار قولا ونبهت فكري

سنة فما ازداد الا سنة واستعنت بقاطبة الكتاب

فكل منهم قطب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك باليقين

فات باية ان كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت

يعبوبا واستسقيت اسكوبا واعطيت القوس باريها

وانزلت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته

واستدر لقحته وقال له الق دواتك وخذ اداتك

واكتب الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين واللوم

غض الدهر جفن حسودك يشين والاروع يثيب

والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف

والسمح يغذي والمحك يقذي والعطا ينجي والمطال

يشجي والدعا يقي والمدح ينقي والحر يجزي

والالطاط يخزي واطراح ذي الحرمة غي ومحرمة

بني الامال بغي وما ضن الا غبين ولا غبن الا ضنين

ولا خزن الا شقي ولا قبض راحة تقي وما فتي

وعدك يفي واراوك تشفي وهلالك يضي وحلمك

يغضي والاوك تغني واعداوك تثني وحسامك

يفني وسوددك ينمي ومواصلك يجتني ومادحك يقتني

وسماحك يغيث وسماوك تغيث ودرك يغيض ودرك

يفيض ومومّلك شيخ حكاه في ولم يبق له شي اكل

بطن جرضه يثب ومدحه ينجب مهورها تجب

ومراثيه تخف واواصره تشف واطراقه تحذر

وملاحة تحبّب · ووراءه ضفف · مسّهم شظف · وعمّهم
جنف · وغمامهم قشف · ومونه في دمع تجيب · وولهٍ يذيب
وممتحن ضيّف · وكهل نيّف · لمأمول خيّب · وأمل ثبّت
وعدوٍ نبت · وهدّ وتعب · ولم يرع ودّه فيغضب
ولا خبث عوده فيقضب · ولا نفث صدره فينفض
ولا نسي وصله فيبغض · وما يقتضي كرم نبل
جرحه · فيبتر أمله بتخفيف ألمه · بتّ حمدك بين عالمه
بقيت لماطه شجب · وإعطاء نشب · ومداواة
شجن · ومراعاة نفر · موصوله بخفض وسرور
غضّ ما غشي مجهد غثّ · أو خشي وهم غبي
والسلام · فلما فرغ من إملاء رسالته · وجلّى
منها آية البلاغة عن بسالته · أرضته الجماعة قولا
وفعلا · وأوسعته حفاوة وطولا · ثم سئل من

أي الشعوب نجاره · وفي أي الشعاب وجاره · فقال

غسان أسرتي الصميمة · وسروج تربتي القديمة
فالبيت مثل الشمس إشراقا · ومنزلة جسيمة
والربع كالفردوس مطيبة · ومنزهة وقيمة
واها لعيش كان لي · فيها ولذات عميمة
أيام أسحب مطرفي · في روضها ماضي العزيمة
أختال في برد الشباب · وأجتلي النعم الوسيمة
لا أتقي نوب الزمان · ولا حوادثه الملمّة
فلو أن كربا متلف · لتلفت من كربي المقيمة
أو يفتدى عيش مضى · لفدته مهجتي الكريمة
فالموت خير للفتى · من عيشه عيش البهيمة
تقتاده برة الصغار · إلى العظيمة والهضيمة
ويرى السباع تنوشها · أيدي الضباع المستضيمة

والذنب للأيام لولا ۞ شؤمها لم تنب شيمه

ولو استقام مكان الأ ۞ عوج آل فيها مستقيمه

ثم أن خبره نمي إلى الوالي ۞ فملأ فاه باللآلي

وسامه أن ينضوي إلى أحشائه ۞ ويلي ديوان

إنشائه ۞ فأحسبه الحباء ۞ وظلفه عن الولاية الإباء

قال الراوي ۞ وكنت عرفت عود شجرته ۞ قبل إيناع

ثمرته ۞ وكدت أنبه على قدره ۞ قبل استنارة بدره

فأوحى إلي بإيماض جفنه ۞ أن لا أجرد عضبه من

جفنه ۞ فلما خرج بطين الخرج ۞ وفصل فائزا بالفلج

شيعته قاضيا حق الرعاية ۞ ولاحيا له على رفض

الولاية ۞ فأعرض متبسما ۞ وأنشد مترنما ۞ وقال

لجوب البلاد مع المتربه ۞ أحب إلي من المرتبه

لأن الولاة لهم نبوة ۞ ومعتبة يا لها معتبه

وما فيهم من يرب الصنيع ۞ ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب ۞ ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه ۞ وأدركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة تعرف بالبرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال أزمعت الشخوص من

برقعيد ۞ وقد شمت برق عيد ۞ فكرهت الرحلة

عن تلك المدينة ۞ أو أشهد بها يوم الزينة ۞ فلما أظل

بفرضه ونفله ۞ وأجلب بخيله ورجله ۞ اتبعت السنة

في لبس الجديد ۞ وبرزت مع من برز للتعييد ۞ وحين

التأم جمع المصلى وانتظم ۞ وأخذ الزحام بالكظم

طلع شيخ في شملتين ۞ محجوب المقلتين ۞ وقد اعتضد

شبه المخلاة ۞ واستقاد لعجوز كالسعلاة ۞ فوقف

وقفة متهافت ۞ وحيا تحية خافت ۞ ولما فرغ

مرد عايه، احال خمسه في وعائه، فابرز منه رقاعًا قد كتبت بالوان الاصباغ، في اوان الفراغ، فناول عجوزه الحيزبون، وامرها بان تتوسم الزبون، فمن آنست ندى يديه، القت منهن ورقة لديه، قال فاتاح لي القدر المعتوب، رقعة فيها مكتوب

لقد اصبحت موقوذا باوجاع واوجال
وممنوا بمحتال ومختال ومغتال
وخوان من الاخوان قال لي الاقلال
واعمال من العمال في تضليع اعمالي
فكم اصلى باذحال وامحال وترحال
وكم اخطر في بال ولا اخطر في بال
فليت الدهر لما جار اطفالي اطفالي
فلولا ان اشبالي اغلالي واغلالي
لما جهزت آمالي الى آل ولا وال
ولا جررت اذيالي على مسحب اذلال
فمحرابي احرى بي واسمالي اسمى لي
فهل حر يرى تخفيف اثقالي بمثقال
ويطفي حر بلبالي بسربال وسروال

قال الحارث بن همام: فلما استعرضت حلة الابيات، تقت الى معرفة ملحمها، وراقم علمها، فناجاني الفكر بان الوصلة اليه العجوز، وآذنني بان حلوان المعز تحوز، فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا، وتستوكف الاكف كفا كفا، وما ان ينجح لها عناء، ولا يرشح على يدها اناء، فلما اكدى استعطافها، وقد ع مطافها، عاذت بالاسترجاع، ومالت الى ارتجاع الرقاع، وانساها الشيطان ذكر رقعتي، فلم تعج الى بقعتي

ورأيت الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان فقال
إنا لله وأفوض أمري إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله
لم يبق صاف ولا مصاف ولا معين ولا معين
وفي المساوي بدا التساوي فلا أمين ولا ثمين
ثم قال لطامحي النفس وعديها واجمع الرقاع وعديها
فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع
قد غالت إحدى الرقاع فقال تعسا لك يا لكاع
أيحرم ويحك القنص والحبالة والقبس والذبالة
إنها لضغث على إبالة فانصاعت تقتص مدرجها
وتنشد مدرجها فلما دانتني قرنت بالرقعة درهما
وقطعة وقلت لها إن رغبت في المشوف المعلم واشرأبت
إلى الدرهم فبوحي بالسر المبهم وإن أبيت أن تشرحي
فخذي القطعة واسرحي فمالت إلى استخلاص البدر التم

وإلا ألم الهم وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك
فاستطلعت طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته
فقالت إن الشيخ رجل من أهل سروج وهو الذي
وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة
الباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبي
أن أبا زيد هو المشار إليه وتأجج كربي لمصابه بما
وآثرت أن أفاجيه وأناجيه لأعجم عود فراستي
فيه وما كنت لأصل إليه إلا بتخطي رقاب الجمع المنهي
عنه في الشرع وعفت أن يتأذى بي قوم أو يسري
إلي لوم فسددت مكاني وجعلت شخصه قيد عياني
إلى أن انقضت الخطبة ووجبت الوثبة فخففت إليه
وتوسمته على التحام جفنيه فإذا المعنى المتغابي
ابن عباس وفراستي فراسة إياس فعرفته حينئذ

شجني، وآثرته بأجد قميصي، واهبته الى قرصي، فهش
لعارفتي عرفانه، ولبى دعوتي بعفاتِه، وانطلق وبيدي زمامه،
وطلى امامه، والعجوز تالية الاثافي، والرقيب الذي لا يخفى
عليه خافي، ولما استحلس وكنى، واحضرته نجالة ملبني،
فقال يا جارة امعنا ثالث، فقالت الا العجوز، فقال وما دونها
ستر محجوز، ثم فتح كريمتيه، ورأرأ بتوأمتيه، فاذا سراجا
وجهه يتقدان، كانهما الفرقدان، فابتهجت بسلامة بصره،
وعجبت من غرائب سيره، ولم يلقني قرار، ولا لابا وعى
الاصطبار، حتى سألته ما دعاك الى التعامي، مع سيرك
في المعامي، وجوبك في الموامي، وايغالك في المرامي،
فتظاهر باللكنة، وتشاغل باللهنة، حتى اذا وطره
انّى رأى نظره، وانشد

ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد في انحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل اني اخو عمى ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض الى المخدع، فأتني بغسول يروق الطرف،
وينقي الكف، وينعم البشرة، ويعطر النكهة، ويشد
اللثة، ويقوي المعدة، وليكن نظيف الظرف، اريج العرف،
فتي الدق، ناعم السحق، تحسبه اللامس ذرورا،
وتخاله الناشق كافورا، واقرن به خلالة نقية الاصل،
محبوبة الوصل، انيقة الشكل، مدعاة الى الاكل، لها
نحافة الصب، وصقال العضب، والة الحرب، ولدونة
الغصن الرطب، قال فنهضت فيما امر، لا لدرء ما عنه
الغمر، ولم اهم الى انه قصد ان يتخدع، بادخالي المخدع،
ولا تظنيت انه سخر من الرسول، في استدعاء الخلالة
والغسول، فلما عدت بالملتمس، في اقرب من رجع النفس،
وجدت الجو قد خلا، والشيخ والشيخة قد اجفلا، فاستشطت

من مكره غضبا، واوغلت في اثره طلبا، فكان كمن قمس في
الماء، او عرج به الى عنان السماء

المقامة الثامنة تعرف بالمعرية

اخبر الحرث بن همام قال رايت من اعاجيب الزمان ان
تقدم خصمان، الى قاضي معرة النعمان، احدهما قد ذهب
منه الاطيبان، والاخر كانه قضيب البان، فقال الشيخ
ايد الله القاضي، كما ايد به المتقاضي، انه كانت لي
مملوكة رشيقة القد، اسيلة الخد، صبور على الكد،
تخب احيانا كالنهد، وترقد اخرى في المهد، وتجد
في تموز مس البرد، ذات عقل وعنان، وحد وسنان،
وكف ببنان، وفم بلا اسنان، تلدغ بلسان نضناض،
وترفل في ذيل فضفاض، وتجلى في سواد وبياض، وتسقى
ولكن من غير حياض، ناصحة خدعة، خباة طلعة،

مطبوعة على المنفعة، ومطاوعة في الضيق والسعة، اذا
قطعت وصلت، ومتى فصلتها عنك انفصلت، وطالما
خدمتك فجملت، ولربما جنت عليك فالمت واملت، وان
هذا الفتى استخدمنيها لغرض، فاخدمته اياها بلا
عوض، على ان يجتني نفعها، ولا يكلفها الا وسعها،
فاولج فيها متاعه، واطال بها استمتاعه، ثم اعادها
الي وقد افضاها، وبذل عنها قيمة لا ارضاها، فقال
الحدث اما الشيخ فاصدق من القطاة، واما الافضا
ففرط عن خطا، وقد رهنته على ارش ما اوهنته مملوكا
لي متناسب الطرفين، منتسبا الى القين، نقيا من الدرن
والشين، يقارن محله سواد العين، يفشي الاحسان
وينشي الاستحسان، ويغذي الانسان، ويتحامى اللسان
ان سود جاد، وان وسم اجاد، واذا زود

وهب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستفز معنى وقلما
يتنجز الأمنى يسخو بموجوده ويسمو عند جوده وينقاد
مع قرينته ولو لم يكن من طينته ويستمتع بزينته
وإن لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي إما أن تبينا
وإلا فبينا فأطرق الشيخ إطراقا وابتدر الغلام وقال

أعارني إبرة لأرفو أطمارا ... عفاها البلى وسوّدها
فانخرمت في يدي على خطأ ... مني لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ أن يسامحني ... بأرشها إذ رأى تأوّدها
بل قال هات إبرة تماثلها ... أو قيمة بعد أن تجوّدها
واعتاق ميلي رهنا لديه ... هيك بها ستكل ترودها
فالعين من حالها الرهينة وبرى ... تقصر عن أن تقل مرودها
فاسأله بذا الشرح عود منقلتي ... وارث لمن لم يكن تعودها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال إيه بغير مويه فقال

أقسم بالمشعر الحرام ومن ... ضمّ من الناس خيف منى
لو ساعفتني الأيام لم ترني ... مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصديت أبتغي بدلا ... من إبرة عاثها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني ... بصائبات من ها هنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته ... ضرا وبؤسا وغربة وضنى
قد عدل الدهر بيننا فأنا ... نظيره في الشقاء وهو أنا
لا هو يسطيع فك مرودة ... لما عدا في يدي من رهنا
ولا مجالي لضيق ذات يدي ... فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتي وقصته ... فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما وخصصهما
أبرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال اقطعا به
الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث
واستخلصه على وجه الجد لا العبث وقال للحدث

تنصفني بسهم مِدراتي وسهمك لي عن ارش ابنتي
ولست عن الحق اميل فقم وحُطّ ميلك فعند ذلك
لما حُدر الكتاب وجمّ له القاضي وهيّج اسفه
على الدينار الماضي الا انه جبر بال الفتى وبلباله
بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات
وادرآ المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات
فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده
مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو جمره
من نضّ حجره ولا ينصلّ كمده من رشح جلمده
حتى اذا افاق من غشيته اقبل على غاشيته
وقال قد اشرب حسّي وبات حدسي انهما باحا
دهاء لا خصما ادعاء فكيف السبيل الى سبرهما
واستنباط سرّهما فقال له نحرير زمرته وشرارة

جمرته انه لن يتم استخراج خبيئهما الا بهما فقفّاهما
عونا يرجعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال لهما
اصدقاني سرّ امركما ولكما الامان من تبعة
مكركما فاحجم الحدث واستقال واقدم الشيخ وقال

انا السروجي وهذا ولدي … والشبل في المخبر مثل الاسد
وما تعدّت يده ولا يدي … في ابرة يوما ولا في مرود
وانما الدهر المسيء المعتدي … مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل نديّ الراحة عذب المورد … وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد … بالجد ان اجدى والا بالدد
لنجلب الرشح الى الحظ الصدي … وننفد العمر بعيش انكد
والموت من بعد لنا بالمرصد … ان لم يفاج اليوم فاجا في غد

فقال له القاضي لله درّك فما اعذب نفثات فيك
وواهاً لك لولا خدع فيك واني لك لمن المنذرين

البكر الفتي من الابل بالفتح والانثى بكرة والجمع بكار مثل فرخ وفراخ قال ابوعبيدة البكر من الابل بمنزلة الفتى من الناس والبكرة بمنزلة الجارية والبعير بمنزلة الانسان والجمل بمنزلة الرجل والناقة بمنزلة المرأة

وعليك من الحذر بين فلا تماكس بعدها الحاكمين
واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا
كل اوان يسمع القيل فواعده الشيخ على اتباع
مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل
عن حضرته والختل يلمع من جبهته قال الحارث
بن همام فلم ار اعجب منها في تصاريف الاسفار
ولا قرات مثلها في تصانيف الاسفار

المقامة التاسعة تعرف بالاسكندرانية

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى
الاكتساب الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة
اخوض الغمار لاجني الثمار واقتحم الاخطار لكي
ادرك الاوطار وكنت لقفت من افواه العلماء وثقفت
من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب اذا دخل البلد

الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه
ليشتد ظهره عند الخصام ويامن في الغربة جور
الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته لمصالحي
زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا
وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت
بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما انا عند حاكم
الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات
ليفضه على ذوي الفاقات اذ دخل شيخ عفرية
تعتله امراة مصبية فقالت ايد الله القاضي
وادام به التراضي اني امراة من اكرم جرثومة
واطهر ارومة واشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون
وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين
جاراتي بون وكان ابي اذا خطبني بناة المجد وارباب

سكّتهم وبكّتهم، وعاف وصلتهم وصِلاتهم، واحتجّ
بأنه عاهد الله تعالى بحلفه، ألا يصاهر غير ذي حرفه،
فقيّض القدر لنصبي ووصبي، أن حضر هذا الخُدعة نادي أبي،
فأقسم بين رهطه، أنه وفق شرطه، وادّعى أنه
طالما نظم دُرّة إلى دُرّة، فباعهما ببدرة، فاغترّ أبي بزخرفة
مُحاله، وزوّجنيه قبل اختبار حاله، فلما استخرجني من
كِناسي، ورحّلني عن أُناسي، ونقلني إلى كِسره، وحصّلني
تحت أسره، وجدته قُعدة جُثَمة، وألفيته ضُجعة نُوَمة،
وكنت صحبته برياش وزِيّ، ورواءٍ ورِيّ، فما برح يبيعه
في سوق الهضم، ويُتلف ثمنه في الخضم والقضم، إلى أن
مزّق مالي بأسره، وأنفق مالي في عسره، فلما أنساني
طعم الراحة، وغادر بيتي أنقى من الراحة، قلت له: يا هذا
إنه لا مخبأ بعد بؤس، ولا عطر بعد عروس، فانهض

للاكتساب بصناعتك، واجتنِ ثمرة براعتك، فزعم
أن صناعته قد رُميت بالكساد، لما ظهر في الأرض من
الفساد، ولي منه سلالة، كأنه خلالة، وكلانا ما ينال
معه شبعة، ولا ترقأ له من الطوى دمعة، وقد قُدته
إليك، وأحضرته لديك، لتعجم عود دعواه، وتحكم بيننا
بما أراك الله، فأقبل القاضي عليه، وقال له: قد وعيت
قصص عرسك، فبرهن عن نفسك، وإلا كشفت عن
لبسك، وأمرت بحبسك، فأطرق إطراق الأفعوان،
ثم شمّر للحرب العوان، وقال شعر

اسمع حديثي فإنه عجبُ ... يُضحك من شرحه ويُنتحب
أنا امرؤ ليس في خصائصه ... عيبٌ ولا في فخاره ريبُ
سروج داري التي وُلدت بها ... والأصل غسّان حين أنتسب
وشغلي الدرس والتبحّر في ... العلم طلابي وحبّذا الطلبُ

العرض حطام الدنيا وهو ما كان من مال قل او كثر وقال ابو عبيد جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء واما العرض بالسكون فما خالف العين اي الدراهم والدنانير

ودار ما في بحر الكلام الذي ❊ منه يصاغ القريض والخطب
اغوص في لجة البيان فاختار اللآلي منها وانتخب
واجتني اليانع الجني من الـ ❊ ـقول وغيري للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فاذا ما ❊ صغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امتري نشبا ❊ بالادب المقتنى واحتلب
ويمتطي اخمصي لحرمته ❊ مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى ❊ ربعي فلم ارض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به ❊ اكسد شي في سوقه الادب
لا عرض ابنائه يصان ولا ❊ يرقب فيهم الٌّ ولا نسب
كانهم في عراصهم جيف ❊ تبعد من نتنها وتجتنب
فحار لبي لما منيت به ❊ من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي ❊ وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري الملم الى ❊ سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي لبد ❊ ولا بتات اليه انقلب
وادّنت حتى اثقلت سالفتي ❊ بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشا على لغب ❊ خمسا فلما امضني السغب
لم ار الا جهازها عرضا ❊ اجول في بيعه واضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة ❊ والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عرضت به ❊ حد التراضي فيحدث الغضب
فان يكن غاظها توهمها ❊ ان بناني بالنظم تكتسب
او انني اذ عزمت خطبتها ❊ زخرفت قولي لينجح الارب
فوالذي سارت الرفاق الى ❊ كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي ❊ ولا شعاري التمويه والكذب
ولا يدي مذ نشأت نيط بها ❊ الا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا ❊ كفي وشعري المنظوم لا السخب
وهذه الحرفة المشار الى ❊ ما كنت احوي بها واجتلب

فاذن لشرحي لما انشدتها ولا تراقب واحكم بما يجب
قال فلما احكم ما شاده واكمل انشاده عطف القاضي
الى الفتاة بعد ان شغف بالابيات وقال اما قد ثبت
عند جميع الحكام وولاة الاحكام انقراض جيل
الكرام وميل الايام الى اللئام واني لاخال بعلك
صدوقا في الكلام بريا من الملام وها هو قد اعترف
لك بالقرض وصرح عن المحض وتبين مصداق النظم
وتبين انه معروق العظم واعنات المعذر ملامة
وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار
الفرج بالصبر عبادة فارجعي الى خدرك واعذري
ابا عذرك ونهنهي من غربك وسلمي لقضاء ربك
ثم انه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من
دراهمها قبصة وقال لهما تعللا بهذه العلالة

قوله كطي السجل للكتاب اي كطي الطومار للكتابة
وقيل السجل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل السجل ملك يحفظ
طوامير اعمال العباد

وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده
فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فنهضا وللشيخ
فرحة المطلق من الاسار وهزة الموسر بعد الاعسار
قال الراوي وكنت عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه
ونزغت عرسه وكدت افصح عن افتنانه واثمار افنانه
ثم اشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق لسانه
فلا يرى عند عرفانه ان يرشحه لاحسانه فاحجمت
عن القول احجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل
للكتاب الا اني قلت بعد ما فصل ووصل الى ما وصل
لو ان لنا من ينطلق في اثره لاتانا بفص خبره وما ينشر
من حبره فاتبعه القاضي احد امنائه وامره بالتجسس
على انبائه فما لبث ان رجع متدهدها وقهقه
مقهقها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم فقال

لقد عاينتُ عجبا، وسمعتُ ما انشأ لي طربا، فقال له ما دار

وما الذي وعيتَ، فقال لم يزل الشيخ منذ خرج يصفق

بيديه، ويخالف بين رجليه، ويغرد بملء شدقيه،

ويقول كدتُ أصلى بليّة، من وقاح شمريّة،

وأزور السجن لولا حاكم الاسكندريّة،

فضحك القاضي حتى هوت دنّيته، وذوت سكينته، فلما

فاء الى الوقار، وعقّب الاستغراب بالاستغفار، قال

اللهم بحرمة عبادك المقربين، حرّم حبسي على المتأدبين،

ثم قال لذلك الامين عليّ به، فانطلق مجدًّا في طلبه،

ثم عاد بعد لأيه، مخبرا بنأيه، فقال القاضي أما انه لو

حضر، لكفي الحذر، ثم لأوليته ما هو به أولى، ولأريته

أن الآخرة خير له من الأولى، قال الحارث

بن همام فلما رأيت صغو القاضي اليه، وفوت ثمرة التنبيه

عليه، غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار،

والكسعي لما استبان النهار،

المقامة العاشرة تعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق الى

رحبة مالك بن طوق، فلبيته ممتطيا شملة، ومنتضيا

عزمة مشمعلّة، فلما ألقيت بها المراسي، وشددت

أمراسي، وبرزت من الحمام بعد تسبيت راسي، رأيت

غلاما أفرع في قالب الجمال، والبس من الحسن حلة

الكمال، وقد اعتلق شيخ بردنه، يدعي أنه قتل ابنه

والغلام ينكر عرفته، ويكبر قرفته، والخصام بينهما

متطاير الشرار، والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار،

الى ان تراضيا بعد اشتطاط اللدد، بالتنافر الى والي البلد

وكان ممن يزن بالهنات، ويغلّب حب البنين على البنات،

فأسرع إلى ندوته كالسليك في عدوته فلما حضراه
جدد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام
وقد فتنته محاسن غرته وطر عقله بتصفيف طرته
فقال إنها أفيكة أفاك على غير سفاك وعضيهة محتال
على من ليس بمغتال فقال الوالي للشيخ إن شهد لك
عدلان من المسلمين وإلا فاستوف منه اليمين فقال
الشيخ إنه جدله خاليا وأفاح دمه خاليا فأنى لي
شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني تلقينه اليمين
ليبين لك أيصدق أم يمين فقال له أنت المالك لذلك مع
وجدك المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام
قل والذي زين الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب
بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والأنوف
بالشمم والخدود باللهب والثغور بالشنب

والبنان بالترف والخصور بالهيف إني ما قتلت
ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفي غمدا
وإلا فرمى الله جفني بالعمش وخدي بالنمش وطرتي
بالجلح وطلعي بالبلح ووردي بالبهار ومسكي بالبخار
وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق وشعاعي بالظلام
ودولتي بالأقلام فقال الغلام الاصطلاء بالبلية
ولا الإيلاء بهذه الألية والانقياد للقود ولا الحلف بما
لم يحلف به أحد وأبى الشيخ إلا تجريعه اليمين التي اخترعها
وأمقره له جرعها ولم يزل التلاحي بينهما يستعر ومحجة
التراضي تنعر والغلام في تأبيه يخلب الوالي بتلويه
ويطمعه في أن يلبيه إلى أن ران هواه على قلبه والتاط
بلبه وسول له الوجد الذي تيمه والطمع الذي تنيمه
أن يخلص الغلام ويستخلصه وأن ينقذه من حبالة الشيخ

ثم يقتنصه. فقال للشيخ هل لك فيما هو أليق بالتقوى وأقرب
للتقوى. فقال الخصم تبيّن لأقتفيه ولا أقف فيه. فقال
أرى أن تقصر عن القيل والقال وتقتصر منه على مائة
مثقال. لا تحمل منها بعضاً وأحتمل لك الباقي عرضاً.
فقال الشيخ ما مني خلاف فلا يكن لوعدك إخلاف.
فنقده الوالي عشرين. ووزع على ذوي عنايته تكملة خمسين.
ورق نور الأصيل. وانقطع لأجله صوب التحصيل. فقال
له خذ ما راج. ودع عنك اللجاج. وعليّ في غدٍ أن أتوصل
إلى أن ينض لك الباقي ويتحصل. فقال الشيخ أقبل أمرك
على أن ألازمه ليلتي. ويرعاه إنسان مقلتي. حتى
إذا أغفى بعد إسفار الصبح بما بقي من مال الصلح. تخلصت
فأبت من قوبه. وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب.
فقال له الوالي ما أراك سمت شططاً ولا رمت فرطاً.

قال الحارث بن همام فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج السريجية
علمت أنه علم السروجية. فلبثت إلى أن ظهرت نجوم
الظلام وانتثرت عقود الزحام. ثم قصدت فناء الوالي
فإذا الشيخ للفتى كالي. فنشدته الله أهو أبو زيد فقال
إي ومحل الصيد. فقلت من هذا الغلام الذي هفت له
الأحلام. فقال هو في النسب فرخي وفي المكتسب فخي.
فقلت فهلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالي الافتتان
بطرته. فقال لو لم تبرز جبهته بالسين لما قنصت الخمسين.
ثم قال بت الليلة عندي لنطفئ نار الجوى ونزيل الهوى
من النوى. فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة وأصلي
قلب الوالي نار حسرة. قال فقضيت الليلة معه في
سمر آنق من حديقة زهر وحديقة شجر. حتى إذا
لألأ الأفق ذنب السرحان وآن انبلاج الصبح وحان

بكر من الطريق، وأذاق الوالي عذاب الحريق، وسلّم

إلى ساعة الفراق، رقعة محكمة الإلصاق، وقال ادفعها

إلى الوالي إذا سلب القرار، وتحقق منا الفرار، ففضضتها

فعل المتلمّس، من مثل صحيفة المتلمّس، فإذا فيها مكتوب

قل لوالٍ غادرته بعد بيني نادماً سادماً يعضّ اليدين

سلب الشيخ ماله وفتاه لبّه فاصطلى لظى حسرتين

جاد بالعين حين أعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين

خفّض الحزن يا معنّى فما يجدي طلاب الآثار من بعد عين

ولئن جلّ ما عراك كما جلّ لدى المسلمين رزء الحسين

فقد اعتضت منه فهماً وما يبغي اللبيب الأريب غير ذين

فاعص من بعدها المطامع واعلم أنّ صيد الظباء ليس بهين

لا ولا كل طائر يلج الفخّ ولو كان ممدّ قابا للجين

ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير خفّي حنين

فتبصّر ولا تشم كل برق ربّ برق فيه صواعق حين

واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذلّ وشين

فبلاء الفتى اتّباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي: فمزّقت رقعته شذر مذر، ولم أبال أعذر أم عذر.

المقامة الساوية الحادية عشرة

حدّث الحارث بن همّام قال: آنست من قلبي القساوة، حين حللت ساوة، فأخذت بالخبر المأثور، في مداواتها بزيارة القبور، فلما صرت إلى محلّة الأموات، وكفات الرفات، رأيت جمعاً على قبر يحفر، ومجنون يقبر، فانحزت إليهم متفكّراً في المآل، ومتذكّراً من درج من الآل، فلما ألحد الميت، وفات قول ليت، أشرف شيخ من رباوة، متخصّر بهراوة، وقد لفّع وجهه بردائه، ونكّر شخصه لدهائه، فقال: لمثل هذا فليعمل العاملون، فادّكروا

أيها الغافلون وشمروا أيها المقصرون واحسنوا النظر
أيها المستبصرون ما لكم لا تحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم
هيل التراب ولا تعبأون بنوازل الأحداث ولا تستعدون
لنزول الأجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا
تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لإلف يفقد
ولا تلتاعون لمناحة تعقد يشيع أحدكم نعش الميت
وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره
في استخلاص نصيبه ويخلي بين ودوده ودوده
ثم يخلو بمزماره وعوده طالما أسيتم على انثلام
الحبة وتناسيتم اخترام الأحبة واستكنتم
لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الأسرة
وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم
خلف الجنائز ولا تبخترتم يوم قبض الجوائز وأعرضتم

عن تعديد النوادب إلى إعداد المآدب وعن تحرق
الثواكل إلى التأنق في المآكل لا تبالون بمن هو
بال ولا تخطرون ذكر الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم
من الحمام بذمام أو حصلتم من الزمان على أمان
أو وثقتم بسلامة الذات أو تحققتم مسالمة هادم
اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم أنشد
أيا من يدعي الفهم إلى كم يا أخا الوهم
تعبي الذنب والذم وتخطي الخطأ الجم
أما بان لك العيب أما أنذرك الشيب
وما في نصحه ريب ولا سمعك قد صم
أما نادى بك الموت أما أسمعك الصوت
أما تخشى من الفوت فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو وتختال من الزهو وتنصب إلى اللهو كأن الموت ما عم

وحتّام تجافيك وابطاء تلافيك
طباعاً جمعت فيك عيوباً شملها انضمّ
اذا اسخطت مولاك فما تقلق من ذاك
وان اخفق مسعاك تلظّيت من الهمّ
وان لاح لك النقش من الاصفر تهتشّ
وان مرّ بك النعش تغاممت ولا غمّ
تعاصي الناصح البرّ وتعتاص وتزورّ
وتنقاد لمن غرّ ومن مان ومن نمّ
وتسعى في هوى النفس وتحتال على الفلس
وتنسى ظلمة الرمس ولا تذكر ما ثمّ
ولو لاحظك الحظّ لما طاح بك اللحظ
ولا كنت اذا الوعظ جلا الاحزان تغتمّ
ستذري الدم لا الدمع اذا عاينت لا جمع يقي في عرصة الجمع ولا خال ولا عمّ

كأنّي بك تنحطّ الى اللحد وتنغطّ
وقد اسلمك الرهط الى اضيق من سمّ
هناك الجسم ممدود ليستأكله الدود
الى ان ينخر العود ويمسي العظم قد رمّ
ومن بعد فلا بدّ من العرض اذا اعتدّ
صراط جسره مدّ على النار لمن امّ
فكم من مرشد ضلّ ومن ذي عزّة ذلّ
وكم من عالم زلّ وقال الخطب قد طمّ
فبادر ايّها الغمر لما يحلو به المرّ
فقد كاد يهي العمر وما اقلعت عن ذمّ
ولا تركن الى الدهر وان لان وان سرّ
فتلفى كمن اغترّ بافعى تنفث السمّ
وخفّض من تراقيك فانّ الموت لاقيك وسار في تراقيك وما ينكل ان همّ

وجانِبْ صَعْبَ الخَبَبِ لذا ساعَدَكَ الجَدّ

وزُمَّ النِّضْوَ إذْ نَدَّ فيا أسعدَ مَنْ زَمّ

ونفِّسْ عن أخي البَثِّ وصدِّقْهُ إذا نَثّ

ورُمَّ العملَ الرَّثَّ فقد أفلحَ مَنْ رَمّ

ورِشْ مَنْ ريشُهُ انحَصَّ بما عَمَّ وما خَصّ

ولا تأسَ على النَّقصِ ولا تَحرِصْ على اللَّمّ

وعادِ الخُلُقَ الرَّذْلَ وعوِّدْ كفَّكَ البَذْلَ

ولا تستمعِ العَذْلَ ونزِّهْها عن الضَّمّ

وزوِّدْ نفسَكَ الخيرَ ودَعْ ما يُعقِبُ الضَّيرَ

وهيِّئْ مَرْكَبَ السَّيرِ وخَفْ مِنْ لُجَّةِ اليَمّ

بذا أُوصيتُ يا صاحِ وقد بُحتُ كمَنْ باحْ

فطوبى لفتىً راحَ بآدابي يأتَمّ

ثم حَسَرَ رُدْنَهُ عن ساعدٍ شديدِ الأسْرِ وقد شَدَّ عليهِ جبا

المُكْرِ المُكْبِسِ متعرِّضاً للاستماحةِ في مَعرِضِ الوقاحةِ

فاختُلِبَتْ به أولئكَ الملأُ حتى تبرَّعَ كلُّهم وملأ ثم انحدرَ

من الرَّدْمِ جَذِلاً بالحَبْوةِ قال الراوي فجاذبتُهُ من

ورائهِ حاشيةَ ردائهِ فالتفتَ إليَّ مستسلِماً وواجهني

مسلِّماً فإذا هو شيخُنا أبو زيدٍ بعينِهِ ومَيْنِهِ وزَيْنِهِ وشَيْنِهِ

فقلتُ له إلى كم يا أبا زيدٍ أفانينُكَ في الكيدِ لتحاشَّ لكَ

الصيدَ ولا تبالي بمَنْ ذمَّ فأجابَ من غيرِ استحياءٍ

ولا ارتياءٍ وقال

شعر

تبصَّرْ ودَعِ اللومَ وقُلْ لي هل ترى اليومَ

فتىً لا يقمُرُ القومَ متى ذرَّبتَهُ ثَمّ

فقلتُ له بُعداً لكَ يا شيخَ النارِ وزاملةَ العارِ فما مَثَلُكَ

في طلاوةِ علانيتِكَ وخُبثِ نيَّتِكَ إلا كمثلِ رَوْثٍ مُفضَّضٍ

أو كنيفٍ مُبيَّضٍ ثم تفرَّقنا فانطلقتُ ذاتَ اليمينِ

وانطلقوا ذاتَ الشمال، وتأوّحتُ مهبَّ الجنوب ونأوا مهبّ الشمال

المقامة الثانية عشرة الدمشقية

حكى الحارث بن همّام قال شخصتُ عن العراق إلى الغوطة
وأنا ذو جُرْدٍ مربوطة، وجِدَةٍ مغبوطة، يُلهيني خَلْقُ
الذَّرع، ويزدهيني حُفولُ الضَّرع، فلما بلغتُها بعد
شِقّ النفس، وإنضاء العَنْس، ألفيتُها كما تصفها الألسُن
وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، فشكرتُ يدَ النوى
وجريتُ طَلَقَ الهوى، وطفِقتُ أفضّ بها ختومَ الشهوات
وأجتني قطوفَ اللذّات، إلى أن شرع سَفْرٌ في الإعراق
وقد استفقتُ من الإغراق، فعادني عيدٌ من تذكار
الوطن، والحنين إلى العَطَن، فقوّضتُ خيامَ الغيبة
وأسرجتُ جوادَ الأوبة، ولما تأهّبت الرفاق، واستتبّ
الاتفاق، أحجمتُ من المسير دون استصحاب الخفير

فرُدنا أمَّ كلِّ قبيلة، وأعملنا في تحصيله ألفَ حيلة، فأعوزَ
وجدانُه في الأحياء، حتى خِلنا أنه ليس من الأحياء، فغارَ
لعوزه عزومُ السيّارة، وانتدوا بباب جيرون للاستشارة
فما زالوا بين عقدٍ وحلّ، وشزرٍ وسحل، إلى أن نفِد التناجي
وفرَط الراجي، وكان حذوَهم شخصٌ متّسمٌ بميسم الشباب
ولبوسه لبوس الرهبان، وبيده سبحة النسوان، وفي
عينه ترجمة النشوان، وقد قيّد لحظه بالجمع، وأرهف
أذنه لاستراق السمع، فلما آن انكفافهم، وقد برّح له
خفارُهم، قال لهم يا قوم ليفرخ كربُكم، وليأمن سربُكم
فسأخفركم بما يسرو روعَكم، ويبدو طوعكم، قال الراوي
فاستطلعناه طِلْعَ الخفارة، واستنلناه الجعالة عن السفارة
فزعم أنها كلماتٌ لقِنها في المنام، ليحترس بها من كيد الأنام
فجعل بعضنا يومض إلى بعض، ويقلّب طرفيه بين لحظٍ وغضّ

وبشّر له أنّا استضعفنا الخبر، واستشعرنا الخوف فقال
مالكم قد اتخذتم جدّي عبثاً وجعلتم تبرّي خبثاً
ولطالما والله جبت مخاوف الأقطار وولجت مقاحم الأخطار
فغنيت عن مصاحبة خفير، واستصحاب جفير، ثم
إني سأنفي ما رابكم، وأستسل الحذر الذي نابكم، بأن
أوافقكم في البداوة وأرافقكم في السماوة، فإن صدقكم
وعدي، فاجدوا وأسعدكم، وأسعدوا جدي، وإن كذبكم
فمي، فمزّقوا أديمي، وأريقوا دمي، قال الحارث بن همام
فألهمنا تصديق رؤياه، وتحقيق ما رواه، فنفينا عنه
مجادلته، واستمعنا على معادلته، وفصمنا لقوله عرى
الريث، وألغينا اتقاء العائث والعيث، ولما
عقيب الترحال، وأزف الترحال، استثرنا كلماته الراقية
لنجعلها الواقية الباقية، فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن
ثم قال وليقل

كلما أظلّ الملوان، ثم ليقل بلسان خاضع، وصوت خاشع،
اللهم يا محيي الرفات، ويا دافع الآفات، ويا واقي
المخافات، ويا كريم المكافآت، ويا موئل العفاة، ويا
ولي العفو والمعافاة، صلّ على محمد خاتم أنبيائك، ومبلّغ
أنبائك، وعلى مصابيح أسرته، ومفاتيح نصرته، وأعذني
من نزغات الشياطين، ونزوات السلاطين، وإعنات الباغين
ومعاناة الطاغين، ومعاداة العادين، وعدوان
المعادين، وغلب الغالبين، وسلب السالبين، وحيل المحتالين
وغيل المغتالين، وأجرني اللهم من جور المجاورين
ومجاورة الجائرين، وكفّ عني أكفّ الظالمين، وأخرجني
من ظلمات الظالمين، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اللهم احفظني في تربتي وغربتي، وغيبتي وأوبتي، ونجعتي
ورجعتي، وتصرّفي ومنصرفي، وتقلّبي ومنقلبي، وتحفّظي

في نفسي ونفائسي، وعرسي وعرضي، وعددي وعُددي
وسكني ومسكني، وحوزي وحالي، ومآلي ومالي، ولا تلجئني إلى
تغييرا، ولا تسلط علي مغيرا، واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا، اللهم احرسني بعينك وعونك، واخصصني بأمنك
ومنك، وتولني باختيارك وخيرك، ولا تكلني إلى كلاءة غيرك،
وهب لي عافية غير عافية، وارزقني رفاهية غير واهية،
واكفني مخاوف اللأواء، واكنفني بغواشي الآلاء، ولا تظفر
بي أظفار الأعداء، إنك سميع الدعاء، ثم أطرق لا يدير
لحظا، ولا يحير لفظا، حتى قلنا قد أبلسته خشية، أو
أخرسته غشية، ثم أقنع رأسه، وصعد أنفاسه، وقال
أقسم بالسماء ذات الأبراج، والأرض ذات الفجاج، والماء
الثجاج، والسراج الوهاج، والبحر العجاج، والهواء العجاج،
إنها لمن أنجم العوذ، وأغنى عنكم من لابسي الخوذ، من درسها

عند ابتسام الفلق، لم يشفق من خطب إلى الشفق، ومن
ناجى بها طليعة الغسق، أمن ليلته من السرق، قال الراوي
فتلقفناها حتى أتقناها، وتدارسناها لكي لا ننساها، ثم
سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة، ونحمي الحمولات
بالكلمات لا بالكماة، وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة،
ولا يستنجز منا العدات، حتى إذا أعيانا أطلال عانة،
قال لنا الإعانة الإعانة، فأحضرنا له المعلوم والمكتوم،
وأريناه المظلوم والمختوم، وقلنا له اقض ما أنت قاض،
فما تجد فينا غير راض، فما استخفه سوى الخف والزر،
ولا حلي بعينه غير العين، فاجتاز منهما وقره، وما
يستقل به فقره، ثم خالسنا مخالسة الطرار، وانصلت
منا انصلات الفرار، فأوحشنا فراقه، وأدهشنا
امراقه، ولم نزل ننشده بكل ناد، ونستخبر عنه كل
مغد وهاد،

الى ان قيل من حجر عانه ما زايل الحانه فاغراني
هذا القول بسبره والانسلاك فيما لست من سلكه فادّلجت
الى الدسكرة في هيئة منكرة فاذا الشيخ في حلة ممصّرة
بين دنان وعصّار وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر
وآس وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان
وطورا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان
واخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتغاير
يومه من امسه قلت له اولى لك يا ملعون انسيت يوم جيرون
فضحك مستغربا ثم انشد مطربا يقول

لزمت السفار وجبت القفار
وعفت النفار لاجني الفرح
وخضت السيول ورضت الخيول
لجر ذيول الصبى والمرح
وامطت الوقار وبعت العقار
لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح الى شرب راح
لما كان باح فمي بالملح
ولا كان ساق دهاء الرفاق
لارض العراق بحمل السبح
فلا تغضبن ولا تصخبن
ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ ابن
بمغنى اغن ودن طفح
فان المدام تقوي العظام
وتشفي السقام وتنفي الترح
واصفى السرور اذا ما الوقور
اماط ستور الحيا واطرح

وأخي الغرام إذا المستهام
أزال اكتتام الهوى وافتضح
فبح بهواك وبرد حشاك
فزند أساك به قد قدح
وداو الكلوم وسل الهموم
ببنت الكروم التي تقترح
وخص الغبوق بساق يسوق
بلاء المشوق إذا ما طمح
وشاد يشيد بصوت مديد
يصير الحديد له إن صدح
وعاص النصيح الذي لا يبيح
وصال المليح إذا ما سمح
وجل في المحال ولو بالمحال ودع ما يقال وخذ ما صلح

المحال بالكسر مجادلة الشيء ومعالجته بالحيلة

وفارق أباك إذا ما أباك
ومد الشباك وصد من سنح
وصاف الخليل وناف البخيل
وأول الجميل ووال المنح
ولذ بالمتاب أمام الذهاب
فمن دق باب كريم فتح

فقلت له بخ بخ لروايتك وأف وتف لغوايتك فبالله من أي الأعراب عيصك فقد أعضل علي عويصك فقال ما الجبن أن أفصح عني ولكني سأكني أنا أطروفة الزمان وأعجوبة الأمم وأنا الحول الذي احتال في العرب والعجم غير أني ابن حاجة هاضه الدهر وهضم وأبو صبية بدوا مثل لحم على وضم وأخو العيلة المعيل إذا احتال لم يلم

قال الراوي فعرفت حينئذ أنه أبو زيد ذو الريب والعيب
ومسوّد وجه الشيب وساءني عظم تمرده وقبح
تورّده فقلت له بلسان الأنفة وإدلال المعرفة
ألم يأن لك يا شيخنا أن تقلع عن الخنا فتعصّب وتزمجر
وتنكّر وفكّر ثم قال إنها ليلة مراح لا ليلة تلاح
ونهزة شرب راح لا لهاج فجُد عما بدا إلى أن تلاقي
غدًا ففارقته فرقًا من عربدته لا تخلّقًا بعدته
وبتّ ليلتي لابسًا حداد الندم على نقلي خطى القدم
إلى ابنة الكرم لا الكريم وعاهدت الله سبحانه وتعالى
ألا أحضر بعدها حانة نبّاذ ولو أعطيت ملك بغداد
ولا أشهد معصرة الشراب ولو رُددت إلى عصر
الشباب ثم إنا رحّلنا العيس وقت التغليس
وخلّفنا الشيخين أبي زيد وإبليس

المقامة الثالثة عشرة البغدادية

روى الحارث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء مع
مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبارٍ بغبار ولا
يجري معهم مُمارٍ في مضمار فأفضنا في حديث يفضح
الأزهار إلى أن نصفنا النهار فلما غاض درّ الأفكار
وصبت النفوس إلى الأوكار لمحنا عجوزًا تُقبل من البعد
وتحضر إحضار الجُرد وقد استتلت صبية أنحف من
المغازل وأضعف من الجوازل فما كذّبت إذ رأتنا أن
عرتنا حتى إذا ما حضرتنا قالت حيّا الله المعارف
وإن لم يكنّ معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الأرامل
أني من سروات القبائل وسريّات العقائل لم يزل
أهلي وبعلي يحلّون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر
ويولون اليد فلما أردى الدهر الأعضاد وفجع بالجوارح

الأنداد، وانقلب ظهرًا لبطن، ونبا الناظر، وجفا الحاجر، وكان
ووهت العين، وفقدت الراحة، وصلد الزند، ووهنت
اليمين، وبانت المرافق، ولم تبق لنا ثاغية ولا ناب، فمذ
اغبر العيش الأخضر، وازور المحبوب الأصفر، اسود
يومي الأبيض، وابيض فودي الأسود، حتى رثى لي
العدو الأزرق، فحبذا الموت الأحمر، وتلوي من
ترون عينه فراره، وترجمانه اصفراره، قصوى بغية
أحدهم بردة، وقصارى منيته بردة، وكنت آليت
أن لا أبذل الحر إلا للحر، ولو أنني مت من الضر، وقد
ناجتني القرونة، بأن توجد عندكم المعونة، وآذنتني
فراسة الحوباء، بأنكم ينابيع الحباء، فنضر الله امرأ
أبر قسمي، وصدق توسمي، ونظر إلي بعين يقذيها
الجمود، ويقذيها الجود، قال: فهمنا لبراعة عبارتها

وملح استعارتها، وقلنا لها: قد فتن كلامك، وكيف
إلحامك؟ فقالت: يفجر الصخر، ولا فخر، فقلنا: إن
جعلتنا من رواتك، لم نبخل بمواساتك، فقالت:
لأرينكم أولا شعاري، ثم لأروينكم أشعاري، فأبرزت
ردن درع دريس، وبرزت برزة عجوز دردبيس،
وأنشأت تقول:

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ... ريب الزمان المتعدي البغيض
يا قوم إني من أناس غنوا ... دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع ... وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت ... في السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم ... ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا ... ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى ... بحار جود لم أخلها تغيض

يا رازق النعاب في عشه النعاب فرخ الغراب وخصه بالذكر لان الغراب ينفر عن فراخها لكونها بيضاء حين ما ينقفض فيرسل الله تعالى وهي تفتح افواهها ذبابا يدخل فيها فتتغذى بها حتى اذا اسودت انقطع عنها الذباب وعاد الغراب مربيا وهذا البيت في محل النصب على انه مفعول نادوه

وأودعت منهم بطون الثرى ... أسد التعادي وأساة المريض

فحملتي بعد المطايا المطا ... وموطئي بعد اليفاع الحضيض

وأفرخي ما تأتلي تشتكي ... بؤسا له في كل يوم وميض

إذا دعا القانت في ليله ... مولاه نادوه بدمع يفيض

يا رازق النعاب في عشه ... وجابر العظم الكسير المهيض

أتح لنا اللهم من عرضه ... من دنس اللؤم نقي رحيض

يطفي نار الجوع عنا ولو ... بمذقة من حازر أو مخيض

فهل فتى يكشف ما نابهم ... ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذي تعنو النواصي له ... يوم وجوه الجمع سود وبيض

لولاهم لم تبد لي صفحة ... ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب، واستخرجت خبايا الجيوب، حتى ماحها من دينه الامتياح، وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح، فلما انعوعم جيبها

٥١

تبرا، وأولاها كل منا برا، تولت يتلوها الأصاغر، وفوها بالشكر فاغر، فاشرأبت الجماعة بعد ممرها، إلى سبرها، لتبلو مواقع برها، فكفلت لهم باستنباط السر المرموز، ونهضت أقفو أثر العجوز، حتى انتهت إلى سوق مغتصة بالأنام، مختصة بالزحام، فانغمست في الغمار، وأملست من الصبية الأغمار، ثم عاجت بخلو بال، إلى مسجد خال، فأماطت الجلباب، ونضت النقاب، وأنا ألمحها من خصاص الباب، وأرقب ما ستبدي من العجاب، فلما انسفرت أهبة الخفر، رأيت محيا أبي زيد قد سفر، فهممت بأن أهجم عليه، لأعنفه على ما أجرى إليه، فاستلقى استلقاء المتمردين، ثم رفع عقيرة المغردين، واندفع ينشد

يا ليت شعري أدهري ... أحاط علما بقدري

وهل درى كنه غوري ... في الخدع أم ليس يدري

كم قد قمرتُ بنيهِ ❊ بحيلتي وبمكري

وكم برزتُ بعُرفٍ ❊ عليهمِ وبنُكرِ

أصطادُ قوماً بوعظٍ ❊ وآخرين بشعرِ

وأستفزُّ بخَلٍّ ❊ عقلاً وعقلاً بخمرِ

وتارةً أنا صخرٌ ❊ وتارةً أختُ صخرِ

ولو سلكتُ سبيلاً ❊ مألوفةً طولَ عمري

لخابَ قِدحي وقَدْري ❊ ودامَ عُسري وخُسري

فقُلْ لمن لامَ هذا ❊ عُذري فدونكَ عُذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرتُ على جليّة أمره وبديعة أمره وما زخرفه في شعره من عُذره علمتُ أنّ شيطانه المَريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد فثنيتُ إلى أصحابي عناني وأبثثتُهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

وجموا اي اشتد حزنهم حتى امسكوا عن الكلام

المقامة الرابعة عشرة المكية

حكى الحارث بن همام قال نهضتُ من مدينة السلام لحجّة الإسلام فلما قضيتُ بعون الله التفث واستبحتُ الطيبَ والرفث صادف موسمُ الخَيف معمعانَ الصيف فاستظهرتُ للضرورة بما يقي حرَّ الظهيرة فبينما أنا تحت طرافٍ مع رفقةٍ ظرافٍ وقد حمي وطيسُ الحصباء وأعشى الهجيرُ عينَ الحرباء إذ هجم علينا شيخٌ متسعسعٌ يتلوه فتىً مترعرعٌ فسلّم الشيخُ تسليمَ أديبٍ أريبٍ ومحاورٍ محاورةَ قريبٍ لا غريبٍ فأعجبنا بما بهر من بسطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف ولجتَ وما استأذنتَ فقال أمّا أنا فعافٍ وطالبُ إسعافٍ وسرُّ ضرّي غيرُ خافٍ والنظرُ إليَّ يشفيني

لي كاف، وأما الأنساب الذي علق به الأذناب فما هو
بعجاب، إذ ما على الكرام من حجاب، فسألناه أنى اهتدى
إلينا، وبم استدل علينا، فقال إن للكرم نشرا
ينم بمحياه، ويرشد إلى روضه وجناه، فاستدللت
بنابح عرفكم على نبل عرفكم، وبشرني تضوع ريكم
بحسن المنقلب من عندكم، فاستخبرناه عن لبانته
بإغاثته، فقال إن لي مأربا، ولفتاي مطلبا، فقلنا
كلا المرامين سيقضى، وكلاكما سوف يرضى، ولكن
الكبير الكبير، فقال أجل ومن رجال السبع الغبير،
ثم وثب للمقال كالمنشط من العقال، ولبث ينشد يقول

إني امرؤ أبدع بي ... بعد الوجا والتعب
وشقتي شاسعة ... يقصر عنها خببي
وما معي خردلة ... مطبوعة من ذهب

قبيلتي منتسبة ... وحيرتي تلعب بي
إذا ارتحلت راجلا ... خفت دواعي العطب
وإن تخلفت عن الركب ... فقد ضاق مذهبي
زفرتي في صعد ... وعبرتي في صبب
وأنتم منتجع الركب ... وأقصى مرمى الطلب
نوالكم منتقلة ... وله انهلال الصيب
وجاركم في حرم ... ووفركم في حرب
ما لاذ من لاذ بكم ... فخاف ناب النوب
ولا استدر آمل ... حياكم فما حبي
فاستبطوا في قصتي ... واغتنموا منقلبي
فلو بلوتم عيشتي ... في مطعمي ومشربي
لساءكم ضر الذي ... أسلمني للكرب
ولو خبرتم حسبي ... ونسبي ومذهبي

عراه الأمر واعتراه أي غشيه

وها جوت معرب فتى | من العلوم النجب
بما أعيت بكم شبهة | في ارداني أدبي
فليتني لم أكن | أرضعت ثدي الأدب
فقد دهاني شؤمه | وعقني فيه أبي

الفاء في فقد لتعليل التمني

فقلنا له أما أنت فقد صرحت أنباؤك بفاقتك، وعطبت ناقتك، وسنستطيب ما يوصلك إلى بلدك، فما مأربة ولدك. فقال له قم يا بني كما قام أبوك، وقل بما في نفسك لا فض فوك. فنهض الفتى نهوض البطل للبراز، واصلت لسانا كالعضب الجراز، وأنشأ يقول:

يا سادة في المعالي | لهم مبان مشيدة
ومن إذا ناب خطب | قاموا بدفع المكيدة
ومن يهون عليهم | بذل الكنوز العتيدة
أريد منكم شواء | وجردقا وعصيدة
فإن غلا فرقاق | به توارى الشهيدة

الخبز الرقيق

أو لم يكن ذا ولا ذا | فشبعة من ثريدة
فإن تعذر طرا | فعجوة وهبيدة
فاحضروا ما تيسر | ولو شطا من قريدة
وروحوه فنفسي | لما يروح مريدة
والزاد لا بد منه | للرحلة البعيدة
وأنتم خير رهط | يدعون عند الشديدة
أيديكم كل يوم | لها أياد جديدة
وباحلكم واجداكم | تشمل الصلات المفيدة
وبغيتي في مطاوي | ما تزودون زهيدة
وفي أجر وعقبى | تنفيس كرب حميدة
وفي نتاج فكر | يقصعن كل قصيدة

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الأسد، رجلنا الوالد وزودنا الولد، فقابلا الصنع بشكر نشرا أرديته

وادّ يا به دينه، ومثاعن ما على الانطلاق، وعقد للرحلة حبل النطاق، قلت للشيخ هل صاحبت عدة ساعده عن فوز، او قضيت حاجة في نفس يعقوب، فقال حاش لله وكلا، بل جل معه وفهم ونجا، فقلت له قد ألهاك نداك، وأقذاك كما أفزاك، اين الدويرة، فقد ملكتنا فيك الحيرة، فتنفس تنفس من ادكر اوطانه، وانشد والشهيق يقطع لسانه،

سروج داري ولكن ... كيف السبيل اليها
وقد اناخ الاعادي ... بها واخنوا عليها
فوالتي سرت ابغي ... حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شيء ... مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع، وآذنت مدامعه بالهموع، فكره ان يستوكفها، ولم يملك ان يكفكفها، فقطع انشاده المستحلى، واوجز في الوداع وولى،

المقامة الخامسة عشر الفرضية

اخبر الحارث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب، هامية الرباب، ولا ارق صب طريد عن الباب، ومني بصد الاحباب، فلم تزل الافكار يهجن مني، ويغلين الوساوس وهمي، حتى تمنيت لمضض ما عانيت، ان ارزق سميرا من الفضلاء، ليقصر طول ليلتي الليلاء، فما انقضت منيتي، ولا اغمضت مقلتي، حتى قرع الباب قارع، له صوت خاشع، فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد اثمر، وليل الحظ قد اقمر، فنهضت اليه عجلان، وقلت من الطارق الآن، فقال غريب اجنه الليل، وغشيه السيل، ويبتغي الايواء لا غير، واذا استحجر قدم السير، قال فلما بادر شعاعه على شمسه، ونم عنوانه بسر طرسه، علمت ان مسامرته غنم، ومساهرته نعم، ففتحت

الباب بابتسام، وقلت ادخلوها بسلام، فدخل شخص
قد حنى الدهر صعدته، وبلّ القطر من هدبته، فحيّا
بلسان عضب، وبيان عذب، ثم شكر على تلبية صوته،
واعتذر من الطروق في غير وقته، فأدنيته بالمصباح
المتقد، وتأملته تأمل المنتقد، فألفيته أبا زيد بلا
ريب، ولا رجم غيب، فأحللته محل المفتقد من أظفرني
بمقصوى الطلب، وتعلى من وقذ الكرب إلى روح الطرب،
ثم أخذ يشكو الأين، وأخذت في كيف وأين، فقال ابلغني
ريقي فقد أتعبني طريقي، فظننته مستنبطا للسغب
متكسلا لهذا السبب، فأحضرته ما يحضر للضيف
المفاجي، في الليل الداجي، فانقبض انقباض المحتشم،
وأعرض إعراض المتشم، فسؤت ظنا بامتناعه،
واحفظني غؤور طباعه، حتى كدت أغلظ له في الكلام

والسبحة نمّة الملام، فتنزّه من لمحات بالطوى،
ما جاس من خاطري، فقال يا ضعيف الثقة، بأهل المقة،
عدّ عما أخطرته بالك، واستمع لي لا أبا لك، فقلت
يا أخا الترهات، فقال اعلم أني بتّ البارحة حليف
إفلاس، ونجي وسواس، فلما قضى الليل نحبه،
وغوّر الصبح شهبه، غدوت وقت الإشراق، إلى
بعض الأسواق، متصديا لصيد يسنح، أو حرّ يسمح
فلحظت هناك ثمرا قد حسن تنضيده، وأحسن إلى مضيفه
نحج على التحقيق، صفاء الرحيق، ونقاء العقيق
وقبالته لبأ قد برز كالإبريز الأصفر، وتحلى في
اللون المزعفر، وهو ينادي على طاهيه بلسان
نائيه، ويعوّل رأى متنبهه، ولو نقد حبة القلب
فيه، فأسرتني الشهوة بأشطانها، وأسلمتني العيمة

الى سلطانها، فبقيت احير من ضب، واذهل من
صب، لا اجد يوصلني الى نيل المراد، ولا لذة الازدياد،
ولا قدم تطاوعني على الذهاب، مع حرقة الالتهاب،
لكن جررت الى القرم وسورته، والسغب وفورته،
على ان انتجع كل ارض، واقتنع من الورد برض، فلم
ازل ابتغي ذلك النهار، ادلي دلوي في الادهار،
ومي لا ترجع ببلة، ولا تجلب نقع غلة، الى ان
جنحت الشمس للغروب، وضعفت النفس من اللغوب،
فرحت بكبد حرى، وانثنيت اقدم رجلا واوخر
اخرى، وبينما انا اسعى واقعد، واصوب واصعد، اذ
قابلني شيخ بتاقة اخذه التكلان، وعيناه تهملان، فما
شغلني ما انا فيه من درك الذنب، والخوف المذيب،
عن تعاطي مداخلته، والطمع في مخالبته، فقلت له يا

هذا ان انكايد لسيرا، ووراء نجرى قل لسبرا، فالمغني
على بحر تحايك، وتحدثني من نجحايك، فانك ستجد مني
طبا آسيا، او عونا مواسيا، فقال والله ما ناء قومي
لعيثر فان، ولا من دهر افتان، بل لاني امر العلم
ودروسه، وافول اقماره وشموسه، فقلت واي حادثة
نجمت، واي قضية استعجمت، حتى هاجت لك الاسف
على فقد من سلف، فابرز رقعة من كمه، واقسم بابيه
وامه، لقد انزلها باعلام المدارس، فما امتازوا عن
الاعلام الدوارس، واستنطقوا لها احبار المحابر، فخرسوا
ولا خرس سكان المقابر، فقلت ارنيها فلعلي اغني
فيها، فقال ما ابعدك في المرام، فرب رمية من غير رام،
ثم ناولنيها، فاذا المكتوب فيها، شعر
ايها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فما له من شبيه

أفتنا في قضية حاد عنها * كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر * تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها المرء * أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها * ما تبقى بالإرث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا * فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها * وخبرت سرها * قلت له على الخبير بها سقطت * وعند ابن بجدتها حططت * إلا أني مضطرم الأحشاء * مضطر إلى العشاء * فإن رمت مثواي * ثم استمع فتواي * فقال لقد أنصفت في الاشتراط * وتجافيت عن الاشتطاط * فصر معي إلى مربعي لتظفر بما تبتغي * وتنقلب كما ينبغي * فأصحبته إلى ذراه * كما حكم الله * فأدخلني بيتاً أحرج من التابوت * وأوهى من بيت العنكبوت * إلا أنه جابر ضيق ربعه بتوسعة ذرعه في معاملتي في القرى * ومطايبة ما يشتهي

فقلت أريد أزهى راكب * على أشهى مركوب * وأنفع صاحب مع أضر مصحوب * فأطرق ساعة طويلة * ثم قال لعلك تبغي بنت نخيلة * مع لباء سخيلة * فقلت إياهما عنيت * ولأجلهما تعنيت * فنهض نشيطاً * ثم ربض مستشيطاً * وقال اعلم أصلحك الله * أن الصدق نباهة * والكذب عاهة * فلا يحملنك الجوع الذي * هو شعار الأنبياء * وحلية الأولياء * على أن تلحق بمن مان * وتتحلى بالخلق الذي جانب الإيمان * فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها * وتأبى الدنية ولو اضطرت إليها * ثم إني لست لك بزبون * ولا أغضي على صفقة مغبون * وها أنا قد أنذرتك قبل أن ينصك البتة * ويتحقق بيننا الوثوق * فلا تلغ ترتيب الإنذار * وحذار من المكاذبة

جذاب، فقلت له والذي حرّم أكل الربوا، وأحلّ أكل اللبا،
ما فهت بزور، ولا دلّيت بغرور، وستخبر حقيقة الأمر،
وتحمد بذل اللبا والتمر، فصدّق حصافة المصدوق،
وانطلق مهرولا إلى السوق، فما كان بأسرع من أن أقبل
بحمّال يرزح، ووجهه يكلح، فوضعهما لديّ، ووضع المئزر
عليّ، وقال اضرب الجبين بالجبين، تحظ بلذة العيش، قال
فحسرت عن ساعد النهم، وحملت حملة الفيل المغتلم،
وهو يلحظني كما يلحظ الحنق، ويودّ من الغيظ لو
أخنق، حتى إذا أهلكت النوعين، وغادرتهما أثرا
بعد عين، أقبل حيرة في أطلال الأبيات، وفكره
في جواب الأبيات، فقال لي أن قم، وأحضر الدواة
والأقلام، وقال قد ملأت الجراب، فأمل الجواب،
وإلا فتهيّأ إن نكلت، لاغترام ما أكلت، فقلت له

ما عندي إلا التحقيق، فاكتب الجواب وبالله التوفيق،
قل لمن يلغز المسائل إني، كاشف سرّها الذي يخفيه
إن ذاك الميت الذي قدّم الشرع، أخا عرسه على ابن أبيه
رجل زوّج ابنه عن رضاه، بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه، فجاءت بابن يسرّ ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء، وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجدّ، وأولى بإرثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للعر، س ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو من، فضل أخوها من أمها باقيه
وتخلّى الأخ الشقيق من الإ، رث وقلنا له [illegible]
هاك مني الفتيا التي ينتحيها، كل قاض يقضي وكل فقيه
قال فلما أثبت الجواب، واستصوب منه الصواب، قال لي
أهلك والليل، فشمّر الذيل، وبادر السيل، فقلت

أمتى بدار غربة، وفي إيواء فضل قربة، لا سيما
وقد أغدف قميص الظلام، وسبح الرعد في الغمام،
فقال أعزب عافاك الله إلى حيث شئت، ولا تطمع
في أن تبيت، فقلت ولم ذلك مع خلو دارك، قال
لأني أنهى النطس في التقاضي فاحصر حتى لم
تبق ولم تذر من أتبلك لا تنطق في مصلحتك ولا
تراعي حفظ صحبتك، ومن امتحن فيما أفهمت،
وبطن فيما أبطنت، لم تخلص من لظى مزنقة، أو
هيضة متلفة، فدعني بالله كفافا، واخرج عني
وأنت معافى، فوالذي تحيي وتميت ما لك عندي
مبيت، فلما سمعت أليّته، وبلوت بليّته، خرجت
من بيته بالرغم، وتزود الغم تجود به السماء،
وتخبط في الظلماء، وتنبحني الكلاب، وتتقاذف

بي الأبواب، حتى ساقني إلى بابه لطف القضاء، فشكوت إليه الجفا،
فقلت له أخيب بقائل المناخ، إلى قلي المرتاح، ثم أخذ
يفتن في حكاياته، ويبسط مضحكاته بمبكياته، إلى أن
عطس أنف الصباح، وهتف داعي الفلاح، فقام
لإجابة الداعي، ثم عطف إلى وداعي، فعقبته عزمة انبعاث،
وقلت له الضيافة ثلاث، فناشد وحرج، ثم أم المخرج
وأنشد يقول إذ عرج

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون إليه

قال الحارث بن همام، فودعته بقلب دامي القرح
ووددت لو أن ليلتي بطيئة الصبح

المقامة السادسة عشرة المغربية

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلاة المغرب

في بعض مساجد المغرب، فلما اديتها بفضلها

وشفعتها بنفلها، اخطرني رفقة قد انتدوا

ناحية، وامتازوا صفوة صافية، وهم يتعاطون

كاس المنافثة، ويقتدحون زناد المباحثة، فرغبت

في مجاذبتهم لكلمة تستفاد، وادب يستزاد،

فسعيت اليهم، سعي المتطفل عليهم، وقلت لهم

اتقبلون نزيلا لا يطلب جنى الا سمار، لا جنى الثمار،

ويبغي ملح الحوار، لا ملحاء الحوار، فحلوا لي

الحبا، وقالوا مرحبا مرحبا، فلم اجلس الا

لمحة بارق خاطف، او نغبة طائر خائف، حتى

غشينا جواب، على عاتقه جراب، فحيانا بالكلمتين

وحيا المسجد بالتسليمتين، ثم قال يا اولي

الالباب، والفضل اللباب، اما تعلمون

ان انفس القربات، تنفيس الكربات، وامتن اسباب

النجاة، مواساة ذوي الحاجات، واني ومن

اجلني بساحتكم، واتاح لي استماحتكم، لشريد

محل قاص، وبريد صبية خماص، فهل في الجماعة

من يفثأ عنا حما المجاعة، فقالوا له يا هذا انك

حضرت بعد العشاء، ولم يبق الا فضالات العشاء،

فان كنت بها قنوعا، فما تجد فينا منوعا، فقال ان اخا

الشدائد، ليقنع بلفاظات الموائد، وتفاضات المزاود،

فامر كل منهم عبده، ان يزوده ما عنده، فاعجبه

الصنع، وشكر عليه، وجلس يرقب ما يحمل اليه، وثنينا

نحن الى استثارة ملح الادب، وعيونه، واستنباط معينه

من عيونه، الى ان جلنا فيما يستحيل بالانعكاس،

كقولك ساكب كاس، فتداعينا الى ان نستنتج له الافكار،

ونفترع منه الابكار على ان ينظم البادي ثلث جمانات
في عقده ثم تتدرج الزيادات من بعده فيربع ذو مخمسه
في نظمه ويسبع صاحب مسبعه على رغمه قال الراوي
وكنا قد استطمنا عدة اصابع الكف وتألفنا الفة اصحاب الكهف
فابتدر لعظم محنتي صاحب ميمنتي وقال لم اخا مل
وقال ميامنه كبر رجاء اجر ربك وقال الذي
يليه من يرب اذا بر ينم وقال الآخر
سكت كل من نم لك تكس وافضت النوبة الي
وقد تعين نظم السمط السباعي علي فلم يزل فكري
يصوغ ويسبك ويثري ويحسر وفي ضمن ذلك استطعم
فلا اجد من يطعم الى ان ركد النسيم وحصحص التسليم
فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام لشفى
الداء العقام فقالوا لو نزلت هذه باياس لابلس منها

على اياس وجعلنا نفيض في استصعابها واستغلاق
بابها وذلك الموفور الحبتري يلحظنا لحظ المزدري
ويولف الدر ونحن لا ندري فلما غبر على اقتضابها
ونضوب حياضنا قال يا قوم ان من العناء العظيم
استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق
كل ذي علم عليم ثم اقبل علي وقال سانوب
منابك واكفيك ما نابك فان شئت ان تنثر ولا تعثر
فقل مخاطبا لمن ذم البخل واكثر العذل
لم كل مؤمل اذا لم ومالك بذل
وان احببت ان تنظم فقل للذي يوظم

اس ارملا اذا عرا … وارع اذا المرء اسا
اسند اخا نباهة … ابن اخاء دنسا
اسل جناب غاشم … مشاغب ان جلسا

أخبر إذا أحضر مرارا وآزم به لا دارسا
لا يسلك بقوى وهني يسعف ووقت نكسا

قال فلما سحرنا بآياته وخبرنا بغاياته مدحنا فتى يستغني ومنحناه إلى أن استكفى ثم شمر ثيابه وأزد فرجابه ونهض ينشد

لله در عصابة صدق المقال مقاولها
فاقوا الأنام فضائلا ما نورة وفواضلا
جاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا
نادمتهم فبلوتهم
وحللت فيهم سائلا فلقيت جودا سائلا
أقسمت لو كان الكرام حيا لكانوا وابلا

ثم تطامن بمخبر وعاد مستعيذا من الخبر وقال يا عز من عدم الآل ولكن من سلب المال إن الغاسق قد وقب ووجه المحجة قد انتقب وبيني وبين كني

ليل دامس وطريق طامس فهل من مصباح يؤمني العثار ويبين لي الآثار فلما حيي بالملتمس وجلى الوجوه ضوء القبس رأيت صاحب صيدنا هو أبو زيدنا فقلت لصحابي هذا الذي أشير إليه إذا نطق أصاب وإذا استمطر صاب فاتلعوا نحوه الأعناق وأجدوا فوابه الأحداق وسألوه أن يسامرنا ليلته على أن تجبروا عيلته فقال حبا لما أحببتم ورحبا بكم إذ رحبتم غير أني قصدتكم وأطفالي يتضاغون من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع ولئن أسأت أوبتي خامرهم الطيش ولم يصف لهم العيش فدعوني أذهب فأسد مخمصتهم وأسيغ غصتهم ثم أنقلب إليكم على الأثر متأهبا للسمر إلى السحر فقلنا لعبد الغلمة اتبعه إلى فيئته ليكون أسرع لفيئته

فانطلق معي مضطبناً جرابه، ومحتثاً ركابه، فما ابطا ان جاوز زجره، ثم عاد الغلام وحده، فقلنا ما عندك من الخبر عن الخبيث، فقال اخذ بي في طرق متعبة، وسبل متشعبة، حتى افضينا الى دويرة خربة، فقال هاهنا مناخي، ووكر افراخي، ثم استفتح بابه، واختلج من جرابه، وقال لعمري لقد خففت عني، واستوجبت الحسنى مني، فخذ نصيحة من نفائس النصائح، ومغارس المصالح، وانشد

اذا ما حويت جنى نخلة … فلا تقربنها الى قابل

واما سقطت على بيدر … فحوصل من السنبل الحاصل

ولا تلبثن اذا ما لقطت … فتنشب في كفة الحابل

ولا توغلن اذا ما سبحت … فان السلامة في الساحل

وخاطب بهات وجاوب بسوف … وبع آجلاً منك بالعاجل

ولا تكثرن على صاحب … فما مل قط سوى الواصل

ثم قال اخذ نجا في تامورك، واقتد بها في امورك، وبادر الى صحبك في كلاءة ربك، فاذا لقيتهم فابلغهم تحيتي، واتل عليهم وصيتي، وقل لهم ان غنى التبصر في الخرافات، لمن اعظم الآفات، ولست التي اجتري، ولا اجلب الضير الى راسي، قال فلما وقفنا على فحوى شعره، على نكره ومكره، تلاومنا على تركه، والاغترار بافكه، ثم تفرقنا بوجوه باسرة، وصفقة خاسرة.

المقامة السابعة عشرة القهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين، ومطامح العين، فتية عليهم سيما الحجى، وطلاوة نجوم الدجى، وهم في مماراة مشتدة الهبوب، ومباراة مشتطة الالهوب، فخضت في القصد منهم هوى المحاضرة، واستجلاء حلى المناظرة، فلما التحقت

برهطهم، وانتظمت في سمطهم، قالوا ألأنت ممن يبلي
في الهيجاء، ويدلي دلوه في الدلاء، فقلت بل أنا من نظارة
الحرب، لا من أبناء الطعن والضرب، فأضربوا عن محاجاتي
وأفاضوا في التحاجي، وكان في بحبوحة حلقتهم، وكاهل
رفقتهم، شيخ قد برته الهموم، ولوّحته السموم،
حتى أنحل من قلم، وأنحف من جلم، إلا أنه كان يبدي
العجاب إذا أجاب، وينسي سحبان كلما أبان، فأعجبت
بما أوتي من الإصابة، والتبريز على تلك العصابة، وما
زال يفصح كل معمّى، ويصمي في كل مرمى، إلى أن
خلت الجعاب، ونفد السؤال والجواب، فلما رأى انفضاض
القوم، واضطرارهم إلى الصوم، عرّض بالمطايبة،
واستأذن في المفاتحة، فقالوا له حيّاك، ومن لنا بذا،
فقال أتعرفون رسالة أرضها سماؤها، وصبحها مساؤها،

نُسجت على منوال البين، وحُلّيت في لونين، وصلّت الجهتين،
وبدت ذات وجهين، إن بُيّنت من مشرقها فناهيك
برونقها، ولا طلعت من مغربها فيا لعجبها، قال
فكأن القوم رُموا بالصمات، أو حقّت عليهم كلمة الإنصات،
فما أنس منهم إنسان، ولا فاه لهم لسان، فحين رآهم
بُكمًا كالأنعام، وصموتًا كالأصنام، قال لهم قد أجّلتكم
أجل العِدّة، وأرخيت لكم طول المدة، ثم هاهي تجمع الثمار،
وموقف الفصل، فإن سمحت خواطركم مرحبا، ولا
صلدت زنادكم قدحنا، فقالوا له والله ما لنا في لجة
هذا البحر مسبح، ولا في ساحله مسرح، فأرح أفكارنا
من الكدّ، وهنّ العطية بالنقد، واتخذنا إخوانا يثوبون
إذا وثبت، ويثبتون متى استثبت، فأطرق ساعة،
ثم قال سمعا لكم وطاعة، فاستملوا مني، وانقلوا عني،

الإنسان صنيعة الإحسان، ورب الجميل فعل الندب، وشيمة
الحر ذخيرة الحمد، وكسب الشكر استثمار السعادة، وعنوان
الكرم تباشير البشر، واستعمال المداراة يوجب المصافاة،
وعقد المحبة يقتضي النصح، وصدق الحديث حلية اللسان،
وفصاحة المنطق سحر الألباب، وشرك الهوى آفة النفوس،
وملل الخلائق شين الخلائق، وسوء الطمع يبار الورع،
والتزام الحزامة زمام السلامة، وتطلب المثالب شر المعايب،
ومنع العز بغض المودات، وخلوص النية خلاصة العطية،
وهنيئة النوال ثمن السؤال، وكلفة الكلف يسفل الخلق، ويقرن
المعونة يسني المؤونة، وفضل الصدر سعة الصدر، وزينة
الرعاة رفق السعاة، وجزاء المدائح نشر المنائح، ومفضل الوسائل
تشفيع السائل، ومجلبة الغواية استغراق الغاية، ومجاوزة
الحد نكل الجد، وتعدي الأدب يحبط القرب، وتناسي الحقوق

ينشئ العقوق، وتحاشي الريب رفع الرتب، وارتفاع الأخطار
باقتحام الأخطار، وتنوع الأقدار بموالاة الإقدار، وشرف
الأعمال في تقصير الآمال، وإطالة الفكر تنقيح الحكمة، ورأس
الرياسة تهذيب السياسة، ومع اللجاجة تلغى الحاجة،
وعند الرجاء تتفاضل الرجال، وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم،
وبتزيد السفه تهن التدبير، وبخلل الأحوال تختبر الأهوال،
وموجب الصبر ثمرة النصر، واستحقاق الإحماد بحسب الاجتهاد،
ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة، وصفاء الموالي يتعهد
الموالي، وتحلي المروات بحفظ الأمانات، واختبار الإخوان
بتعقب الأحزان، ودفع الأعداء بكف الأذى، وامتحان العقلاء
بمقارنة الجهلاء، وتبصر العواقب يؤمن المعاطب، واتقاء الشنعة
ينشر السمعة، وقبح الجفاء ينافي الوفاء، وخلوص الأخيار
عند الاختبار، ثم قال هذه مائتا لفظة تحتوي على أدب وعظة

فمن ساقها هذا المساق فلا مراء ولا شقاق ومن رام عكسها
فالبها وإن يردها على عقبها فليقل الإسرار عند الأحرار
وجوهر الوفاء يتأبى الجفاء وقبح السمعة ينشر الشنعة
ثم على هذا المسحب فليسحبها وليرصعها حتى تكون
خاتمة فقرها وأختم دررها ورب الإحسان صنيعة الإنسان
قال الراوي فلما صدع برسالته الغريبة وأملوحته
المفيدة علمنا كيف يتفاضل الإنشاء وأن الفضل بيد
الله يؤتيه من يشاء ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة
من نيله فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزأ تلامذتي
فقلت له كن أبا زيد على شحوب شحنتك ونضوب ماء وجنتك
فقال أنا هو على نحولي وحؤولي وقشف محولي فأخذت
في تزنيه على تشريقه وتغريبه نحوله واستخرج
ثم أنشد بقلب موجع يقول

سل الزمان على عطفيه لبوعي واجد غربه
واستل من جفني كراه مراغما واسال غربه
وأجالني في الأفق أطوي شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بزبله ويخرخر مثل الهر ومتهافت عليه ثم لم نلبث حلبنا الحيا وتفرقنا أيدي سبا

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

حكى الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام أنحو مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة أولي خير ومير ومعنا أبو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار إليه بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها أحد التجار فدعا إلى مأدبته

الجلى من أهل الحضارة والفلا، حتى نبذ دعوته إلى
القافلة، وجمع فيها بين الفريضة والنافلة، فلما اجتبنا
مناديه، وحللنا ناديه، أحضر من أطعمة البدو والبدن
ما حلا في الفم وحلي بالعين، ثم قدم جاما كأنما جمد من
الهواء، أو جمع من الهباء، أو صيغ من نور الفضاء، أو
قشر من الدرة البيضاء، وقد أودع لطائف النعيم،
وضمخ بالطيب العميم، وسيق إليه شرب من تسنيم، وأسفر
عن مرأى وسيم، وأرج نسيم، فلما اضطرم محضره
الشهوات، وقرمت إلى مجتنى اللهوات، وشارف
تشزر على شبه الغارات، ونادى عند هبه بالثبات
نشز أبو زيد كالمجنون، وتباعد عنه تباعد الضب من النون،
فراودناه على أن يعود، وأن لا يكون كقدار في ثمود،
فقال: والذي ينشر الأموات من الرجام، لا عذر دون

رجع الحمام، فلم يجد بدا من إلفه، وإبرار حلفه، فاشتلناه
والعقول معه شائلة، والدموع عليه سائلة، فلما فاء
إلى مجثمه، وخلص من مأثمه، سألناه لم قام، ولدى
شيء استبشع الجام، فقال: إن الزجاج نمام، وإني آليت
منذ أعوام، أن لا يضمني ونموما مقام، فقلنا: ما سبب
يمينك الصغرى، وأليتك الحرى، فقال: إنه كان لي جار
لسانه يتقرب، وقلبه عقرب، ولفظه شهد ينقع، وخبؤه
سم منقع، فملت لمجاورته إلى محاورته، وأغترت بمكاشرته
في معاشرته، واستهوتني خضراء دمنته لمنادمته،
واغتررت بخدعة شيمته بمناسمته، فمازحته وعندي أنه
جار مكاسر، فبان أنه عقاب كاسر، وانتسبته على أنه
مؤانس، فظهر أنه جبان مولس، وما خلته ولا لعلم
أنه عند نقده، ممن يفرح بفقده، وعاقرته ولم أدر أنه

بعد فترة، ممن يطن بالمقرة، وكانت عندي جارية، لا توجد
لها في الجمال مجارية، إن سفرت خجل النيران، وصليت
القلوب بالنيران، وإن بسمت أزرت بالجمان، وبيع المرجان
بالمجان، وإن رنت هيجت البلابل، وحققت سحر بابل،
وإن نطقت عقلت لب العاقل، واستنزلت العصم
من المعاقل، وإن قرأت شفت المفؤود، وأحيت
الموؤود، وخلتها أوتيت من مزامير آل داود، وإن
غنت ظل معبد لها عبداً، وقيل سحقاً لإسحاق وبعداً،
وإن زمرت أضحى زنام عندها زنيماً، بعد أن كان
لجيله زعيماً، وللأطراب زعيماً، وإن رقصت أمالت
العمائم عن الرؤوس، وأنستك رقص الحبب في الكؤوس،
فلبثت أزري معها بحمر النعم، وأحلى بتملكها جيد النعم،
وأحجب من آهلها عن الشمس والقمر، وأذود ذبابها عن

شرائع السمر، وأنا مع ذلك أشح من أن تسري بها
ريح، أو يبصرها سطيح، أو ينم عليها برق مليح، فأوشك
الحظ المبخوس، والطالع المنحوس، أن أنطقني
بوصفها جلساء المدام، عند الجار التمام، ثم ثاب الفهم
بعد أن صرح الشهم، فأحسست الخسار والوبال، وضيعة
ما أودع ذلك الغربال، بيد أني عاهدته على علم
بالفطنة، وأن يحفظ السر ولو أحفظته، فزعم أنه
يخزن الأسرار، كما يخزن اللئيم الدينار، وأنه لا يهتك
الأستار، ولو عرض لأن يلج النار، فما عبر على ذلك
الزمان، إلا يوم أو يومان، حتى بدا الأمير تلك
المدرة، وو البهاذي المقدرة، أن يقصد بارقيله
مجرداً عرض خيله، ومستمطراً عارض نيله، فأربا
أن يصحبه تحفة تلائم هواه، ليقدمها بين يدي نجواه،

وجعل يبذل الجعائل لرواده، ويستدني المراغب لطراده
يظفره بمراده، فاستفز ذلك الجار الختار الى بذوله
وعصى في ادّراع العار عذل عذوله، فأنهى الوالي
بانشاز اذنيه، وانني ما كنت اسررته اليه، فما اعتنى
الا انتشار صاغيته اليّ، وانتشار حفدته عليّ، يبتغي مني
ايثاره بالدرة اليتيمة، على ان احكّمه عليه في القيمة
فغشيني من الهم، ما غشي فرعون وجنوده من اليم
ولم ازل ادافع عنها ولا يغني الدفاع، واستشفع اليه
ولا يجدي الاستشفاع، وكلما رأى مني ازدياد العياص
وارتياد المناص، تحرّم وتضرّم، وحرّق عليّ الارّم
ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقة ربيبي، ولا بان
انزع قلبي من صدري، حتى آل الوعيد ايقاعا، والنقر
قراعا، فعاد في الاشفاق من الحين الى ان قضته

تخط

سواد العين بصفرة العين، ولم تزل الوشاة بغير الاثم
والشين، فعاهدت لله تعالى مذ ذلك العهد الا
احاضن نمّاما بغيب، والزجاج مخصوص بهذه الطباع
الذميمة، وبه يضرب المثل في النميمة، فقد جرى
عليه سيل يميني، ولكم السبب لم تمتد اليه يميني
فلا تعذلوني بعدما قد شرحته، على ان جرمتم بي اقتطاف الطعام
فقد بان عذري في صنيعي وانني، سارزق خفي في تلبثي وطائفي
على ان ما اوردتكم من فكاهة، الذ من الحلوى لدى كل عارف
قال الحرث بن همام، فقبلنا اعتذاره، وقبّلنا عذاره
وتلونا له قرءانا وقرنّ النميمة خير البشر، حتى انتشر
عن حمالة الحطب ما انتشر، ثم سألناه عما احدث جارة القتاب
ودخلة المغتاب، بعد ان راش له نبل السعاية، وجذم
حبل الرعاية، فقال اخذ في الاستخذاء والاستكانة

والاستشفاع الى ذوي المكانة، وكنت جرّبت على نفسي،
ان لا يستريحه انسي، او يبرح الى امسي، فلم يكن له
منّي سوى البرّ، والاصبار على الضبّ، وهو لا يتنكّب
من البتّه، ولا يتنكّب من وقاحة الوجه، بل يرابط بالوسائل
ويلحّ في المسائل، فما انفكّ من ابرامه، ولا انجع
عليه نيل مرامه، الا ابيات نفث بها الصدر الموتور
والخاطر المبتور، فانها كانت مدّخرة لتسليته
ومبتكنة له في اوطانه، وعند انتشارها بتّ طلاق
الحبور، ودعا بالويل والثبور، وايس من نشر وصلي
المقبور، كما يئس الكفار من اصحاب القبور، فانشدناه
ان ينشدنا اياها، ويتنشقنا رياها، فقال اجل
خلق الانسان من عجل، ثمّ انشد لا يرويه خجل
ولا يثنيه وجل ... يقول وهو يتمهّد

ونديم محضته صدق ودّي ✻ اذ توهّمته صديقا حميما
ثم اولته قطيعة قال ✻ حين الفيته صديدا حميما
فلته قبل ان تجرّب الفا ✻ ذا ذمام فبان خلفا ذميما
وتخيّرته كليما فاوسى ✻ منه قلبي بما جناه كليما
وتظنّنته معينا رحيما ✻ فتبيّنته لعينا رجيما
وترائته مريدا نجاتي ✻ عنه يبغي له مزيدا اليما
وتوهّمت ان تهبّ نسيما ✻ فابى ان يهبّ الا سموما
بئس من لشقوة الذي اعجز ✻ الراقي سليما وبات منّي سليما
وغدا امره عداة اتّقينا ✻ مستقيما والجسم منّي سقيما
لم يكن لي نعما خصيما ولكن ✻ كان بالشرّ دائبا لي خصيما
فلذا لم ابلو نيّته كا ✻ ن عديما ولم يكن لي نديما
يغضّ الصبح حين نمّ الي ✻ قلبي لان الصباح يلفي نموما
وجعاني الى هوى الليل اذ كا ✻ ن سواد الدجى رقيبا كتوما

ولكن من يشتري ولو فاه بالقند في اثنا ما فيما اتاه ولو ماه
قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه واستملح تقريظه ومدحه
وسبعه بوأه مهاد كرامته وصدره على نمرقته
ثم استحضر عشر صحاف من الغرب فيها حلواء القند
والقطر وقال له لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة ولا يستبدع ان يجعل البري كذي الظنة وهذه
الآنية تتنزل منزلة الابرار في صون الاسرار فلا تولوها
الابعاد ولا تلحقوها هود الابعاد ثم امر خادمه بنقلها
الى مثواه ليحكم فيها بهواه فاقبل علينا ابو زيد وقال
اقرءوا سورة الفتح وابشروا بانزال الفرح فقد حبس
لله تكاكم وسنى اكلكم وجمع في ظرف الحلواء شملكم
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولما همّ بالانصراف
مال الى استشهاد القيان فقال للذي ان من دلائل

الظرف سماحة المقري بالظرف فقال كلاهما والعلام
فاحذف الكلام وانهض بسلام فوثب في الحوال
وشكره شكر الروض للسحاب ثم اقتادنا ابو زيد الى
حوانيه وحكمنا في حلوائه وجعل يقلب الحلوى بيده
وينفض عدد بها على عدده ثم قال لست ادري أأشكو
ذلك الثمام ام اشكر واثنا سعى فعلته ام اذكر
فانه وان كان اسلف الجريمة ونمنم النميمة فمن
غنيمة انحلت هذه الديمة وبسيفه اجتازت هذه
الغنيمة وقد خطر ببالي ان ارجع الى اشبالي
واقنع بما تيسر لي ولا اتعب نفسي ولا اجمالي
وانا الآن مودعكم وداع محافظ واستودعكم خير
حافظ ثم استوى على راحلته راجعا في حافرته
ولاويا الى زافرته فغادرنا بعد ان وخدت عنسه

وذايتنا السنة كبيت غار صيره اولنا افلد

المقامة التاسعة عشرة النصيبية

روى الحارث بن همام قال اجتاز العراق ذات
العويم لاجتلاف انوار الغيم وتجديد البركات بحسن التخصيب
من نصيبين ولجنتها اهاليها المخصبين
فاقتعدت مصرنا واعتقلت سمهريا وسرت
تلفظني ارض الى ارض وتقرني رفع من خفض
حتى بلغتها نقضا على نقض فلما انخت بمغناها
الخصيب وضربت في مرعاها بنصيب نويت ان
القي بها عصاي واتخذ اهلها جيراني الى ان
تحيي السنة الجماد ويتعقد ارض قومي العهاد
فوالله ما مضمضت مقلتي بنومها ولا مخضت
ليلتي عن يومها او القيت ابا زيد السروجي يقول في

اذان ح

ارجاء نصيبين وتخبط بها خبط المصابين والمصابين
وهو يكثر من فيه الزبد ويخلب بكفيه الزبد
فوجدت جهادي قد جاز مغنما وقد جاء القذ قد صار
تؤاما ولم ازل اتبع ظله اينما انبعث والتقط لفظه
كلما نفث الى ان عراه مرض امتد مدته وعرقه
مداه حتى كاد يسلبه ثوب المحيا ويسلمه الى ابي يحيى
فوجدت لفوت لقياه وانقطاع سقياه ما يجده المبعد
عن مرامه والمرضع عند فطامه ثم ارجحت بان
ربضته قد علا ومخلب الحمام به قد علق فعلوت
صبيحته لاتحاف المدرفين وانثالوا الى عقوته موجفين

فبادرت نحيبهم شيوخهم كانهم ارتضعوا الخندريسا
امالوا الغرور وعطلوا الجيوب وحكوا الخدود وشقوا الرؤوسا
يذرون لو سالمته المنون وغالت نفاستهم والنفوسا

قال الراوي وكنت فيمن انتقر بأصحابه · واغذّ إلى بابه

فلما انتحينا إلى فنائه · وتصدّينا لاستئذان أبنائه

برز إلينا فتاه · معفرة شفتاه · فاستطلعناه طلع

الشيخ في شكاته · وكنه قوى حركاته · فقال قد كان في

قبضة المرضة · وعركة الوعكة · إلى أن شفّه الدنف

واستشفه التلف · ثم منّ الله بتقوية ذمائه

فأفاق من إغمائه · فارجعوا أدراجكم · وأنضوا انزعاجكم

فكأن قد غدا وراح · وساقكم البراح · فاغتبطنا ببشراه

واتّبعنا أن نراه · فبرح مؤذناً بنا · ثم خرج

آذناً لنا · فلقينا منه لقى · ولساناً طلقاً · وجلسنا

مجدقين بسريره · محدقين إلى أساريره · فقلّب طرفه

في الجماعة · ثم قال اجتلوها بنت الساعة · وأنشد

عافاني الله وشكراً له · من علة كادت تعفيني

ومنّ بالبرء علي أنه · لا بدّ من حتف سيبريني

ما بيننا ثأر ولكنه · إلى تقضّي الأجل ينسيني

إن حمّ لم يغن ولا حيلة · كليب منه لا يحميني

وما أبالي إذ أتى يومه · أم انتقى الحين إلى حيني

فإن تكن في حياة إرب · فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل · وارتداد الوجل

ثم تداعينا إلى القيام · لاتقاء الإبرام · فقال كلا

بل البثوا بياض يومكم عندي · لتشفوا بالمفاكهة وجدي

فإن مناجاتكم قوت نفسي · ومغناطيس أنسي · فتحرينا

مرضاته · وتحامينا معاصاته · وأقبلنا على الحديث

نمخض زبده · ونلغي زبده · إلى أن حان وقت المقيل · وكلّت

الألسن من القال والقيل · وكان يوماً حامي الوديقة

يانع الحديقة · فقال إن النعاس قد أمال الأعناق · وراود

الآماق

وهو حصن الذي وخطب يرد فصلوا حباله بالقيلوله
واقتدوا فيه بالآثار المنقوله قال الراوي فاتبعناه قال
وقلنا وقال فضرب الله على الآذان وافرغ السنة في
الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرفنا بالهجود
عن السجود فما استيقظنا الا والحر قد باخ واليوم
قد شاخ فتكرر عنا الصلوة العجاوين ولدينا ما جاء من
الدين ثم تجشمنا للابكار الى ملقى الرحال فالتفت
ابو زيد الى شبله وكان على شاكلته وشكله وقال اي
لخار ابا عمرة قد اضرم في احشائهم الجمرة فاستدع
ابا جامع فانه بشرى كل جائع واردفه بابي نعيم
الصابر على كل ضيم ثم عزز بابي حبيب المحبب الى كل
لبيب المتقلب بين احراق وتعذيب واصب بابي ثقيف
فحبذا هو من اليف وهلم بابي عون فما مثله من عون

ولو استحضرت ابا جميل لجمل اي تجميل وحيهلا بام
القرى المذكورة بالبشرى ولا تنسيا ابن ام جابر فلم يخلها
من ذاكر وناج ام الفرج ثم اقتل خالها ولا حرج واختم
بابي رزين فهو مسلاة كل حزين وان تضرب بابي العلاء
فنح اسمك من الغلاء واياك واستدناء المرجفين قبل
استقلال الحمول البين واذا نزع القوم عن المرابع فهات
ابا رباب فالطف عليهم ابا البشر فانه عنوان النشر
قال ففقه ابنه لطائف رموزه بلطافة تمييزه فطاف
علينا بالطيبات والطيب الى ان آذنت الشمس بالمغيب
فلما اجمعنا على النزوح قلنا الم تر الى هذا اليوم
البديع كيف بدا صبحه مطرزا ومسيه مستنيرا
فسبح حتى اطال ثم رفع راسه وقال شعر
لا تياسن عند النوب من فرجة تجلو الكرب

فلكم سموم هب ثم جرى نسيماً وانقلب
وسحاب مكروه تنشّأ فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب
ولطالما طلع الأسى وعلى تفيئته غرب
فاصبر إذا ما ناب روع فالزمان أبو العجب
وترج من روح الإله لطائفاً لا تحتسب

قال فاستملينا آياته الغر وواليناه لله تعالى الشكر
وودعناه مسرورين به مغمورين ببره

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والكنى الخفية والأبيات

ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين
والشمهرية الزجاج وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما أنها
سميت بذلك لصلابتها من قولهم اسمهر الشيء إذا اشتد وقيل إنها

منسوبة إلى سمهر زوج ردينة وكلاهما جميعاً يقومان الرماح
فنسبت إليهما وقوله نقضاً على نقض أي مهزولاً على مهزول والجران
باطن العنق وقيل منه تململ النشاط وقوله فضرب الله على آذانه
أي أنامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على آذانهم في الكهف أي
أنمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع وقوله تبرعنا
لصلاة العجماوين أي غسلنا أكارعنا وهو كناية عن الوضوء
والعجماوان صلاة الظهر والعصر سميتا بذلك لإسرار القراءة فيهما
ومنه الحديث صلاة النهار عجماء وقوله هلم أي قرب وهلم
ومعناه بمعنى هات وبمعنى أقبل والأفصح أن يستوي لفظها
مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى
والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد
هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللمؤنثة الواحدة هلمي وللاثنتين
هلما وللجمع هلممن وقوله حي هلا أي عجل يقال حي هل بفلان

بتسكين اللام وبفتحها وبتنوينها وبإثباتها لو تنور معجاوق منه
قول ابن مسعود رضي الله عنه في عمر رضي الله عنه إذا ذكر الصالحون
فحيهلا بعمر وفي حي هل لغات أخر أضربنا عن ذكرها إذ
ليس هذا موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير الألفاظ اللغوية

وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية

فأبو يحيى كنية الموت وأبو عمرة كنية الجوع ويكنى أيضا
أبا مالك وأبو جامع الخوان وأبو نعيم الخبز الحواري
وأبو حبيب الجدي وأبو ثقيف الخل وأبو عون الملح وأبو
جميل البقل وأم القرى السكباج وأم جابر الهريسة
وأم الفرج الجوذابة وأبو رزين الخبيص وأبو العلاء
الفالوذق وأبو إياس الغسول وأم جعفر الطيبة
والأثرتو وأبو الشره الجوع

المقامة العشرون وتعرف بالفارقية

حكى الحارث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة
موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يدرون ما
طعم المداجاة وكنت فيهم كمن لم يبرح عن وجاره ولا
ظعن عن أهله وجاره فلما أنخنا بها مطايا التسيار
وانتقلنا عن الأكوار إلى الأوكار تواصينا بادكار
الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا
ناديا نغشاه طرفي النهار ونتهادى فيه طرف
الأخبار فبينا نحن في بعض الأيام وقد انتظمنا في
سلك الالتئام وقف علينا ذو مقول جريء وجرس
جهوري فحيا تحية نافث في العقد قناص للأسد
ثم قال شعر

عندي يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار للبيب الأديب
رأيت في ريعان عمري أخا ... بأس له جد الحسام القضيب

يقوم في المعرك إقدام من ... يوقن بالقتل ولا يستريب

فيفرج الضيق بكرّاته ... حتى يُرى ما كان ضنكا رحيب

ما بارز الأقران إلا انثنى ... عن موقف الطعن برمح خضيب

ولا سما يفتح مستصعبا ... مستغلق الباب منيعا مهيب

إلا ونودي حين يسمو له ... نصر من الله وفتح قريب

هذا وكم من ليلة باتها ... يميس في برد الشباب القشيب

يرشف الغيد ويرشفنه ... وهو لدى الكل المفدّى الحبيب

فلم يزل يبتزّه دهره ... ما فيه من بطش وعود صليب

حتى أصارته الليالي لقى ... يعافه من كان منه قريب

قد أعجز الراقي تخليص ما ... به من الداء وأعيى الطبيب

وصار من يسمو وجار منه ... من بعد ما كان المجاب المجيب

وآض كالمنكوس في خلقه ... ومن يعش يلق دواهي المشيب

وها هو اليوم مسجّى فمن ... يرغب في تكفين ميت غريب

ثم إنه أعلن بالنحيب، وبكى بكاء المحب على الحبيب، ولما رقأت دمعته، وانتفأت لوعته، قال يا رواد الرواد، وقدوة الأجواد، والله ما نطقت ببهتان، ولا أخبرتكم إلا عن عيان، ولو كان في عصاي سير، ولغيري مطير، لما استأثرت بما دعوتكم إليه، ولما وقفت موقف الدال عليه، ولكن كيف الطيران بلا جناح، وهل على من لا يجد من جناح، قال الراوي، فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون، ويتخافتون فيما يأتون، فتوهم أنهم على صرفه بحرمان، أو مطالبته ببرهان، فغرط منه أن قال يا لامع القاع، ويا رامح البقاع، ما هذا الارتياء الذي باءه الحياء، حتى كأنكم كلفتم مشقة لا شقة، أو استوهبتم بدرة لا بردة، أو هززتم لكسوة البيت، لا لتكفين ميت، أفٍّ لمن لا تندى صفاته، ولا ترشح

حصاته فلما بصرت الجماعة بذلاقته ومرارة مذاقته
رفاه كل منهم بنيله واحتمل لله خوف سيله قال
الحارث بن همام وكان هذا السائل واقفا خلفي ومحتجبا
بظهري عن طرفي فلما ارضاه القوم بسيبهم وحق
على التأسي بهم خلعت خاتمي من خنصري ولفت اليه
بصري فاذا هو شيخنا السروجي بلا فرية ولا مرية
فايقنت انها اكذوبة لفقها واحبولة نصبها الا
انه طوى كشحه على غرة وضن بشعاة عن قرة فحييته
بالخاتم وقلت الاصدقة لنفقة المأتم فقال وانا
لك فما اضرم شعلتك واكرم فعلتك ثم انطلق
يسعى قدما ويهرول تارة قدما فنزعت
الى عرفان مبيته وامتحان دعوى ميتته فقفوت
ظنوني والحث الهوى حتى ادركته على غلوة

واجتليته في خلوة فاخذت بمجامع اردانه وعقيته عن
شنن ميدانه وقلت والله مالك مني ملجأ ولا منجا او
تريني ميتك المسجى فكشف عن سراويله واشار الى
عن موليه فقلت له قاتلك الله فما اعياك بالدهي واجراك
على الدهي ثم عدت الى اصحابي عود الرائد الذي لا
يكذب اهله ولا يرتق فتقه فاخبرتهم بالذي
رأيت وما وريت ولا رأيت فقهقهوا من كيت
وكيت ولعنوا ذلك الميت

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارث بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري
وعرفت قبيلي من دبيري بان اصغي الى العظات
والغي الكلم المحفظات لاتحلى بمحاسن الاخلاق واتخلى
مما يسم بالاخلاق وما زلت اخذ نفسي بهذا الادب

قال الخطيب وابو نعيم الحافظ مات ابن سمعون في ذي القعدة او في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ودفن في داره بشارع العتابيين فلم يزل هناك حتى نقل يوم الخميس الحادي عشر من رجب سنة ست وعشرين واربعمائة قال الخطيب وقيل لي ان اكفانه لم تكن بليت ...

وأُخمِدَ به جمرةُ الغضبِ حتى صار التطبُّعُ فيه طِباعاً والتكلُّفُ
لا هوىً مُطاعاً فلمّا حلَلتُ بالرَّيِّ وقد حلَلتُ حُبى الغيِّ
وعرفتُ الحيَّ من اللَّيِّ رأيتُ بها بُكرةً زُمرةً إثرَ زُمرةٍ
وهم منتشرون انتشارَ الجرادِ ومستنّون استنانَ
الجيادِ ومتواصفون واعظاً يقصدونه ويُحِلّون ابنَ
سمعونَ دونَه فلم يتكاءدني لاستماعِ المواعظِ واختبارِ
الواعظِ أن قاسيتُ اللاعظَ واحتملتُ الضاغطَ فصحبتُ
أصحابَ المطاوعةِ وانخرطتُ في سلكِ الجماعةِ حتى
أفضينا إلى نادٍ جمعَ الأميرَ والمأمورَ وحشدَ النبيهَ
والمغمورَ وفي وسطِها هالتُه وفي وسطِ هالتِه شيخٌ
قد تقوّسَ واقعنسسَ وتقلنسَ وتطلّسَ وهو يصدعُ
بوعظٍ يشفي الصدورَ ويُلينُ الصخورَ فسمعتُه يقولُ
وقد افتتنَ به الجمهورُ يا ابنَ آدمَ ما أغراكَ بما يغرُّكَ

وأضراكَ بما يضرُّكَ وألهجكَ بما يُطغيكَ وأبهجكَ بمن يُطريكَ
تُعنى بما يُعنيكَ وتُهمِلُ ما يَعنيكَ وتنزِعُ في قوسِ تعدّيكَ
وتتّبعُ الجورَ الذي يُرديكَ لا بالكفافِ تقتنعُ ولا
من الحرامِ تمتنعُ ولا للعظاتِ تستمعُ ولا بالوعيدِ
ترتدعُ دأبُكَ أن تتقلّبَ مع الأهواءِ وتخبِطَ خبطَ
العشواءِ وهمُّكَ أن تُثرِيَ في الأحرازِ وتجمعَ التراثَ
للورّاثِ يُعجبُكَ التكاثرُ بما لديكَ ولا تذكرُ ما بين يديكَ
وتسعى أبداً لغاربِكَ ولا تُبالي ألكَ أم عليكَ أتظنُّ
أن ستُترَكُ سُدىً ولا تُحاسَبُ غداً أو تحسبُ الموتَ يقبلُ
الرُّشا أو يُميّزُ بين الأسدِ والرَّشا كلّا واللهِ لن يدفعَ
المنونَ مالٌ ولا بنونَ ولا ينفعُ أهلَ القبورِ سوى
العملِ المبرورِ فطوبى لمن سمعَ ووعى وحقّقَ ما
ادّعى ونهى النفسَ عن الهوى وعلِمَ أنّ الفائزَ من

أن يعي وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولن يغنيه سوى

ثم أنشد إنشاد وجل بصوت زجل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى ... إذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا ... بما تقتني من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فإنه ... بمخلبه الأشغى يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره ... فكم خامل أخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما أطاعه ... أخو ضلة إلا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الإله وخوفه ... لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ... بدمع يضاهي المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابه
وإن قصارى مسكن الحي حفرة ... سينزلها مستنزل عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله ... وأبدى التلافي قبل إغلاق بابه

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها

حتى كادت الفريضة تعول والشمس تزول فلما خشعت الأصوات والتأم الإنصات واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر وجعل يجأر إليه من عامله الجائر والأمير صاغ إلى خصمه لاه عن كشف ظلمه فلما يئس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشهم وأنشد معرضا بالأمير

عجبا لراج أن ينال ولاية ... حتى إذا ما نال بغيته بغى
يسدي ويلحم في المظالم والغا ... في وردها طورا وطورا مولغا
ما إن يبالي حين يتبع الهوى ... فيما اجتلح دينه أثم أو تغا
يا ويحه لو كان يوقن أنه ... ما حاله إلا تحول لما طغى
أو لو تبين ما بداه من صغا ... سمعا إلى إفك الوشاة لما صغا
فانقد لمن أضحى الزمام بكفه ... وتغاض إن لغي الرعاية أو لغا
وارع المولى إذا دعا لرغيبه ... ورد الأجاج إذا جمام السيغا

وأجمل اداه ولو امضك منه ۞ واسأل غروب الدمع منك وافرغا

فليضحكك الدهر منه اذا نبا ۞ عنه وشبّ لحربه نار الوغا

وليبك لرزئه الشمات اذا بدا ۞ متخليا من شغله متفرغا

ولتأوين له اذا ما خده ۞ اضحى على ترب الهوان ممرغا

هذا ولسوف يوقف موقفا ۞ فيه يرى ربّ الفصاحة ألثغا

ويحشرن ذا ذلة من فرح القلا ۞ ويحاسبن على النقيصة والشغا

ويؤاخذن عما اجتنى ومن اجتبى ۞ ويطالبن بما اجتبى وبما ابتغى

ويناقشن على الدقائق مثل ما ۞ قد كان يفعل بالورى بل ابلغا

حتى يعض على الولاية كفّه ۞ ويود لو لم يبغ منها ما بغا

ثم قال ايها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الادلال بدولتك والاغترار بصولتك فان الدولة تنبو قلّب والقدرة برق خلّب وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته واشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا

تكن ممن يبذر الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعية ويؤذيها واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها والله لا يحب الفساد فما تغفل الديان ولا تهمل بالانسان بل سيوضح لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه والتمع وجعل يتأفف من الامر الذي وقع ويصل الزفرة بالزفرة ثم انه نكل عما ابى الشاكي فاشكاه والى المشكو منه فانتجاه والطف الواعظ وحباه واستنجى منه ان يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته واتبعته اخطو متقاصرا واريه لمحا باصرا فلما استشف ما اخفيه وفطن لتقلب طرفي فيه قال خير دليليك من ارشدك ثم اقترب مني وانشد

انا الذي تعرفه يا حارث ۞ حدث ملوك فكه منافث

ولا تلقى الاساءة ولا الاحسان

وعزم عليه

استشف راي من وراء الستر

أطرب ما لا تطرب المثالث * طوراً أخو جدّ وطوراً عابث

ما عبثت بي بعدك الحوادث * ولا انثنى عودي لخطب كارث

ولا دري نابي بجذ فارث * بل مخلبي بكل صيد ضابث

وكل سرح فيه ذئبي عائث * حتى كأني للأنام وارث

يا سامهم وحامهم ويافث

قال الحارث بن همام فقلت له تالله إنك لأبو زيد ولقد نفثت ولا عمرو بن عبيد فهشّ هشاشة الكريم إذا أُمّ وقال اسمع يا ابن أكرم قال

شعر

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا الله فأغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

ثم إنه ودّع أخدانه وانطلق يسحب أردانه فطلبناه من بعد بالركب واستشرنا بالخبر من مدارج الركب فما فينا من عرف قراره ولا درى أي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارث بن همام قال أويت في بعض الفترات إلى سقي الفرات فلقيت به كتّاباً أبرع من بني الفرات وأعذب أخلاقاً من الماء الفرات فأطفت بهم لنبلهم لا لنيلهم وكاثرتهم لأدبهم لا لمأدبهم فجالست منهم أضراب القعقاع بن شور ووصلت بهم إلى الكور بعد الحور حتى أنهم آثروني في الحضر والمرج وأحلوني في محل الأنملة من الضرح واتخذوني ابن أنسهم عند الولاية والعزل وخازن سرهم في الجد والهزل فاتفق أن ندبوا في بعض الأوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من الجواري المنشآت جارية كالجنة الشيات تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وتنساب في العباب كالحباب

قال الشيخ لقد اكثرتم يا قوم اللغط، وآثرتم الغلط،
وان جعلتم الحكم عندي، فارتضوا بنقدي، ولا تستفتوا
احدا بعدي، اعلموا ان صناعة الانشاء ارفع، وصناعة
الحساب انفع، وقلم المكاتبة خاطب، وقلم المحاسبة
حاطب، واساطير البلاغات تنسخ لتدرس، ودساتير
الحسبانات تنسخ وتدرس، والمنشئ جهينة الاخبار،
وحقيبة الاسرار، ونجي العظماء، وكبير الندماء،
وقلمه لسان الدولة، وفارس الجولة، ولقمان الحكمة،
وترجمان الهمة، وهو البشير والنذير والشفيع
والسفير، به تستخلص الصياصي، وتملك النواصي،
ويقتاد العاصي، ويستدنى القاصي، وصاحبه بريء
من التبعات، آمن كيد السعاة، مقرظ بين الجماعات،
غير معرض لنظم الجماعات، فلما انتهى في الفصل،

ثم دعوني الى الموافقة، واستدعوني للمرافقة، فلبيته
بلسان الموافقة، فلما توركنا على المطية الرعناء، وتبطنا
الولية الماشية على الماء، شيخا عليه سحق سربال، وسبال،
فعافت الجماعة محضره، وعنفت من احضره، وهمت
بابرازه من السفينة، لولا ما ثاب اليها من السكينة،
فلما لمح منا استثقال ظله، واستبراد ظله، تعرض
للمنافثة فصمت، وجهد لان عطس فما شمت، فاخذ
ينظر فيما آلت حاله اليه، وينتظر نصرة المنتحي عليه،
وجلنا نحن في شجون من جد ومجون، الى ان عرض ذكر
الكتابتين وفضلهما، وتبيان افضلهما، فقال قائل
ان كتبة الانشاء انبل الكتاب، ومال مائل الى تفضيل
الحساب، واحتد الحجاج، واشتد الضجاج، وامتد
اللجاج، حتى اذا لم يبق للجدال مطرح، ولا للمراء مسرح،

الى هذا الفصل لحظ من محاسن القوم انه ازدرع حبا
وبغضا وارضى بعضا واحفظ بعضا فعقب كلامه
بان قال ان صناعة الحساب موضوعة على التحقيق
وصناعة الانشاء مبنية على التلفيق وقلم الحاسب
ضابط وقلم المنشي خابط وبين اتاوة توظيف
المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لا
يدركه قياس ولا يعتوره التباس اذ الاتاوة تملأ
الاكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الاوارج
يغني الناظر واستخراج المدارج يعني الناظر ثم
ان الحسبة حفظة الاموال وجملة الاثقال والنقلة
الاثبات والسفرة الثقات واعلام الانصاف
والانتصاف والشهود المقانع في الاختلاف ومنهم
المستوفي الذي هو يد السلطان وقطب الديوان

٨٥

وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال واليه المآل
في السلم والهرج وعليه المدار في الدخل والخرج
وبه مناط الضر والنفع وفي يده رباط الاعطاء
والمنع ولولا قلم الحساب لاودت ثمرة الاكتساب
ولاتصل التغابن الى يوم الحساب ولكان نظام
المعاملات محلولا وجرح الظلامات مطلولا
وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا
على ان يراع الانشاء متقول ويراع الحساب
متأول والمحاسب مناقش والمنشي ابو براقش
ولكليهما خبر يرقى الى ان يلقى ويرقى واعنات
فيما ينشي حتى يغشى ويرشى الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم قال الحرث بن همام فلما
انتهى الاسماع بما راق وراع استنبيناه فاستثار

الرباط ما يربط به الشيء

الاكتساب خ كذا بخطه

جملة ح

الاعنات الايقاع في الامر الشاق

اي طلب ما يريب ويشكل

وأبى الانتساب، ولو وجد منتسبا بالأنساب، فبقيت
من لبسه على عمه، حتى أدركت بعد أمه، فقلت والذي
سخر الفلك الدوار، والفلك السيار، إني لأحن
إلى زيه، وإن كنت أعهده ذا رواء وأبه، فتبسم
ضاحكا من قولي، وقال أنا هو على استحالة حالي وجوي،
فقلت لأصحابي هذا الذي لا يفرى فريه، ولا يبارى
عبقريه، فخطبوا منه الود، وبذلوا له الوجد، فرغب
عن الألفة، ولم يرغب في التحفة، وقال أما بعد أن سخطتم
حقي، لأجل سجيتي، وكسفتم بالي لإخلاق سربالي،
فما أراكم إلا بالعين السخينة، ولا لكم مني إلا صحبة
السفينة، ثم أنشد يقول شعر

اسمع أخي وصية من ناصح ... ما شاب محض النصح منه بغشه

لا تعجلن بقضية مبتوتة ... في مدح من لم تبله أو خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلي ... وصفيه في حالي رضاه وبطشه

ويبين خلب برقه من صدقه ... للشائمين ووبله من طشه

فهناك إن تر ما يشين فواره ... كرما وإن تر ما يزين فأفشه

ومن استحق الارتقاء فرقه ... ومن استحط فحطه في حشه

واعلم بأن التبر في عرق الثرى ... خاف إلى أن يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها ... من حكه لا من ملاحة نقشه

ومن الغباوة أن تعظم جاهلا ... لصقال ملبسه ورونق رقشه

أو أن تهين مهذبا في نفسه ... لدروس بزته ورثة فرشه

ولكم أخي طمرين هيب لفضله ... ومفوف البردين عيب لفحشه

وإذا الفتى لم يغش عارا لم تكن ... أسماله إلا مراقي عرشه

ما إن يضر العضب كون قرابه ... خلقا ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عتم أن استوقف الملاح، وصعد من السفينة وساح،
فندم كل منا على ما فرط في ذاته، وأغضى جفنه على قذاته

وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصًا لرثاثة بُرده، وأن
لا نزدري سيفًا مخبوًا في غِمده، والله أعلم وهو أحكم

المقامة الثالثة والعشرون البغدادية

حكى الحارث بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ
الزمن، لخطبٍ خُشي، وخوفٍ غَشي، فأرّقت كأس
الكرى، ونصصت ركاب السرى، وجبت في سيري
وعورًا لم تطأها الخطى، ولا اهتدت إليها القطا، حتى
وردت حِمى الخلافة، والحرم العاصم من المخافة، فكسعت
به ذعر الروع واستشعاره، وسربلت لباس الأمن وشعاره،
وقصرت همي على لذة أجتنيها، وملحة أجتليها، فبرزت
يومًا إلى الحرم لأروّض طرفي، وأجيل في طُرَفه طرفي،
فإذا فرسان متتالون، ورجال منثالون، وشيخ طويل
اللسان، قصير الطيلسان، قد لبّب فتى جديد الشباب،
خلق الجلباب، فركضت في إثر النظارة، حتى وافينا
باب الإمارة، وهناك صاحب المعونة متربعًا في دسته، ومروّعًا بسمته،
فقال له الشيخ أعز الله الوالي، وجعل كعبه العالي،
إني كفلت هذا الغلام فطيمًا، وربّيته يتيمًا، ثم لم آلُه
تعليمًا، فلما مهر وبهر، جرّد سيف العدوان عليّ وشهر،
ولم أخله يلتوي عليّ وينتحي، حين يرتوي مني ويلتحي،
فقال له الفتى علامَ عثرت مني، حتى تنشر هذا الخبر
عني، فوالله ما سترت وجه برّك، ولا هتكت حجاب
سترك، ولا شققت عصا أمرك، ولا ألغيت تلاوة
شكرك، فقال له الشيخ ويلك، وأي ريبٍ أخزى من
ريبك، وهل عيبٌ أفحش من عيبك، وقد ادّعيت سحري
واستلحقته، وانتحلت شعري واسترققته،
واستراق الشعر عند الشعراء، أفظع من سرقة البيضاء

والصفرا

وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات الابكار
فقال الوالي للشيخ وهل حين برق سلخ ام مسخ
ام نسخ فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب
وترجمان الادب ما اخذت سوى ان بتّ شمل شرحه
واغار على ثلثي سرحه فقال له انشد ابياتك برمّتها
ليتضح ما اجتاحه من جملتها فانشد بصوت

يا خاطب الدنيا الدنية انها ... شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها ... ابكت غدا بعدا لها من دار
واذا اظل سحابها لم ينتقع ... منه صدى لجهامه الغرّار
غاراتها ما تنقضي واسيرها ... لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مزدهٍ بغرورها حتى بدا ... متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن واولغت ... فيه المدى ونزت لاخذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا ... فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها ... تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها ... حرب العدى وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجا ولو ... طال المدى وونت سرى الاقدار

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا قال اقدم للؤمه في الجزاء
على ابياتي السداسية الاجزاء فحذف منها جزءين ونقص
من اوزانها وزنين حتى صار الوزن فيها ذا رنين فقال
له الوالي بيّن ما اخذه ومن اين فلذه فقال ارعني
سمعك واحلل للتفهم عني ذرعك حتى تبين كيف
اختلف علي وتعدى قدر اجترائه اليّ ثم انشد ولقلبه تصعّد

يا خاطب الدنيا الدنية ... انها شرك الردى
دار متى ما اضحكت ... في يومها ابكت غدا
واذا اظل سحابها ... لم ينتقع منه صدى
غاراتها ما تنقضي ... واسيرها لا يفتدى

كم مزدهٍ بغرورها ۞ حتى بدا متمردا ۞
قلبت له ظهر المجن ۞ وأولغت فيه المدى ۞
فاربأ بعمرك أن يمر ۞ مضيعا فيها سدى ۞
واقطع علائق حبها ۞ وطلابها تلق الهدى ۞
وارقب إذا ما سالمت ۞ من كيدها حرب العدى ۞
واعلم بأن خطوبها ۞ تفجا ولو طال المدى ۞

فالتفت الوالي إلى الغلام وقال تبا لك من خريج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه ولحقت بمن يساويه ويقوض مبانيه إن كانت أبياته نمت إلى علمي قبل أن ألفت نظمي وإنما اتفق توارد الخاطر كما يقع الحافر على الحافر فكأن الوالي جوز صدق زعمه فندم على بادرة ذمه وظل يعلل فيما يكشف له عن الحقائق ويمتاز

به الفائق من المائق فلم ير إلا أخذهما بالمناضلة وتزيهما وقرن المساجلة فقال لهما إن أردتما افتضاح العاطل واتضاح الحق من الباطل فترسلا في النظم وتباريا وتجاولا في حلبة الإجادة وتجاريا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقالا له بلسان واحد وجواد متوارد قد رضينا بسبرك فمرنا بأمرك فقال إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحمان وشيها وترصعان حليها وضمناها شرح حالي مع ألف بريع الصنعة الحلى المشفقة مليح التثني كثير التيه والتجني مغرى بتناسي العهد وإطالة الصد وإخلاف الوعد وأنا له كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا وتجاريا بيتا فبيتا على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات واتسق

وأحوى حوى رِقّي برقة لفظه ... وغادرني إلفَ السهاد بغدره

تصدّى لقتلي بالصدود وإنني ... لفي أسره مذ حان قلبي بأسره

أصدّق منه الزور خوف ازوراره ... وأرضى استماع الهجر خشية هجره

وأستعذب التعذيب منه وكلما ... أجدّ عذابي جدّ بي حبُّ برّه

تناسى ذمامي والتناسي مذمّة ... وأحفظ قلبي وهو حافظ سرّه

وأعجب ما فيه التباهي بعجبه ... وأكبره عن أن أفوه بكبره

له منيَ المدح الذي طاب نشره ... ولي منه طيّ الودّ من بعد نشره

ولو كان عدلًا ما تجنّى وقد جنى ... عليّ وغيري يجتني رشف ثغره

ولولا تثنّيه ثنيتُ أعنّتي ... بدارًا إلى من أجتلي نور بدره

وإني على تصريف أمري وأمره ... أرى المرّ حلوًا في انقيادي لأمره

فلما أنشداها الوالي متراسلين، بهت لذكائهما المتعادلين، وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء، وكزندين في وعاء، وإن صدا الجدث لينفع ما آتاه الله، ويستغني بوجده عمّن سواه

ثُبْ أيها الشيخ من انحطاطه، وثُبْ إلى الواله. فقال الشيخ: هيهات أن تراجع مقتي، أو تعلق به ثقتي، وقد بلوت كفرانه للصنيع، ومُنيت منه بالعقوق الشنيع. فاعترضه الفتى وقال: يا هذا إن اللجاج شؤم، والحقوق لؤم، وتحقيق الظنّة إثم، وإعنات البريء ظلم، وهبني قد جررت جريرة، لم أجترح كبيرة، أما تذكر إذ أنشدتني لنفسك في أيام أنسك:

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط

وتجافَ عن تعنيفه ... إن زاغ يومًا أو قسط

واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أم غمط

وأطعه إن عاصى وهن ... إن عزّ وادنُ إذا شحط

واقنَ الوفاء ولو أخلّ ... بما اشترطت وما شرط

واعلم بأنك إن طلبت ... مهذّبًا رمت الشطط

من ذا الذي ما ساء قطّ ... ومن له الحسنى فقط

أوما ترى المجبور والمكبود لذ في نمطه

كالشنف يبدو في الغصون مع الجنى الملتقطه

ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط

ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل، وتحملق تحملق البازي المطل، ثم قال والذي زين السماء بالشهب، وأنزل الماء من السحب، ما زويت عنه الاصطلاح، إلا لتوقي الافتضاح، فإن هذا الفتى اعتاد أن أمونه، وأراعي شؤونه، وقد كان الدهر يبيح، فلم أكن أشح، فأما الآن والوقت عبوس، والعيش بوس، حتى إن بزتي هذه عارية، وبيتي ما تأوي به فارة، قال فرق لمقالهما قلب الوالي، وأوى لهما من عنت الليالي، وصبا إلى اختصاصهما بالإسعاف، وأمر

النظارة بالانصراف، قال الراوي وكنت مشوقا إلى الشيخ لعلي أعلم علمه، إذ أعيتني وسمه، ولم يكن الحجام يستفسر عنه، ولا أتيح لي فأدنو منه، فلما تقوض الصفوف، وانحفل الوقوف، توسمته فإذا هو أبو زيد والفتى فتاه، فعرفت حينئذ مغزاه فيما أتاه، وكدت أنقض عليه، لأستعرف إليه، فحرجني بإيماض طرفه، واستوقفني بإيمار كفه، فلزمت موقفي، وأخرت منصرفي، فقال الوالي ما مرامك، ولأي سبب مقامك، فابتدر الشيخ وقال إنه أنيسي، وصاحب ملبوسي، فتسمح عند هذا القول بأنيسي، وزخر في حلوبي، ثم أفاض عليهما خلعتين، ووصلهما بنصاب من العين، واستعهد منهما أن يتعاشرا بالمعروف، إلى أن يطلع اليوم المخوف، فنهضا من ناديه، مشيدين بشكر أياديه،

وتبغيتهما الأعزّ من مثواهما، وأتزوّد من نجواهما، فلما أجزنا
حمى الوالي، وأفضينا إلى الفضاء الخالي، أدركني أحد
جلاوزته مُهيبًا بي إلى حوزته، فقلت لأبي زيد ما أظنه
استحضرني إلا ليستخبرني، فماذا أقول، وفي أي وادٍ معه
أجول، فقال بيّن له غباوة قلبه، وتلعابي بلبّه، ليعلم
أن ريحه لاقت إعصارًا، وجدوله صادف تيارًا،
فقلت أخاف أن يتّقد غضبه، فيلفحك لهبه، أو يستشري
طيشه، فيسري إليك بطشه، فقال إني أرحل الآن
إلى الرُّها، ولأنى يلتقي سهيل والسها، فلما حضرت
الوالي وقد خلا مجلسه، وتجلّى تعبّسه، أخذ يصف أبا زيد
وفضله، ويذمّ الدهر له، ثم قال نشدتك الله ألست
الذي أعاره الدست، فقلت لا والذي أجلسك في هذا
الدست، ما أنا بصاحب ذلك الدست، بل أنت الذي

تمّ عليه الدست، فازورّت مقلتاه، واحمرّت وجنتاه،
وقال والله ما عُهد فيَّ قطّ فضحُ مَين، ولا تلبيس مَعيب،
ولكن سمعت شخصًا دلّس، بعدما تطلّس وتقلنس، فيحطّ
ثم له أن لبّس، فيمن يكنّى قلت بأبي زيد، فقال إنه بأبي
كيف التوصّل منه بأبي زيد، أفتدري أين سكع ذلك اللكع،
قلت أشفق منك لتعدّي طوره، فظعن عن بعد أمر
فوره، فقال لا قرّب الله له نوى، ولا كلأه أين ثوى،
فما زاولت أشدّ من نكره، ولا ذقت أمرّ من مكره،
ولولا حرمة أدبه، لأوغلت في طلبه، إلى أن يقع
فأوقع به، وإني لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام،
فأفتضح بين الأنام، وتحبط مكانتي عند الإمام، وأصير
ضحكة الخاص والعام، فعاهدني على أن لا تفوه بما اعتمد
ما دمت حلّا بهذا البلد، قال الحارث بن همام، فعاهدته

معاهده من لا يتأوّل، ووفيت له كما وفى السموأل

المقامة الرابعة والعشرون القطيعية

حكى الحارث بن همّام قال عاشرت بقطيعة الربيع، في إبّان الربيع، فتية وجوههم أبهج من أنواره، وأخلاقهم أبهج من أزهاره، وألفاظهم أرقّ من أسحاره، فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر، ويغني عن رنّات المزاهر، وكنّا تقاسمنا على حفظ الوداد، وحظر الاستبداد، وأن لا ينفرد أحدنا بالتذاذ، ولا يستأثر ولو برذاذ، فأجمعنا في يوم سماء دجنه، ونمّى حسنه، وحكم بالاصطباح مزنه، على أن نلتهي بالخروج، إلى بعض المروج، لنسرّح النواظر، في الرياض النواضر، ونصقل الخواطر، بشيم المواطر، فبرزنا كالشهور عدّة، وكلّنا في حديقة مودّة، إلى حديقة أخذت زخرفها وازّيّنت

92

وتسوّغت إذا اهتزّت وتلوّنت، ومعنا الكميت الشموس، والسقاة الشموس، والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه، ويبري كلّ سمع ما يشتهيه، فلمّا اطمأنّ بنا الجلوس، ودارت علينا الكؤوس، وغلا علينا من عليه طمر، فتجهّمناه تجهّم الغيد الشيب، ووجدنا صفو يومنا قد شيب، إلّا أنّه سلّم تسليم أولي الفهم، وجلس يفتضّ لطائم النثر والنظم، ونحن نزوي من أبساطه، ونبري لطيّ بساطه، إلى أن غنّى شادينا المغرب، ومغرّدنا المطرب، بقول:

ألامَ سعاد لا تصلين حبلي ... ولا تأوين لي ممّا ألاقي

صبرت عليك حتّى عيل صبري ... وكادت تبلغ الروح التراقي

وها أنا قد عزمت على انتصاف ... أساقي فيه خلّي ما يساقي

فإن وصلًا ألذّ به فوصل ... وإن صرمًا فصرم كالطلاق

قال فاستفهمنا العابث بالمثاني، لم نصب الوصل الأول
ورفع الثاني، فاقسم بتربة ابويه، لقد نطق بما اقاربه
سيبويه، فتشعبت حينئذ اراء الجمع، في تجويز النصب
والرفع، فقالت فرقة رفعهما هو الصواب، وقالت طائفة
لا يجوز فيهما الا الانتصاب، واستبهم على آخرين الجواب
واستعر بينهما الاصطخاب، وذلك الواعي يبدي ابتسام
ذي معرفة، وان لم يفه ببنت شفة، حتى اذا سكنت
الزماجر، وصمت المزجور والزاجر، قال يا قوم
انا انبئكم بتاويله، واميز صحيح القول من عليله
انه ليجوز الوصلين ونصبهما، والمغايرة في الاعراب بينهما
وذلكم بحسب اختلاف الاضمار، والتقدير المحذوف في هذا
المضمار، قال ففرط من الجماعة افراط في مماراته، والحاح
في مباراته، فقال اما اذا دعوتم نزال، وتلببتم للنضال

فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب، او اسم لما فيه حرف
حلوب، واي اسم يتردد بين فرد حازم، وجمع ملازم
واية هاء اذا التحقت اماطت الثقل، واطلقت المعتقل
واين تدخل السين فتعزل العامل من غير ان تجامل، وما
منصوب ابدا على الظرف، لا يخفضه سوى حرف، واي
مضاف اخل من عرى الاضافة بعروة، واختلف حكمه
بين مساء وغدوة، وما العامل الذي يتصل آخره باوله
ويعمل معكوسه مثل عمله، واي عامل نائبه ارحب منه
وكرا، واعظم مكرا، واكثر لله تعالى ذكرا، وفي اي موطن
تلبس الذكران براقع النسوان، وتبرز ربات الحجال
بعمائم الرجال، واين يجب حفظ المراتب، على المضروب
والضارب، وما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين، او
الاقتصار منه على حرفين، وفي وضعه الاول التزام

وفي الثاني الزائم، وما وصف إذا أُردف بالنون، نقص
معاجبه في الفنون، وقوم بالدون، وخرج من الزبون،
وتعرض للمنون، فهذه ثنتا عشرة مسألة وفق عددكم
وزنة لددكم، ولو زدتم زدنا، وإن عدتم عدنا، قال
المخبر بهذه الحكاية، فورد علينا من أحاجيه اللاتي
هالت لما انهالت، ما حارت له الأفكار وحالت، فلما
أعجزنا العوم في بحره، واستسلمنا لما يا السحره،
عدلنا من استثقال الرؤية له إلى استنزال الرواية عنه،
ومن تبعة التبرم به إلى ابتغاء التعلم منه، فقال والذي
نزل النحو في الكلام، منزلة الملح في الطعام، وحجب
مطالعه عن بصائر الطغام، لا أنلتكم مرامًا، ولا
شفيت لكم غرامًا، أو تخولني كل يد، وتختصني كل منكم
بيد، قال فلم يبق في الجماعة إلا من أذعن لحكمه، ونبذ

إليه خبايا كمه، فلما حصله تحت وكايه، أضرم شعلة
ذكائه، فكشف حينئذ من أسرار ألغازه، وبدائع إعجازه،
ما جلا به صدأ الأذهان، وحلى طلعه بنور البرهان،
قال الراوي فهممنا حين فهمنا، وعجبنا إذ أجبنا، وندمنا
على ما ندمنا، وأخذنا نعتذر إليه اعتذار الأكياس، ونعرض
عليه ارتضاع الكاس، فقال ما أرب لي في معاقرتها ومشربها
لم يبق لها عندي حلاوة، فأطلنا مراودته، وواليْنا
معاودته، ثم شمخ بأنفه صلفًا، ونأى بجانبه أنفًا،
وأنشأ يقول

نهاني الشيب عما فيه أفراحي ... فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة ... وقد أنار مشيب الرأس إصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت ... روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي
ولا اكتسيت بكاسات السلاف ولا ... أجلت قداحي بين أقداح

ولا صرفت إلى صرف مشعشعة ... همي ولا رنحت مرتاحا إلى راح

ولا نظمت على مشمولة أبدا ... شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاح

محى المشيب مراحي حين خط على ... رأسي فما يعتضد به من كان ماحي

ولاح يلحي على جري العنان إلى ... ملهى فسحقا له من لائح لاحي

ولو لهوت وفودي شائب لخبا ... نور المصابيح من غشار مصباحي

قوم سجاياهم توقير ضيفهم ... والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم إنه انساب انسياب الأيم، واجفل إجفال الغيم، فعلمت أنه سراج سروج، وبدر الأدب الذي يجتاب البروج، وكان قصاراي التحرق لبعده، والتفرق من بعده

تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية

أما صدر البيت الأخير من الدعمية الذي هو فإن وصلا الذي له فصل فإنه تلميح لقولهم المرء مجزي بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهذه المسألة أوردها سيبويه في كتابه وجوز في إعرابها

أربعة أوجه أجودها وهو أجود وجوهها أن تنصب خيرا الأول وترفع الثاني وتنصب شرا الأول وترفع الثاني ويكون تقديره إن كان عمله خيرا فجزاؤه خير وإن كان عمله شرا فجزاؤه شر فتنصب الأول على أنه خبر كان وترفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط عليه الذي هو إن على تقديرهما وحذفت أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لأنه كثيرا ما يقع بعدها والوجه الثاني أن تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام إن كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وإن كان عمله شرا فهو يجزى شرا فتنصب الأول على أنه خبر كان وتنصب الثاني انتصاب المفعول به والوجه الثالث أن ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام إن كان في عمله خير فجزاؤه خير وإن كان في عمله شر فجزاؤه شر فترفع خيرا الأول على أنه اسم كان وترفع خيرا الثاني على ما تبين في شرح الوجه الأول وقد يجوز

كقولهم إن تأتني فأنت مكرم

ان يرفع خبر الاول على انه فاعل كان ويجعل كان المقدرة هي
التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى
وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ويكون التقدير في المسألة
ان كان خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو اضعفها ان
ينصب الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث وينصب الثاني
على ما تقدم ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير ان كان في عمله خيرا
فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه
تجري اعراب البيت الذي عني به ومما ينتظم في هذا السلك قولهم
المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر
واما الكلمة التي هي ان شئتم حرف محبوب او اسم لما فيه جلود
فهي نعم ان اردت بها تصديق الاخبار او العدة عند السؤال فهي
حرف وان عنيت بها الابل فهي اسم والنعم تذكر وتؤنث وتطلق
على الابل وعلى كل ماشية فيها الابل وفي الابل الحمر وهي الناقة

[illegible]

الضا من سميت جرفا تشبيها لها بجرف السيف وقيل انها الضحلة تشبيها
لها بجرف الجبل واما الاسم المتردد بين فرد جازم وجمع ملازم فهو
اي طرفه وحده
سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو
فرد وكني عن ضمه الخصر بانه جازم وقال آخرون هو جمع واحده
سروال مثل شملال وشماليل فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم
اي لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه
الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلثة لثقله وتفرده دون غيره
من المجموع بان لا نظير له في الاسماء الآحاد وقد كني في هذه الاحجية
عما لا ينصرف بالملازم واما الهاء التي اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت
المعتقل فهي الهاء اللاحقة بالجمع المتقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة
جمع صيقل وهو الذي يصقل السيف
جمع صيرفي
فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به لانه قد صارت له الى مثال الآحاد
نحو رفاهية وكراهية فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة وقد كني في هذه
الاحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كني في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم

واما السين التي تحول العامل من عمل الى عمل فهي السين التي دخلت
على الفعل المستقبل وفصلت بينه وبين ان التي كانت قبل دخولها
من ادوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل ان عن كونها
الناصبة للفعل الى ان تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله
سبحانه وتعالى علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم انه سيكون
واما المنصوب الذي لا تخفضه سوى حرف فهو عند اذا دخله على الظروف صح
تجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن واما
المضاف الذي انخلع من معنى الاضافة بحروفه واختلف
حكمه بين مسائل وتحذفه فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة
للاضافة وكل ما يلي بعدها مجرور بها الا غدوة فان
العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم اياها في الكلام ثم
نونتها ايضا لتبين بذلك انها منصوبة لا انها من نوع المجرور
التي لا تنصرف وعند بعض النحويين ان لدن بمعنى عند والفتح

ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند يستعمل معناها على ما هو
في ملكك وملتبسك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها
بما حضرك وقرب منك واما العامل الذي يتصل آخره باوله
ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسه اي وكلتاهما
النداء صح من حروف وعملهما في الاسم المنادى سيان ولكن
يا اجود في الكلام واكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم
ان ينادى باي القريب فقط كالهمزة واما العامل الذي
تأثيره ارحب منه وكبرا واعظم ملكا واكثر لله تعالى ذكرا
بي صح فهو باء القسم وهذه الباء اصل حروف القسم بدلالة
استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك اقسم بالله ولدخولها
قد صح ايضا على المضمر كقولك بك لافعلن ثم ابدلت الواو منها في جميعا صح
معنا معناه صح القسم لانهما من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان
الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان

ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق
بالأقسام ولهذا ألحق بابها التاء التي قد ذكرنا ثم إن الواو
أكثر موطنا من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا
تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف
وتجر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب وتنتظم أيضا
مع نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها بخير
الوكر وعظم المكر وأما الموطن الذي فيه تلبس الذكران
براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال
فهو أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة
إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها
لقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والهاء
في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة
وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس هذا الموطن حكم

المذكر والمؤنث حتى تقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز
في بزة صاحبه وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب
على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول
لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو في أحدهما وذلك
إذا كانا مقصورين مثل عيسى وموسى ومن أسماء
الإشارة نحو ذاك وهذا فيجب لإزالة اللبس إقرار كل واحد
منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول
بتأخره وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين
أو الاقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان
أحدهما أنها مركبة من مه التي بمعنى اكفف ومن ما
والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيدت
عليها ما أخرى كما تزاد على إن فصار لفظها ما ما
فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من الألف

ها فصار بتاماً مهما وممّا من ادوات الشرط والجزاء فمتى
لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل الكلام المعنى الا بايراد
كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل ويكون حينئذ مثلها بالفعل
وان اقتصرت منها على حرفين ومه هي التي بمعنى الكف
فهم المعنى وكنت ممن خاطبته ان يكف واما الوصف
الذي اذا اردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوّم
بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو
ضيف اذا الحقته النون استحال الى ضيفن وهو الذي
يتبع الضيف وينزل في النقد منزلة الزيف

المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه
وارب اقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح
ما عرّفني جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء فلم اكن

ازايل وجاري ولا استوقد ناري الا لضرورة ادفع اليها
او اقامة جماعة احافظ عليها فاضطررت في يوم جوه
مزمهر ودجنه مكفهر الى ان برزت من كناسي
لمهم عناني فاذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة
وقد اعتم بريطة واستثفر بفوطة وحوله جمع
كثيف الحواشي وهو ينشد وله تحاشي

يا قوم لا ينبيكم عن فقري ... اصدق من عريي اوان القر
فاعتبروا بما بدا من ضري ... بالمر جالي وخفي امري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر ... فانني كنت نبيه القدر
اوي الى وفر وحد يفري ... تفيد صفري وتبيد سمري
وتشتكي كومي غداة اقري ... فجرد الدهر سيوف الغدر
وشن غارات البوار الغبر ... ولم يزل يعجمني ويبري
حتى عفت داري وعام دري ... وبار شعري في الورى وشعري

وصرت نضو فاقة وعسر ، عاري المطا مجردا من قشري
كأنني المغزل في التعري ، لا دفء لي في الحر والصنبر
غير التضحي واصطلاء الجمر ، فهل حصيف ذو رداء غمر
يستر في مطرف أو طمر ، طلاب وجه الله لا للشكر

ثم قال يا أرباب الثراء ، الراغبين في الفراء ، من أوتي
خيرا فلينفق ، ومن استطاع أن يرفق فليرفق ، فإن
الدنيا غرور ، والدهر عثور ، والمكنة زورة طيف ،
والفرصة مزنة صيف ، وإني والله لطالما تلقيت
الشتاء بكافاته ، وأعددت الأهب له قبل موافاته ،
وها أنا اليوم يا سادتي ، ساعدي وسادتي ، وجلدتي
بردتي ، وحفنتي جفنتي ، فليعتبر العاقل بحالي ،
وليبادر صرف الليالي ، فإن السعيد من اتعظ بسواه ،
واستعد لمسراه ، فقيل له قد جلوت علينا أدبك ،
فاجل لنا نسبك ، فقال تبا للمفتخر بعظم نخر ، إنما الفخر
بالتقى والأدب المنتقى ، ثم أنشد يقول

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ، على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما ، فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محقوقفا ، واحرنجم مقفقفا ، وقال اللهم
يا من عم بنواله ، وأمر بسؤاله ، صل على محمد وآله ،
وأعني على البرد وأهواله ، وأتح لي حرا يؤثر من
خصاصة ، ويواسي ولو بقصاصة ، قال الراوي فلما
خلي عن النفس العصامية ، والملح الأصمعية ، جعلت
عيني تجمه ، ومرامي لحظي ترجمه ، حتى استبنت أنه
أبو زيد ، وأن تعريه أحبولة صيد ، ولمح هو أن عرفاني
قد أدركه ، ولم يأمن لي أن أهتكه ، فقال أقسم بالسمر
والقمر ، والزهر والزهر ، إنه لن يسترني إلا من

طاب خِيمه، وانشد ما المروءة اديمه، فعقلتُ ما عناه،
واذ لم يدرِ القوم مغناه، وساءني ما يعانيه من الرِّعدة،
واقشعرار الجلدة، فعمدتُ لفروة هي بالنهار رِياشي،
وفي الليل فراشي، فنضوتها عني، وقلت اقبلها مني،
فما كذّب ان افتراها، وعيني تراها، ثم انشد

لله من البسني فروة، اضحت من الرعشة لي جُنّة
البسنيها واقيا مهجتي، وقى شر الانس والجنّة
سيكتسي اليوم ثناي وفي، غدٍ سيكتسي سندس الجنّة

قال فلما فتن قلوب الجماعة، بافتنانه في البراعة،
القوا عليه من الفرا المغشّاة، والجباب الموشّاة،
ما آده ثقله، ولم يكد يقله، فانطلق مستبشرا بالفرج
مستقبلا للكرج، وتبعته الى حيث نفعت التقية
وبدت السماء نقية، فقلت له لشدّ ما قرسك البرد

فلا تعِد من بعدُ، فقال ويك ليس من العدل سرعة
العذل، فلا تعجل بلوم هو ظلم، ولا تقف ما ليس
لك به علم، فو الذي الشيبة، وطيبِ تربة طيبة،
لو لم اتعرّ لرجعت بالخيبة، وصفر العيبة، ثم نزع
الى الغزل، وتبرقع بالفضل، وقال اما تعلم ان
شيمتي الانتقال من صيد الى صيد، والانعطاف
من عمرو الى زيد، وانك قد عقتني عقتي، وافتني
اضعاف ما افدتني، فاعفني كما عافاك الله من لغوك،
واسدد دوني باب جدك ولهوك، فجبذته جبذ
الثلعابة، وجمعت له للدعابة، وقلت له والله لو لم
ارك، واغظ على عوارك، لما وصلت الى صلة، ولا
انقلبت اكتسي من صلة، فجازني عن احساني اليك، وستري
لك وعليك، بان تسمح لي بردّ الفروة، او تعرف في كافا

الشتوة فنظر الي نظر المتعجب وانحصر انحصار
المتعصب ثم قال اما رجل الفروة فابعد من رد امس
الدابر والميت الغابر واما كافات الشتوة فسبحان
من طبع على فطنتك واوهي وعاء حزمك حتى نسيت
ما انشدتك بالدسكرة لابن سكرة وهو

جاء الشتاء وعندي من حوائجه
سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا
بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ثم قال الجواب يشفي خير من جلباب يدفي فاكتفِ بها
وعيت وانكفي فعارقته وقد وضعت فروتي لشقوتي
وحصلت على الرغم طول شتوتي

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حدث الحرث بن همام قال حللت سويقة الاهواز
لابسا حلة الاعواز فلبثت فيها مدة اكابد شدة
وازجي اياما مسودة الى ان رايت تمادي المقام
من عوادي الانتقام فرمقتها بعين القالي
وفارقتها مفارقة الطلل البالي وظعنت عن
وشلها لمنبثق الانهار راكضا الى المياه الغزار حتى
اذا برزت منها مرحلتين وبعدت سرى ليلتين تبدت
لي خيمة مضروبة ونار مشبوبة فقلت آتيهما
لعلي انقع صدى او اجد على النار هدى
فلما انتهيت الى ظل الخيمة رايت غلمة روقة
وشارة مرموقة وشيخا عليه بزة سنية وله
فاكهة جنية فحييته ثم تحاميته فضحكت الي واحسن
الرد علي وقال الى المجلس الى من تروق فاكهته

وتشوق مفاكهته، فجلست له اغتنام محاضرته، لا لالتهام

ما يحضرته، فخبر سفر عن آدابه، وكشف عن انيابه

عرفت انه ابو زيد بحسن ملحه، وقبح فلجه، فتعارفنا

حينئذ، وحقت لي فرحتان ساعتئذ، ولم ادر بايهما

انا اضفى فرحا، واوفى مرحا، ابايابه من رحلته

اسفاره، ام بخصب رحاله، بعد امحاله، وتاقت

نفسي الى ان افض ختم سره، وابطن داعية سيره

فقلت له من اين ايابك، والى اين انسيابك، وبم

امتلاء عيابك، فقال اما المقدم فمن طوس، واما

المقصد فالى السوس، واما الجدة التي اصبتها فمن

رسالة اقتضبتها، فاسال الله ان يهون شي رحلته

ويسر علي رسالته، فقال دون مرامك جبل

السوس، او تصحبني الى السوس، فصاحبته الى ان قصرنا

وعلقت بها علية شغفا، وصرت اعلى كاسات التعلل

ونجري في اعنة التأميل، حتى اذا حرج صدري

وعيل صبري، قلت له انه لم يبق لك علة، ولا لي

بعلة، وفي عبل زجر غراب البين، وارحل عنك بخفي

حنين، فقال حاش لله ان اخلفك، او ان اخالفك

وما ارجات ان اعدتك، الا لتنكر، واذا كنت

قد استربت بتعديتي، واغراك ظن السوء بمباعدتي

فاصخ لقصص سيري الممتدة، واضفها الى اخبار الامم

بعد الشدة، فقلت هات فما اطول طيلك، واهول حيلك

فقال اعلم ان الدهر العبوس، القاني في طوس

ولانا ابو مند فقير وقتر، لا فتيل لي ولا نقير، فا

صفقت اليدين، الى التطوق بالدين، فادنت بسوء الاتفاق

ممن هو عسلي الاخلاق، وتوهمت نسيء النفاق

فتوسعت في الإنفاق، فما أفقت حتى أنضى بي الزمن
حقه، ولا رمى مستحقه، فحرت في أمري، وأطلعت
غريمي على عسرتي، فلم يصدق إملاقي، ولا نزع
عن إرهاقي، بل جدّ في التقاضي، ولجّ في اقتيادي
إلى القاضي، وكلما خضعت له بالكلام، واستنزلته
منه رفق الكرام، ورغبته في أن ينظرني لمياسرة
أو ينظرني إلى ميسرة، قال لا تطمع في الإرفاق
واحتجان النضار، فوحقك ما ترى مسالك الخلاص
أو تريني سبائك الخلاص، فلما رأيت أحدًا لا يردّه
وأن لا مناص لي من يده، شاغبته ثم واثبته
ليرافعني إلى والي حاكم الجرائم، لا إلى الحاكم في
المظالم، لما كان بلغني من إفضال الوالي وفضله
وتشدد القاضي وبخله، فلما حضرنا دار أمير طوس

ألفيت أن لا أبر ولا بوسر، فاستدعيت دواة وبيضاء
وأنشأت إليه رسالة رقطاء، وهي أخلاق سيدنا
تحب، وبعقوته يلب، وقربه تحف، ونأيه تلف،
وخلته نسب، وقطيعته نصب، وغربه ذلق،
وشيمته تألق، وظلفه زان، وقويم نهجه بان،
وذهنه قلّب وجرّب، ونعته شرّق وغرّب،
سند قلب سوق مرته، فطن مغرب عزوف عيوف،
مخلف متلف لغر قرينه، نائله فاضل، ذكي أنوف،
مقلق أبان طرز أدله، بارع صاحٍ وجاحظ مخوف،
مناظم شرعه تألف، وشؤبوب حبائه يكف، ونائل
يديه فائض، وشح قلبه غائض، وخلف سحائبه تحتلب،
وذهب عبابه تختزن، من لقف لقفه فلج، وغلب، وتاجر
بآبه غلب، وخلب كف عن هضم بري، وبري من دنس غيّ

وقدّر لبانه بحق ونكب عن صدّ كف لين ربوة باب عبد
تحصره شين بل يعف عفة بر
فلذا يحب ويشتهي عفافه شغفا به فلبابه خلاب
أخلاقه غرر ترد وفوقه فوق إذا ناضلته غلاب
يحشو ودولا أوضاعا خل فليس بحقه يرتاب
لا باخل بل باذل حرق إذا يعتر يرز لديه باب
إن عض آل فأغرى غضاضه بمنابه فانجب منه باب
وتعدّ من لبّ وفطن وفرد وشطر إن ذعر الفرح
زمن وجاب زمن مذ رضع ثدي لبانه خضر بإفاضة
بهتانه نعش وفتح وصافر فانهج وناقر فانبج
وفاز نجي أملح أتعب من سيلي وفرط إذ خف وبلي
وتوخ صفاته تحت عفاته
فلا خلا ذا بهجة تمتطى خصيبة

زان مزايا ظرفه بلبس خوف ربه
فلن يحصر سيدنا فوزه مفاخر تأثلت وحلت وقوته بصنايع
تمت ونمت وبلا إثم قرب حضرته عوذ رزقه بحظ من
حظوته فإنه تلميذ نذب وشريف مهذب وجرح
نوب أثرن وناظم قلائد تشير إذا حاز لخطبه
فلا يوجد قائل ثم قيس ثم باقل وإن جبر قلب جبر
نمنمت وحلت رياضا قد نمت هذا ثم شتّ به
بزّ ضرّ وقوته قرض وقلقه عسو وجلبابه خلو
وقد قلق لتوعر عين ثم غاشم يستمنحه بحق لاذم
فإن من سيدنا بكفه بصاب كفه توشح بمجد فاق
وباء بأجر لقي فكى من وثاق لا عدمت سجايا خلقه
يرقب شأم برقه بيمن رب أزكى حتى يرى فال فلما
استشف الأمير ليطها ولمح السر المودع فيها

ادعى في الحجاز بقضاء ديني، وفصل ما بين خصمي وبيني،
ثم استخلصني لمكاثرته، واختصني بأثرته، فلبثت
بضع سنين أنعم في ضيافته، وأرتع في ريف رأفته،
حتى إذا غمرتني مواصلته، وأطار ذلي دهنه، تلطفت
في الارتحال، على ما بي من حسن الحال، قال فقلت له
فشكر لي أن أتاح لك لقيان الشيخ الكريم، وأنقذك
به من ضغطة الغريم، فقال الحمد لله على سعادة
الجد، والخلوص من الخصم الألد، ثم قال أيما أحب
إليك أن أحذيك من العطاء، أو أتحفك بالرسالة الرقطاء،
فقلت إملاء الرسالة أحب إلي، فقال وهو خفيف أخف
علي، فإن نحلة ما يلج في الآذان أهون من نحلة ما
يخرج من الأردان، ثم كأنه أنف واستحيا، فجمع
لي بين الرسالة والحربا، ففزت منه بسهمين، وفصلت
عنه بغنيمتين، وأبت إلى وطني قرير العين، بما حزت من
الرسالة والعين، والله أعلم وهو أحكم

المقامة السابعة والعشرون الوبرية

حكى الحارث بن همام قال رمت في ريق ما غبر،
إلى مجاورة أهل الوبر، لآخذ أخذ نفوسهم الأبية،
وألسنتهم العربية، فشمرت تشمير من لا يألو جهدا،
وجعلت أضرب في الأرض غورا ونجدا، إلى أن اقتنيت لقحة
من الراعية، وثلة من الثاغية، ثم أويت إلى عرب أقيال،
وأبناء أقوال، فأوطنوني أمنع جناب، وفلوا عني
حد كل ناب، فما تأوبني عندهم هم، ولا قرع صفاتي
سهم، إلى أن أضللت في ليلة مبيضة البدر، لقحة
غزيرة الدر، فلم أطب نفسا بالعار، طلبها، وإلقاء
حبلها على غاربها، فتدثرت فرسا محضارا، واعتقلت

لدناً خطّاراً، وبتّ ليلتي جمعاء، أجوب البيداء،
وأقتري كل شجراء ومرداء، إلى أن نشر الصبح
راياته، وحيعل الداعي إلى صلاته، فنزلت عن
الركوبة، لأداء المكتوبة، ثم جلت في صهوتها،
وفرّرت عن شجوتها، وسرت لا أرى أثراً إلا قفوته،
ولا نشزاً إلا علوته، ولا وادياً إلا جزعته،
ولا راكباً إلا استطلعته، وجدّي مع ذلك يذهب
هدراً، ولا يجد وجده صدراً، إلى أن جاءت
صلّة عُمَيّ، ولفح هجير يذهل غيلان عن ميّ،
وكان يوماً أطول من ظل القناة، وأحرّ من
دمع المقلاة، فأيقنت أني إن لم أستكنّ
من الوقدة، وأستجمّ بالرقدة، أن تفنى اللغوب،
وعلقت في شعوب، فجنحت إلى سرحة كثيفة الأغصان،

وريقة الأفنان، لأغوّر تحتها إلى المغيربان، فوالله
ما استوقع نفسي، ولا استراح فرسي، حتى نظرت
إلى سائح، في هيئة سائح، وهو ينحو نحوي، ويشتدّ
إلى نقعي، فكرهت انبعاج المعاجي، واستعذت
بالله من شرّ كل مفاجي، ثم ترجّيت أن يتصدّى
منشداً، أو يتبدّى مرشداً، فلما اقترب من سرحتي،
وكاد يحلّ بساحتي، ألفيته شيخنا السروجي متأبطاً
جرابه، ومصطحباً أهبة جوّابه، فأنسيت إذ ورد،
وإنساني ما شرد، ثم استوضحته من أين أثره، وكيف
عُجره وبُجره، فأنشد بديهاً، ولم يقل إيهاً، شعر

قل للمستطلع دخيلة أمري، لك عندي كرامة وعزازه
أنا ما بين جوب أرض فأرض، وسرى في مفازة فمفازه
زادي الصيد والمطية نعلي، وجهازي الجراب والعكّازه

فاذا ما هبطت مصرا فحسبي … غرفة الخان والنديم جزازه

لست ابكي ما ساء ان فات او … احزن ان حاول الزمان ابتزازه

غير اني لبيت خلو من الهم … ونفسي عن الاسى منحازه

ارقد الليل ملء جفني وقلبي … بارد من حرارة وحزازه

لا ابالي من اي كاس تفوقت … ولا ما حلاوة من مزازه

لا ولا استجيز ان اجعل … الذل مجازا الى تسني اجازه

واذا ما طلبت كسبا جلا لي الحجا … ز ينبع لمن يروم مجازه

ومتى حثني للدناءة نكس … عاف طبعي طباعه واهتزازه

فالمنايا ولا الدنايا وخير … من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ثم رفع الي طرفه، وقال لامر ما قصير انفه، فاخبرته خبر ناقتي الشاردة، وما عانيته في يومي والبارحة، فقال دع الالتفات، الى ما فات، والطماح، الى ما طاح، ولا تاس على ما ذهب، ولو انه واد من ذهب، ولا

تستمل من كان عز رتبك، واضرم نار تبابك، ولو كان ابن بوحك، او شقيق روحك، ثم قال هل لك في ان تقيل، ونتحامى القال والقيل، فان الابدان انضاء تعب، والاذهان ذات لهب، ولن يصقل الخاطر، وينشط الفاتر، كقائلة الهواجر، وخصوصا في شهري ناجر، فقلت ذلك اليك، وما اريد ان اشق عليك، فافترش الثرى واضطجع، واظهر انه قد هجع، وانفت على ان اخبر ولا انعس، فاخذتني السنة، لما زمت الالسنة، فلم افق الا والليل قد تبلج، ولا السروجي ولا المسرج، فبت في ليلة نابغية، واحزان يعقوبية، اساور الوجوم، واسامر النجوم، افكر تارة في رحلتي، واخرى في رجعتي، الى ان وضح لي عند افترار ثغر الضوء، في وجه الجو، راكب يخد في الدو، فالمعت اليه بثوبي، ورجوت ان يعرج الى

صوتي، فلم يعبأ بالمناجي، ولا أوى للتناجي، بل سار
على هينته، وأصماني بسهم إهانته، فأوفضت إليه لأستشف رفه
واختبر تعطرفه، فلما أدركته بعد الأين، وأجلت فيه
مسرح العين، وجدت ناقتي مطيته، وضالتي لقطته
فما لبثت أن أدرته عن سنامها، وجاذبته طرف زمامها
وقلت له أنا صاحبها ومضلها، ولي رسلها ونسلها
فلا تكن كأشعب، فتتعب وتتعب، فأخذ يلدغ ويصي
ويتنح ولا يستحي، وبينا هو يبرق ويرعد، ويستأسد
ويستكلب، إذ غشينا أبو زيد لابسا جلد النمر، وهاجما
هجوم السيل المنهمر، فخفت والله أن يكون نوء كأمسه
ويومه مثل شمسه، فألحق بالقارظين، وأصير خبرا
بعد عين، فلم أر إلا أن أذكرته العصور المنسية
والفعلة الأمسية، وناشدته الله أوفى اليوم للتلاقي

أم ما فيه التلاقي، فقال معاذ الله أن أجهز على مكلوم
أو أصلي حرورى بسمومي، بل وافيتك لأخبر كنه
حالك، وأكون نصيرا لشمالك، فسكن على ذلك جأشي
وانجاب استيحاشي، فأطلعته طلع اللقحة، وبرح
صاحبي باللقحة، فنظر إليه نظر الليث إلى العريسة
أو الفريسة، ثم أشرع قبله الرمح، وأقسم له بمن أنار
الصبح، لئن لم ينج منجا الذباب، ويرض من الغنيمة
بالإياب، ليوردن سنانه وريده، وليفجعن به وليده
ووديده، فنبذ زمام الناقة وحاص، وأفلت وله
حصاص، فقال لي أبو زيد تسلمها وتسنمها، فإنها
إحدى الحسنيين، وويلك أهون من ويلين، قال الحارث
بن همام فحرت بين لوم أبي زيد وشكره، وزنة نفعه
بضره، فكأنه لوحي بنات صدري، أو تكهن ما خامر سري

فقابلني بوجه طليق • وأنشد بلسان ذليق • يقول

يا أخي الحامل ضيمي • دون إخواني وقومي

إن يكن ساءك أمسي • فلقد سرّك يومي

فاغتفر ذاك لهذا • واطّرح شكري ولومي

ثم قال إياتي وأنت مني • فكيف تتقي • وولّى ينفض أديم الأرض • ويركض طرفه إتمام الركض • فما غدوت إلا فتعذّر مطيتي • وعذت لطيتي حتى وصلت إلى رحلي

تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله ريّق زماني يعني أوله وريعانه وقد يشدد فيقال ريّق وقوله آخذ إخذ نفوسهم يعني أقتبس أخلاقهم يقال أخذ إخذه وأخذه بكسر الهمزة وفتحها والهجمة نحو المائة من الإبل والثلة القطيع من الغنم والراغية للإبل والثاغية للشاء ومنه قولهم ما له راغية ولا ثاغية أي لا ناقة ولا شاة وقوله أذواء أقيال أي تخلعون الملوك إذا

غابوا وقوله ابناك أقوال أي فصحاء يقال للمنطيق إنه ابن أقوال

وقوله قد تبرت فرسًا محضارًا التبريز الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو مأخوذ من الحضر وقوله أقتري

كل شجراء ومرداء الاقتراء تتبع الأمر والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الأمرد لخلوّ خدّه من الشعر وقوله حيعل الداعي إلى صلاته يعني به قول المؤذن حيّ

على الصلاة حيّ على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا إله إلا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحولقة حكاية قول لا حول ولا قوة إلا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعلفة حكاية قول جعلت فداك قوله فنزلت عن متن المركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة

وهو العدو

أي الفصيح البليغ

ظهر

وجلوز وجلوبة وقد قرى منهار كوبتهم والقبقوم مقعد الفارس
والشنحو الخطوم والجزع قطع الوادي عرضا وقوله صكة عمي
يعني به قائم الظهيرة وقد اختلف في اصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا
فغزى قوما عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا
لكل من جاء ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدر في
الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صغر الاعمى
تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغروا اسود وازهر فقالوا سويد
وزهير وقوله وكان يوما اطول من ظل القناة يوصف اليوم الطويل
بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة والعرب
تزعم ان ظل القناة اطول ظل ومنه قول الشاعر
ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر
وقوله واحر من دمع المقلات المقلات هي التي لا يعيش لها ولد
فدمعها ابدا جار لحزنها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة

كثير الغارة

وابهام الحبارى

١١٢

السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له اقر الله عينه ماخوذ من
القر وهو البرد وقيل للمدعو عليه اسخن الله عينه وهو ماخوذ من
السخنة وهي الحرارة وقيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكان
دعاؤه له ان يرزق ما يقر عينه حتى لا يطمح الى ما لغيره وكانت الجاهلية
تزعم ان المقلات اذا وطيت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا
اشار بشر بن ابي خازم في قوله
تظل مقاليت النساء يطانه يقلن الا يلقى على المرء مئزر
وقوله علقت في شعوب يعني المنية ولا تدخل هذا الاسم
اداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله اعود باحبها الى
المغيبان التعويس النزول للقايلة كما ان التعريس النزول اخر الليل
او الاستراحة والمغيبان تصغير المغرب وكان قياس تصغير المغيربان
الا ان العرب الحقت اخره الفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله
مضطبنا اهبة نحو ابه الاضطبان ان تحمل الشيء تحت حضنه

ذكر الكلام بعد اقر الله عينه

الى ما لغيره ح

الجاهلية القوم التي كانوا قبل النبي عليه

وشعوب من اسماء المنية ولا يدخلها الالف واللام مثل عرفة ودجلة ح

مضطبنا اهبة نحو ابه الاضطبان ان تحمل الشيء تحت حضنه

والاحتضان ان تجعله تحت حضنه والحضن ما بين الابط والكشح
وكلاهما متقاربان واول مراتب الحمل الابط ثم يليه الحضن وهو
اسفل الابط ثم الحقو وهو عند الجنب والتجوال مصدر
جال وجميع المصادر التي جاءت على تفعال بفتح التاء الا حرفين
تبيان وتلقاء لا غير وقال بعضهم تنضال وقوله عجري
وبجري يريد به جميع اموره الظاهرة والباطنة واصل العجر
العقد الناتية في العصب والبجر العقد الناتية في البطن وقوله
ولم يقل ايهاً ولم يأمرني بالكف يقال للمستزيد ايه وللمستكف
ايها وقوله لامر ما جدع انفه قصير هذا هو مولى جذيمة
الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم
اتاها واوهمها ان عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة هو الذي
جدع انفه بيده ايهاما لها بانه غش خاله جذيمة اذ اتاها
عليه لقصدها فحظي بهذا القول عندها حتى حضرتها مرارا

قصير صح

الى العراق فكان يأتيها بالطرف منه الى ان استحكم
في اخر نوبة التجارة في الصناديق وتوصل الى
قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصته مشهورة
وقوله ولو كان ابن بجدل يعني ولد القلب اشارة الى انه ولد
في باحة الدار وهي عرصتها وجمع باحة بوح وقيل ان البوح من
اسماء الذكر وقوله في شهري ناجر هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران
وتموز وانكر ابو بكر محمد بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين وقوله
بت بليلة نابغية اومى به الى قول النابغة شعر
فبت كاني ساورتني ضئيلة ¤ من الرقش في انيابها السم ناقع
وقوله المعتالية بثوبي يعني انشب نعالها منه لمح والمح بمعنى واحد وقوله
يلدغ ويصي هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صاءت العقرب
تصي صيئا وصيا بفتح الصاد وكسرها اذا صوتت وكذلك العقرب
وما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى شعر

تشكي المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
وقوله يخزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال
ان الصليان الجذري يخز وهو صغير فاذا كبر لان وقوله لابسا
جلد النمر هذا المثل يضرب للمتوقح الجري لان النمر اجرا السباع
واقلها احتمالا للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر اي صار مثل
النمر وقوله بالقارظين لا اصل في القارظ انه الذي يجني القرظ
وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة
والآخر من تميم بن قاسط وكانا خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا
ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما
اشار ابو ذؤيب في قوله
وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل
وقوله حرور يسمى الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح
الحارة نهارا وقد يقام احدهما مقام الآخر وقال بعضهم الحرور

تكون ليلا او نهارا والسموم تختص بالنهار وقوله ليث العريسة
يعني مأوى الليث يقال فيه عريس وعريسة باثبات الهاء وحذفها كما يقال
غاب وغابة وعرين وعرينة فاما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما
الهاء وقوله افلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا من
هلكة اشفى عليها بعد ما كاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل
انه الضراط فكأنه لفزعه يعدو ويضرط وقوله ويل اهون من
ويلين هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول
ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض
وقوله انا تئق وانت مئق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين
في الخلق فان التئق هو الممتلي غيظا ماخوذ من قولهم اتأقت
الاناء اذا ملأته والمئق هو الباكي فكان التئق ينزع الى الشر
لغيظه والمئق يضيق ذرعا باحتماله ومثله قول بعضهم انا كلف
وانت صلف فكيف نأتلف وقوله لطيتي يعني لقصدي ووجهتي وقد

يقال فيها اللهيّة بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا
تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس
ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الاسم على فتحته
الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم
اوله بان زادت الفا في آخره واجرت اسماء الاشارة
عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي
اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد
اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل انهما من
اسماء الداهية وقيل المراد بهما تصغير المكروه وتكبيره

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

اخبر الحارث بن همام قال استبضعت في بعض اسفاري
القند وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ قوي
الشطاط جموم النشاط ارمي عن قوس المراح

الى غرض الافراح واستعين بماء الشباب على ملاح
السراب بكرة عروبة بعد ان كابدت الصعوبة فسعيت
وما ونيت الى ان حصلت البيت فلما نقلت اليه قندي
وملكت قوت عندي عجت الى الحمام على الاثر فامطت
عني وعثاء السفر واخذت في غسل الجمعة بالاثر
ثم بادرت في هيئة الخاشع الى مسجدها الجامع لاتحرى
بمن يقرب من الامام وبقرب افضل الانعام فحططت
بان جليت في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة
ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا ويردون
فرادى وازواجا حتى اذا اكتظ الجامع بحفلة واظل
تساوي الشخص وظله برز الخطيب في اهبته متهاديا
خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة الى ان مثل بالذروة
فسلم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم نظم التاذين
ثم قام وقال

الحمد لله الممدوح الاسماء، المحمود الالاء، الواسع
العطاء، المدعو لحسم اللاواء، مالك الامم، ومصور
الرمم، واهل السماح والكرم، ومهلك عاد وارم
ادرك كل سر علمه، ووسع كل مصر حلمه، وعم كل
عالم طوله، وهد كل مارد حوله، احمده حمد موحد
مسلم، وادعوه دعاء مومل مسلم، وهو الله لا اله الا
هو الواحد الاحد العادل الصمد، لا ولد له ولا والد
ولا رده معه ولا مساعد، ارسل محمدا للاسلام ممهدا
وللملة موطدا، ولادلة الرسل موكدا، وللاسود والاحمر
مسددا، وصل الارحام، وعلم الاحكام، ووسم
الحلال والحرام، ورسم الاحلال والاحرام، كرم الله
محله، وكمل الصلوة والسلام له، ورحم اله الكرام
واهله الرحماء، ما همر ركام، وهدر حمام، وسح

الملك اصلها ملاك

سوام، وسطا حسام، اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء
واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء، واردعوا اهواكم
ردع الاعداء، واعدوا للرحلة اعداد السعداء
وادرعوا حلل الورع، وداووا علل الطمع، وسووا
اود العمل، وعاصوا وساوس الامل، وصوروا لاوهامكم
حوول الاحوال، وحلول الاهوال، ومساورة الاعلال
ومصارمة المال والال، وادكروا الحمام وسكرة
مصرعه، والرمس وهول مطلعه، واللحد ووحدة
مودعه، والملك وروعة سواله ومطلعه، والمحوا
الدهر ولوم كره، وسوء محاله ومكره، كم طمس
معلما، وامر مطعما، وطحطح عرمرما، ودمر
ملكا مكرما، همه سد المسامع، وسح المدامع
عم حكمه الملوك والرعاع، والمسود والمطاع

والمحسود والحساد، والأساود والآساد، ما مول
الآمال، وعكس الآمال، ولا وصل الأوصال، وكلم
الأوصال، ولا أسر الأوسار، ولوم وأساء، ولا
أصح لهم ولد الداء، وروع الوداد، الله الله رعاكم
الله، إلام مداومة اللهو، ومواصلة السهو، وطول
الإصرار، وحمل الآصار، واطراح كلام الحكماء، ومعاصاة
إله السماء، أما الهرم حصادكم، والمدر مهادكم،
أما الحمام مدرككم، والصراط مسلككم، أما الساعة
موعدكم، والساهرة موردكم، أما أهوال الطامة
لكم مرصدة، أما دار العصاة الحطمة الموصدة، حارسهم
مالك، ووراده هالك، وطعامهم السموم، وهواؤهم
السموم، لا مال أسعدهم ولا ولد، ولا عدد حماهم
ولا عدد، ألا رحم الله امرأ ملك هواه، وأم مسالك

هداه، وأحكم طاعة مولاه، وكدح لروح مأواه، وعمل ما
دام العمر مطاوعا، والدهر موادعا، والصحة كاملة،
والسلامة حاصلة، وإلا دهمه عدم المرام، وحصر
الكلام، وإلمام الآلام، وحموم الحمام، وهدو
الحواس، ومراس الأرماس، آهاً لها حسرة، ألمها مؤكد،
وأمدها سرمد، ومما رسها ملم، ما لولهه حاسم،
ولا لسدمه راحم، ولا لما عراه عاصم، ألهمكم
الله أحمد الإلهام، وردّاكم رداء الإكرام، وأحلكم
دار السلام، وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام،
وهو أسمح الكرام، والمسلم والسلام، قال الحارث
بن همام، فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط، وعروسا
بغير نقط، دعاني الإعجاب بنمطها العجيب، إلى
استجلاء وجه الخطيب، فأخذت أتوسمه جدا،

واتلبت الطرف فيه مجتليا الى ان وضح لي بصدق العلامات
انه شيخنا ابو زيد ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت
في ذلك الوقت فامسكت حتى تحلل من الفرص وشال
الانتشار في الارض ثم واجهت تلقاه وابتدرت
لقاه فلما لحظني حف في القيام واحفى في الاكرام
ثم استصحبني الى داره واودعني خصائص اسراره
وحين انتشر جناح الظلام وحان ميقات
المنام احضر باريق المدام معلوطة بالفدام
فقلت اتحتسيها امام النوم وانت امام القوم
فقال مه انا بالنهار خطيب وفي الليل اطيب
فقلت والله ما ادري أأعجب من تسليك عن اناسك
ومسقط راسك ام من خطابتك مع ادناس كاسك
ومدار كاسك فاشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني

لا تبك الفا ولا دارا ودر مع الدهر كيف دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارا
ولا تضع فرصة السرور فما تدري ايوما تعيش ام دارا
واعلم بان المنون جايلة وقد ادارت على الورى دارا
واقسمت لا تزال قانصة ما كر عصر المحيا وما دارا
فكيف ترجو النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا
قال فلما اعتورتنا الكؤوس وطربت النفوس جرعني
اليمين الغموس على ان احفظ عليه الناموس فاتبعت
مرامه ورعيت ذمامه ونزلته بين الملا منزلة
الفضلا وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم
يزل ذلك دابه ودابي الى ان تهيا ايابي فودعته
وهو مصر على التدليس ومستحب الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحرث بن همام قال الجأني حكم دهر قاسط الى
ان انتجع ارض واسط، فقصدتها وانا لا اعرف بها سكنا
ولا املك فيها مسكنا، ولما حللتها حلول الحوت
بالبيدا، والشعرة البيضا في اللمة السودا،
قادني الحظ الناقص، والجد الناكص، الى خان ينزله
شذاذ الآفاق، واخلاط الرفاق، وهو لنظافة
مكانه، وظرافة سكانه، يرغب الغريب في ايطانه،
وينسيه هوى اوطانه، فاستفردت منه بحجرة،
ولم انافس في اجرة، فما كان الا كلمح طرف، او خطرة حرف،
حتى سمعت جاري بيت بيت، يقول لنزيله في البيت،
قم يا بني لا قعد جدك، ولا قام ضدك، واستصحب
ذا الوجه البدري، واللون الدري، والاصل النقي،

والجسم الشفي، الذي قمص ونشر، وسجن وشهر،
وسقي وفطم، وادخل النار بعدما لطم، ثم ابرز الى
السوق، وركض المشوق، فابتع به اللاح الملح،
المفسد المصلح، الملهم المفرح، المعجل المروح،
ذا الزفير المحرق، والحنين المشرق، واللفظ
المقنع، والنيل الممتع، الذي اذا اطرق رعد وبرق،
وباح بالحرق، ونغص في الحرق، قال فلما قرت
شقشقة الهادر، ولم يبق الصدر الصادر، برز
فتى يميس، وما معه انيس، فرايتها عضلة تلعب
بالعقول، وتغري بالدخول في الفضول، فانطلقت
في اثر الغلام، لاخبر فحوى الكلام، فلم يزل يسعى
سعي العفاريت، ويتفقد نضائد الحوانيت، حتى
انتهى عند الرواح، الى جارة القداح، فناولها

بتعنيفا ، وتناول منه جحوا لطيفا ، فعجبت من فطانة
المرسِل والمرسَل ، وعلمت أنهما سروجية ، وإن لم أسأل
وما كدت أن بادرت إلى الخان منطلق العنان ،
لأنظر كنه فهمي ، وهل قرطس في التكهن سهمي ، فإذا
أنا في الفراسة فارس ، وأبو زيد بوصيد الخان جالس ،
فتهادينا بشرى الالتقاء ، وتعارضنا تحية الأصدقاء ،
ثم قال ما الذي كان أرجك حتى رأيت جنابك ، فقلت
دهر حاضر ، وجور فاجر ، فقال والذي أنزل المطر
من الغمام ، وأخرج الثمر من الأكمام ، لقد فسد
الزمان ، وعم العدوان ، وعدم المعوان ، والله المستعان ،
فكيف أفلت ، وعلى أي وصفيك أجفلت ، فقلت
اتخذت الليل قميصا ، وادلجت فيه خميصا ، فالمرء
ينكث في الأرض ، ويفكل لي في ارتياد القرض والفرض ،

ثم آثر هذه من الكنية فقص ، أو بدت له فرصة ، وقال قد
علق بقلبي أن أصاهر من يأسو جراحك ، ويريش
جناحك ، فقلت وكيف أجمع بين غل وقل ، ومن ذا الذي
يرغب في صل ابن صل ، فقال أنا المستبين بك والكفيل
والوكيل لك وعليك ، مع أن دين القوم جبر الكسير
وفك الأسير ، واحترام العشير ، واستنصاح المشير
إلا أنهم لو خطب إليهم إبراهيم بن أدهم ، أو جبلة
بن الأيهم ، لما زوجوه إلا على خمسمائة درهم ، اقتداء
بما مهر الرسول زوجاته ، وعقد به أنكحة بناته ،
على أنك لن تطالب بصداق ، ولا تلجأ إلى طلاق ،
ثم إني سأخطب في موقف عقدك ، ومجمع حشدك ،
خطبة لم تفترع أذن سمع ، ولا خطب بمثلها في جمع ،
قال الحارث بن همام فأرد هامي بوصف الخطبة المنوقة

دون الخطبة المجلوة، حتى قلت قد وكلت الى كرهذا الخطب
فبرز يدب من ظبية مرجية، فهصر مهصر ولد ثم
عاد متهللا، وقال أبشر باعشاب الأرض، واخلاف
الدر، فقد وليت العقد، واكفلت النقد، وكان
قد ثم أخذ في مواعدة أهل الخان، واعداد الحلواء
الخوان، فلما مد الليل اطنابه، واغلق كل ذي
باب بابه، ادرج في الجماعة، الى ان حضروا واحد هذه
الشاسعة، فلما تنوء فيهم الامر لبنى صبوته، وحضر
بيته، فلما اصطفوا لرايه، واجتمع المشهود
عليه، جعل يرمح الاصطرلاب ويضعه، ويلحظ
التقويم ويدعه، الى ان نعس القوم، وغشي النوم
فقلت له يا هذا اصبح الفاس في الدبر، وخلص الناس
من الياس، فنظر نظرة في النجوم، ثم استطعم

من عطلة الوجوه، واقسم بالطور، والكتاب المسطور،
ليكشفن سر هذا المستور، وليتبشرن ذكرهم الى
يوم النشور، ثم انه جثا على ركبته، واسرع في
الاسماع لخطبته، وقال الحمد لله الملك
المحمود، المالك الودود، مصور كل مولود، ومآل
كل مطرود، ساطح المهاد، وموطد الاطواد، ومرسل
الامطار، ومسهل الاوطار، عالم الاسرار ومدركها،
ومدمر الاملاك ومهلكها، ومكور الدهور ومكررها،
ومورد الامور ومصدرها، عم سماحه وكمل،
وهطل ركامه وهمل، وطاوع السؤل والامل،
واوسع المرمل والارمل، احمده حمدا ممدودا
مداه، واوحده كما وحد الاواه، وهو الله لا
اله للامم سواه، ولا صادع لما عدل وسواه،

ارسل محمدا علما للاسلام، وإماما للحكام، ومسددا
للرعاع، ومعطلا احكام ود وسواع، أعلم وعلم،
وحكم واحكم، واصل الاصول ومهد، وأكد الوعود
وأوعد، واصل الله له الاكرام، وأودع روحه
دار السلام، ورحم آله واهله الكرام، ما لمع آل، وملع
رال، وطلع هلال، وسمع اهلال، اعملوا رحمكم الله
اصلح الاعمال، واسلكوا مسالك الحلال، واطرحوا
الحرام ودعوه، واسمعوا امر الله وعوه، وصلوا
الارحام وراعوها، وعاصوا الاهواء واردعوها،
وصاهروا اهل الصلاح والورع، وصارموا رهط
اللهو والطمع، ومصاهركم اطهر الاحرار مولدا،
واسراهم سؤددا، واحلاهم موردا، واصحهم
موعدا، وها هو امّكم، وحلّ حرمكم مملكا

عروسكم الكريمة، وماهر لها كما مهر الرسول ام سلمة،
وهو اكرم صهر اودع الاولاد، وملك ما اراد،
وما سها مملكه ولا وهم، ولا وكس ملاحمه ولا
وصم، اسأل الله لكم احماد وصاله، ودوام اسعاده،
والهم كلا اصلاح حاله، والاعداد لمعاده، وله الحمد
السرمد، والمدح لرسوله محمد، فلما
فرغ من خطبته البديعة النظام، العرية من الاعجام،
عقد العقد على الخمس المئين، وقال بالرفاء والبنين،
ثم احضر الحلواء التي كان اعدها، وابرى الآلة
عندها، فاقبلت اقبال الجماعة عليها، وكرت
ايدي اليها، فمن جرى في عن الموت اكله، واصغى
للمناولة، فوالله ما كان باسرع من نصاح الاجفان
حتى خر القوم للاذقان، فلما رايتهم كاعجاز نخل

خاويةً، او صرعى بنت خابيةٍ، علمت انها أجدى الكُبر
وامّ العِبر، فقلت له يا عزّتي نفسه، وعيّبتُ فلسه
اأعددت للقوم حلوا، ام بلوى، فقال لم اعد خبير
البلح، في صحاف الخلج، فقلت اقسم بمن اطلعها
زهرا، وهدى بها السارين طرا، لقد جئت شيئا نكرا،
والفيت لك في المخزيات ذكرا، ثم جرت فكرة في سوء
امره، وخيفة من عدوى عرّه، حتى طار نفسي
شعاعا، وارعدت فرايصي ارتياعا، فلما رأى
استطارة فرقي، واستشاطة قلقي، قال ما هذا الفكر
المرمض، والروع المومض، فان يكن فكرك في اجلي
من اجلي، فانا الآن ابرع واطفر، واقوى هذه
البقعة مني واقفر، وكم مثلها فارقتها وهي تصفر
وان يكن نظرا لنفسك، وحذرا من حبسك

فتناول فضالة الخبيص، وطب نفسا عن القميص، حتى
تأمن المستعدي والمعدى، ويتمصص لك المقام بعدي
والا فالمفر المفر، قبل ان تسحب وتجر، ثم عمد الى
لاستخراج ما في البيوت، من الاكابر والتحوت
وجعل يستخلص خالصة كل مخزون، ونخبة كل
مذروع وموزون، حتى غادرها الغاية نحلة
كعظم استخرج مخه، فلما تمكن ما اصطفاه وزم
وشمّر عن ذراعيه وتحزم، اقبل علي اقبال من
لبس الصفاقة، وخلع الصداقة، وقال هل لك
في المصاحبة الى البطيحة، لاصلك باخرى مليحة
فاقسمت بالذي جعله مباركا اينما كان، ولم يجعله
ممن خان في خان، انه لا قبل لي بنكاح حرتين
ومعاشرة ضرتين، ثم قلت له قول المتطبع بطباعه

الكايل له بصاعه، قد كفيتني الأوفى جزرًا، فاطلب آخر
يشل أخرى، فتبسم من كلامي، وذلك لالتزامي، فلويت
عنه عذاري، وأبديت له ازوراري، فلما بصر
بانقباضي، وتجلى له إعراضي،
أنشد يقول

يا صارفا عني المودة والزمان له صروف
ومعنفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت فإنني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم إلا مخيف إن تمكن أو مخوف
لا بالصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف

وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كأس الحتوف
وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الأنوف
ثم انثنيت بغنمهم نحو المغاني والقطوف
ولطالما خلفت مكلوم الحشا خلفي يطوف
وتركت أرباب الأرائك والدرانك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول ترتاع الأسنة من الوقوف
ولكم سفكت ولم قتلت وكم هتكت حجا نوف
وكم ارتكاض موبقي في الذنوب وكم خفوف
لكنني أعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى إلى هذا البيت لج في الاستعبار وألظ
بالاستغفار، حتى استمال رضى قلبي المتحرج، وأرجو
له ما يرجى للمقترف المعترف، ثم إنه غيض دمعه

المنصل، وتأبط جرابه وانسلّ، وقال لابنه احتمل
الباقي، والله الواقي، قال المحكيّ بهذه الحكاية
فلما رأيت أسباب الحيلة والخيبة، وانتهاء الدرك
إلى الكتيبة، علمت أن ابن ثنيّ بالحاد مجلبة للهوان
فضممت رحيلي، وجمعت للرحلة ذيلي، وبتّ ليلتي
أسري إلى الطيب، وأحتسب لله على الخطيب

المقامة الثلاثون وتعرف بالصوريّة

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور
إلى بلدة صور، فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض
ومالك رفع وخفض، تُقت إلى مصر توقان
السقيم إلى الإساة، والكريم إلى المواساة، فرفضت
علائق الاستقامة، ونفضت عوائق الإقامة
واعروريت ظهر ابن النعامة، وأجفلت نحوها

إجفال النعامة، فلما دخلتها بعد معاناة الأين
ومداناة الحين، كلفت بها كلف المشغوف
بالاصطباح، والحيران بتنفس الصباح
فبينا أنا يوماً بها أطوف، وتحتي فرس قطوف
إذ رأيت على جرد من الخيل، عصبة كمصابيح
الليل، فسألت لانتجاع النزهة عن العصبة
والوجهة، فقيل أما القوم فشهود، وأما المقصد
فإملاك مشهود، فحداني ميعة النشاط، على
أن سرت مع الفرّاط، لأفوز بحلاوة اللقاط
وأحوز حلواء السماط، فأفضينا بعد مكابدة
العناء، إلى دار رفيعة البناء، وسيعة الفناء
تشهد لبانيها بالثراء والسناء، فلما نزلنا عن صهوات الخيول
~~مطولات القصور~~، وقدمنا الأقدام للدخول

رأيتُ دهليزها مجلّلاً بأطمارٍ مخرّقة، ومكلّلاً بمخاوفَ
معلّقة، وهناك شيخٌ على قطيفة، فوق دكّةٍ لطيفة
فرأى عنوان الصحيفة، ومرأى هذه الطريقة
ودعاني التطيّر بتلك المناحس، إلى أن عمدتُ
لذلك المجالس، فعزمتُ عليه بمصرّف الأقدار
ليعرّفني مَن ربّ هذه الدار، فقال ما لها مالكٌ معيّن
ولا صاحبٌ مبيّن، إنّما هي مصطبة المقيّفين والمدرورين
ووليجة المشقشقين والمحلوزين، فقلتُ في نفسي إنّا
لله على ضلّة المسعى، وانجاز المرعى، وهممتُ في الحال
بالرجعى، لكنّني استهجنتُ العود من فوري، والتقهقر
دون غيري، فولجتُ الدار متحرّياً العصص كالبحر
العصفور القفص، فإذا فيها أرائكُ منقوشة، وطنافسُ
مفروشة، ونمارقُ مصفوفة، وبُسُطٌ مرصوفة

وقد أقبل المملّك يميس في برديه، ويتبهنس بين حفدته
حتّى جلس كأنّه ابن ماء السماء، ونادى ما من قبيل
الأحماء، وجرمة ساسان أستاذ الأستاذين، وقدوة
الشحّاذين، لا عقد هذا العقد المبجّل، في هذا
اليوم الأغرّ المحجّل، إلّا الذي جال وجاب
وشبّ في الكدية وشاب، فأعجب رهط الصحن ما
أشار إليه، وأذنوا في إحضار المنصوص عليه
فبرز حينئذٍ شيخٌ قد أمال الملوان قامته، ونوّر
القتيان ثغامته، فتباشرت الجماعة بإقباله
وتبادرت إلى استقباله، فلمّا جلس على زربيّته
وسكنت الضوضاء لهيبته، أخلد إلى مسنده
ومسح سبلته بيده، ثمّ قال الحمد لله المبتدئ
بالإفضال، المبتدع للنوال، المتقرّب إليه بالسؤال

الموطّد لتحقيق الآمال، الذي شرع الزكوة في الأموال
وزجر عن نهر السؤال، وندب الى مواساة المضطرّ
وامر باطعام القانع والمعترّ، ووصف عباده
المتقين في كتابه المبين، فقال وهو اصدق القائلين
والذين في اموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم
احمده على ما رزق من طعمة هنيّة، واعوذ به من استماع
دعوة غير نقيّة، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له الٰه يجزي المتصدّقين والمتصدّقات، ويمحق
الربوا ويربي الصدقات، واشهد ان محمّدا عبده الرحيم
ورسوله الكريم، ابتعثه ليشرح الظلمة بالضياء
وينتصف للفقراء من الاغنياء، فرفق صلى الله عليه بالمسكين
وخفض جناحه للمستكين، وفرض الحقوق في اموال
المثرين، وبيّن ما يجب للمقلّين على المكثرين، صلى الله عليه

صلوة تحظيه بالزلفة، وعلى اصفيائه اهل الصفّة
اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتعفّفوا وسنّ
التناسل لتتضاعفوا، فقال سبحانه وتعالى لتعرّفوا
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل
لتعارفوا، وهذا ابو الدرّاج، ولّاج بن خرّاج
ذو الوجه الوقاح، والافك الصراح، والهرير والقباح
والابرام والالحاح، يخطب سليطة اهلها، وبريطة
بعلها، قنبس بنت ابي العنبس، لما بلغه من التحافها
بالمحافها، واسرافها في اسفافها، وانكماشها على معاشها
وانتعاشها عند هراشها، وقد بذل لها من الصداق شلاقا
وعكّازا وصفاعا وكرازا، فانكحوه كما تناكح امثاله
وصِلوا احبالكم بحباله، وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله، اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم

والسأله ان يلبث في المصاطب بتسالم ويحترس من
المعاطب بتملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته وبرم
للحنين عن خطبته تساقط من النثار ما استغرق
حد الاكثار واعري الشيخ بالايثار ثم نهض الشيخ
يسحب ذلاذله ويقدم اراذله قال الحرث بن همام
فتبعته لانظر عرجة القوم واكمل بهجة اليوم فعاج
بهم الى سماط ربيت طهاته وتناهت في الحسن
جفانه فحين ربع كل شخص منهم في ربضته وطفق
يرتع في روضته انسللت من الصف وفررت من
الزحف فجابت من الشيخ لفتة الي ونظرة هجم بها
طرفه علي فقال الى اين يا برم هلا عاشرت معاشر
من فيه كرم فقلت والذي خلقها طباقا وطبقها اشراقا
لا ذقت لماقا ولا لست رقاقا او تخبرني اين مدب

صباك ومن اين مهب صباك فتنفس الصعداء مرارا
وارسل البكاء مدرارا حتى اذا استنزف الدمع
الجمع وقال ايا اسمع

مسقط الراس سروج وبها كنت اموج
بلدة يوجد فيها كل شي ويروج
وردها من سلسبيل وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج
وازاهير رباها حين يجتاب الثلوج
من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج
عبرة تهمي وشجو كلما قر تهيج

ومُمَوَّهٌ كلَّ يومٍ يخطبها خاطبٌ من تيه
ومسابغ في الترجّي قاصرات الخطو عن
ليت يومي حُمَّ لمّا حُمَّ لي منها الخروج

قال فلما تمّ بلده، ووعيت ما أنشده، أيقنت أنه علّامتنا
أبو زيد، وإن كان الهرم قد أوثقه بقيد، فبادرت
إلى مصافحته، واغتنمت مؤاكلته من صحفته،
وظلت مدة مقامي بحمص أعشو إلى شواظه، وأحشو
صدفتي من درر ألفاظه، إلى أن نعب بيننا غراب
البين، ففارقته مفارقة الجفن للعين.

المقامة الحادية والثلاثون الرملية

حدّث الحارث بن همّام قال كنت في عنفوان الشباب،
وريعان العيش اللباب، أقلي الاكتنان بالغاب،
وأصبو إلى الانسلاخ من القراب، لعلمي أن السفر ينفخ

السفر، ويُنتج الظفر، ومعاقرة الوطن تعقر
الفطن، وتجفو من قطن، فأجلت قداح الاستشار
وانتجعت زناد الاستخارة، ثم استحثثت جاشاً
ابتنت من التجارة، واصعدت إلى ساحل الشام للتجارة،
فلما خيّمت بالرملة، وألقيت بها عصا الرحلة،
صادفت ركباً يُعدّ للسُّرى، ورحالاً تُشدّ إلى أم
القرى، فعصفت بي ريح الغرام، واهتاج لي
شوق إلى البيت الحرام، فزممت ناقتي، ونبذت
علقي وعلاقتي

وقلت للائمي اقصر فإني ... سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع ... وأسلو بالحطيم عن الحطام

ثم لم أنفك مع رفقة كنجوم الليل، لهم في السير جرية
السيل، وإلى الخير جري الخيل، فلم نزل بين إدلاج وتأ

والإيجاف وتقريب، إلى أن حبتنا أيدي المطايا بالتحفة
في إيصالنا إلى الجحفة، فحللناها متأهبين للإحرام
متباشرين بإدراك المرام، فلم يكن إلا أن أنخنا الركائب
وحططنا الحقائب، حتى طلع من بين الهضاب
شخص صاحي الإهاب، وهو ينادي يا أهل ذا النادي
هلم إلى ما ينفع الشادي، فانخرط إليه الحجيج
وانصلتوا، واحتفوا به وأنصتوا، فلما رأى تألّفهم
حوله، واستطعامهم قوله، تسنّم إحدى الآكام
ثم تنحنح مستفتحًا للكلام، وقال يا معشر الحجاج
الناسلين من الفجاج، أتعقلون ما تواجهون
وإلى من تتوجهون، أم تدرون على من تقدمون
وعلام تقدمون، أم تخالون أن الحج هو اختيار
الرواحل، وقطع المراحل، واتخاذ المحامل

12

وانتقاء الزوامل، أم تظنون أن النسك هو نضو الأبراد
وإنضاء الأجساد، ومفارقة الأولاد، والتنائي عن
البلاد، كلا والله بل هو اجتناب الخطية، قبل
اجتلاب المطية، وإخلاص النية، في قصد تلك البنية
وإمحاض الطاعة، عند وجدان الاستطاعة، وإصلاح
المعاملات، أمام إعمال اليعملات، فوالذي شرع سنن
المناسك للناسك، وأرشد السالك في الليل الحالك
ما ينقّي الاغتسال بالذنوب، من الانغماس في الذنوب
ولا تعدل تعرية الأجسام، بتعبئة الآثام، ولا
تغني لبسة الإحرام، عن التلبس بالحرام، ولا ينفع
الاضطباع بالإزار، مع الاضطلاع بالأوزار، ولا
تجدي التجرد بالحلق، مع التقلب في ظلم الخلق، ولا
يرحض التنسك بالتقصير، دون التمسك بالتقصير

ولا يسعد بعرفة، غير أهل المعرفة، ولا يزكو بالخيف
من يرغب في الحيف، ولا يشهد المقام، إلا من استقام
ولا يحظى بقبول الحجة، من زاغ عن المحجة، فرحم
الله امرأ صفا، قبل مسعاه إلى الصفا، وورد
شريعة الرضا، قبل شروعه على الأضا، ونزع
عن تلبيسه، قبل نزع ملبوسه، وفاض معروفه
قبل الإفاضة من تعريفه، ثم رفع عقيرته بصوت
أسمع الصم، وكاد يزعزع الجبال الشم،

وأنشد يقول

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا
ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على
تجريدك الحج لا تقضي به حاجا

وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا
ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
وأن تواسي بما أوتيت مقدرة
من مد كفا إلى جدواك محتاجا
فهذه إن حججتها حجة كملت
وإن خلا الحج منها كان إخداجا
حسب المرائين غبنا أنهم غرسوا
وما جنوا ولقوا كدا وإزعاجا
وأنهم حرموا أجرا ومحمدة
والحمق أعرضهم من عاج أو هاجا
أخي فابغ بما تبديه من قرب
وجه المهيمن ولا تهجا وهراجا
فليس يخفى على الرحمن خافية
إن أخلص العبد في الطاعات أو داجا

وبادر الموت بالحسنى تقدمها
لو انما ينهنه داعي الموت ان فاجا
واقر التواضع خلقا لا تزايله
عنك الليالي ولو البستك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه
ولو ترى صوب السكب ثجاجا
ما كل داع باهل ان يصاح له
كم قد اصم نعي بعض ما باحا
وما اللبيب سوى من بات مقتنعا
ببلغة من رجا الايام اذ راجا
فكل كثر الى قل مغبته
وكل ناء الى لين وان هاجا

قال الراوي فلما الفح عقم الافهام بسحر الكلام

اشبه وجه ابي زيد وما دني الارتياح للهاي مني فمكثت حتى استوعبت حكمته واخذ من المنة ثم دلفت اليه لا تصفح صفحات محياه واستشف جوهر حلاه فاذا هو الضالة التي انشدها وناظم القلائد التي انشدها فعانقته عناق اللام للالف ونزلته منزلة البرء عند الدنف وسالته ان يلازمني فابى او يرافقني فنبا وقال آليت في حجتي هذه الا احتقب ولا اعتقب ولا اكتسب ولا انتسب ولا ارتفق ولا ارافق ولا اوافق من ينافق ثم ذهب يهرول وغادرني اولول فلم ازل اقريه نظري واود لو تمشى على ناظري حتى توقل احد الاطواد ووقف للحجيج بالمرصاد فحين شاهد انضباع الركبان في الكثبان وقع بالبنان على البنان واقبل ينشد

ليس من زار راكبا مثل ساع على القدم
ولا خادم الطاع كعاص من الخدم
كيف يا قوم يستوي سعي بان ومن هدم
سيقوم المفرطون غدا مأتم الندم
ويقول الذي تقدم طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدمي صالحا عند ذي القدم
وازدري زخرف الحياة فوجدانه عدم
واذكري مصرع الحمام اذا خطبه صدم
وابكي فعلك القبيح وسحي له بدم
وادعي توبة قبل ان تحلم الادم
فعسى الله ان يقيك السعير الذي احتدم
يوم لا عاثر يقال ولا ينفع الندم

ثم انه اغمد عضب لسانه، وانطلق لشانه، فما ذلك في كل مورد نورده، ومعرس نتوسده، اتفقده فافقده، واستنجد من ينشده فلا اجده، حتى خلت ان الجن قد اختطفته، او الارض اقتطفته، فما كابدت في الغربة كهذه الكربة، ولا منيت في سفرة بمثلها من زفرة،

المقامة الثانية والثلاثون الحرمية

حكى الحارث بن همام قال اجمعت حين قضيت مناسك الحج، واقمت وظائف العج والثج، ان اقصد طيبة، مع رفقة من بني شيبة، لازور قبر المصطفى، واخرج من قبيل من حج وجفا، فارجف بان المسالك شاغرة، وعرب الحرمين متشاجرة، فحرت بين اشفاق يثبطني، واشواق تنشطني، الى ان ألقي في روعي الاستسلام، وتغليب زيارة قبره عليه السلام، فاغتنمت العقدة، واعددت العدة، وبرزت

لا تلوي على عرجة ولا تنثني في دلجة حتى وافينا بني
حرب وقد آلوا من حرب فأزمعنا أن نقضي ظل
اليوم في حلة القوم وبينما نحن نتخير المناخ
ونرود الورد النقاخ إذ رأيناهم يركضون
كأنهم إلى نصب يوفضون ثم رأينا انثيالهم وسألنا
ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب
فأهرعت إليه لهذا السبب فقلت لرفقتي
ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي
فقالوا لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت وما ألوت
فنهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى إذا
أظللنا عليه واستشرفنا الفقيه المنصود إليه
ألفيته أبا زيد ذا الشعر والبشر والفواقر والفقر
وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء وقعد القرفصاء

والأعيان الحي به محتفون وأخلاطهم عليه ملتفون
وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا مني
المشكلات فوالذي فطر السماء وعلم آدم الأسماء
إني لفقيه العرب العرباء وأعلم من تحت الجرباء
قال فصمد له فتى اللسان جريء الجنان وقال
إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم مائة فتيا
فإن كنت ممن يرغب عن ثنائنا غيره ويرغب منا في
ميره فاستمع وأجب لتقابل بما يجب فقال
الله أكبر سيبين المخبر وينكشف المضمر فاصدع
بما تؤمر قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله
قال انتقض وضوؤه بفعله النعل الزوجة قال فإن
توضأ ثم أنكاه البرد قال يجدد الوضوء من بعد البرد
النوم قال أيجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان قال وهل

فتيق اللسان اي حديد اللسان فصيح كانه يفتق ما اصابه

جمع ثعب كالسود والسودان

انظف منه للعريان . الثعبان جمع ثعب وهو مسيل
الوادي . قال أيمسح المتوضئ أنثييه . قال ما يندب
اليه ولم يوجب عليه . الانثيان الاذنان . قال
أيستباح ماء الضرير . قال نعم ويجتنب ماء البصير
الضرير حرف الوادي . والبصير الكلب . قال
أيحل الطوف في الربيع . قال يكره ذلك للمحدث الشنيع
الطوف الغائط . والربيع النهر . قال أيجب الغسل
على من أمذى . قال لا ولو ثنى . أمذى ترك مذي يقال منه
مذي وامذى وامتذى . قال فما يجب على الجنب غسل
فروته . قال أجل وغسل ابرته . الفروة جلدة الرأس
والابرة عظم المرفق . قال فان أخل بغسل فاسه
قال هو كما لو لم يغسل رأسه . الفاس العظم المشرف على
نقرة القفا . قال ما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا قال

تذكره

ان يسجل عليه

بطل تيممه فليتوضأ . الروض مما جمع روضة وهي الصبابة
تبقى في الحوض . قال أيجوز الرجل في العذرة . قال نعم
ويجانب القذرة . العذرة فناء الدار . قال فيحل له السجود
على الخلاف . قال لا ولا على اجنحة الطراف . الخلاف الكم
قال فان سجد على شماله . قال لا بأس بفعاله . الشمال
جمع شملة . قال فيجوز السجود على الكراع . قال نعم
دون الذراع . الكراع ما استطال من الحرة . قال أيصلي
على رأس الكلب . قال نعم كسائر الهضب . رأس الكلب
ثنية معروفة . قال ما تقول فيمن صلى وعانته باردة
قال صلوته جائزة . العانة الجماعة من حمر الوحش
قال فان صلى وعليه صوم . قال يعيد ولو صلى مائة يوم
الصوم ذرق النعام . قال فان حمل جروا وصلى قال
هو كما لو حمل باقلى . الجرو الصغار من القثاء والرمان

الكراع ما دون الركبة من الانسان ومن الدواب ما دون الكعب

وهي الحجارة السود

قال أيصح صلوة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق المروة
القروة ميلغة الكلب قال فان قطر على ثوب المصلي
نجو قال يمضي في صلوته ولا عزو النجو السحاب الذي قد
هراق ماءه قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع قال
نعم ومدرع المقنع لابس المغفر والمدرع لابس
الدرع قال فان امهم من في يده وقف قال يعيدون
ولو امهم الف الوقف السوار من العاج او الذبل
واراد به انه لا يجوز للرجال الايتمام بالنساء قال
فان امهم من تحت بادية قال صلوته وصلوتهم ماضية
التحت العشيرة والبادية الذين يسكنون البدو واخبار
بعضهم تشكيك لحامل هذه التحت ليفرق بينها
وبين التحت من النساء قال فان امهم الثور الاجم
قال صل وخلاك ذم الثور السيد والاجم الذي لا

يرجم معه قال لا يدخل القصر في صلوة الشاهد قال
لا والغائب الشاهد صلوة الشاهد صلوة المغرب
سميت بذلك لان قيامها عند طلوع النجم لان النجم
يسمى الشاهد قال أيجوز للمعذور ان يفطر في شهر
رمضان قال ما رخص فيه الا للصبيان المعذور
المختون وهو ايضا المعذر قال فيحل للمعرس ان
ياكل فيه قال نعم بلا فيه المعرس المسافر
الذي ينزل في آخر الليل ليستريح ثم يرتحل قال
فان افطر فيه العداة قال لا يبكي عليهم الولاة
العداة الذين تأخذهم العدواء وهي الحمى بن غدة
قال فان اكل الصائم بعد ما اصبح قال هو احوط
له واصلح اصبح اي استصبح بالمصباح قال
فان عمل له ان ياكل ليلا قال ليشمر للقضاء ذيلا

الليل الأنثى من فراخ الحبارى وقيل هو ولد الكروان
~~ذكر ابن دريد انه ولد الحبارى وقال غيره ولد الكروان~~
وجمعه كروان قال فإن أكل قبل أن توارى البيضاء
قال يلزمه والله القضاء البيضاء من اسماء الشمس
قال فإن استثار الصائم الكبد قال افطر ومن
اجل الصيد الكبد القوي واستثاره اي استدعاه
قال فهل يفطر بالحاج الطابخ قال نعم لا يطاهي
المطابخ الطابخ الحمى الصالب قال فإن ضحكت
المرأة في صومها قال بطل صوم يومها ضحكت بمعنى
حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحق
قال فإن ظهر الجدري على ضرتها قال يفطر ان
اذن بضرتها الضرة اصل الابهام ومنه اصل الثدي
ايضا قال ما يجب في مائة مصباح قال حقتان يا صاح

المصباح الناقة التي تصبح في المبرك قال فإن ملك
عشر خناجر قال يخرج شاتين ولا يشاجر الخناجر
النوق الغزار واحدتها خنجر وخنجود قال فإن
سمح للساعي بحميمة قال يا بشرى له يوم قيامته
الساعي جابي الصدقة والحميمة خيار المال
قال أيستنجي حملة الأوزار من الركوم جبرا قال نعم
اذا كانوا غزاة الأوزار الأسلحة وغزى جمع
غاز قال أيجوز للحاج أن يعتمر قال لا ولا أن
يختمر الاعتمار لبس العمارة وهي العمامة والاختمار
لبس الخمار قال فهل له أن يقتل الشجاع قال نعم
كما يقتل السباع الشجاع الحية قال فإن قتل
زمارة في الحرم قال عليه بدنة من النعم الزمارة
النعامة واسم صوتها الزمار قال فإن رمى ساق

ومنه قوله حتى تضع الحرب اوزارها

حتى يجد له • قال أيخرج شاة بدله • ساق حر ذكر
القماري • قال فإن قتل أم عوف بعد الإحرام • قال يتصدق
بقبضة من طعام • أم عوف الجرادة • قال أيجب على
الحاج استصحاب القارب • قال نعم ليسقيهم إلى
المشارب • القارب طالب الماء بالليل • والحاج اسم
للواحد والجمع • قال ما تقول في الحرام بعد السبت •
قال قد حل في ذلك الوقت • الحرام المحرم • والسبت
حلق الرأس وجاء من تحليل الحج • قال ما تقول في بيع
الكميت • قال حرام كبيع الميت • الكميت الخمر •
قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل • قال لا ولا بلحم الحمل
الخل ابن المخاض • ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء
كان من جنسه أم من غير جنسه • قال أيحل بيع الهدية •
قال لا ولا بيع السبية • الهدية بالتشديد ما يهدى إلى

القارب سفينة صغيرة وجمعه قوارب

الكعبة ويقال أيضاً هدية بسكون الدال وتخفيف الياء • السبية الخمر •
قال ما تقول في بيع العقيقة • قال محظور على الحقيقة •
العقيقة ما يذبح عن المولود في اليوم السابع من
ولادته • قال أيجوز بيع الداعي على الراعي • قال لا
ولا على الساعي • الداعي بقية اللبن في الضرع •
والساعي جابي الصدقة • قال أيباع الصقر بالتمر •
قال لا وما لك الخلق والأمر • الصقر الدبس • قال
أيشتري المسلم سلب المسلمات • قال نعم ويورث
عنه إذا مات • السلب لحاء الشجر ومن أيضا خوص
الثمام • قال هل يجوز أن يبتاع الشافع • قال ما الجواز
من دافع • الشافع الشاة التي معها ولدها • قال
أيباع الأبريق على بني الأصفر • قال يكره ذلك كبيع
المغفر • الأبريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو الأصفر
الروم •

قال: أيجوز أن يبيع الرجل صفيقته؟ قال: لا، ولكن ليبع
صفيّته. الصفيّ: الولد على الكبر، والصفيّ: الناقة
الغزيرة الدّرّ. قال: فإن اشترى عبدًا فبان بأمّه
جراح؟ قال: ما فيردّه جناح. الأمّ: مجتمع الدماغ.

كتاب الشفعة

أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء؟ قال: لا
ولا للشريك في الصفراء. الصحراء: الأتان التي يمازج
بياضها غبرة.

كتاب إحياء الموات

قال: أيحلّ أن يحمى ماء البئر والخلا؟
قال: إن كانا في الفلا فلا يحمى منهما. والخلا:
الكلأ.

كتاب الذبائح

قال: ما تقول في ميتة الكافر؟ قال: هي
حلّ للمقيم والمسافر. الكافر: البحر، وميتته
السمك الطافي فوق الماء، وهو عند الشافعي رحمه الله
حلال.

كتاب الأضحية

قال: أيجوز أن يضحّى بالحول؟ قال: هو أجدر
بالقبول. الحول: جمع حائل. قال: فهل يجوز أن يضحّى
بالطالق؟ قال: نعم، ويقرى منها الطارق. الطالق:
الناقة ترسل ترعى حيث شاءت. قال: فإن ضحّى
قبل ظهور الغزالة؟ قال: شاة لحم بلا محالة. الغزالة:
الشمس، وقال بعضهم: يقال طلعت الغزالة،
ولا يقال غربت. قال: أيحلّ الكسب بالطرق؟
قال: هو كالقمار بلا فرق. الطرق: الضرب بالحصى،
وهو من أفعال الكهنة. قال: أيسلّم القائم
على القاعد؟ قال: محظور فيما بين الأباعد. القاعد:
التي قعدت عن الحيض أو عن الأزواج. قال:
أينام العاقل تحت الرقيع؟ قال: أجل به في
البقيع. الرقيع: السماء، وعنى بالبقيع بقيع المدينة.
قال: أيمنع الذمي من قتل العجوز؟ قال: ومعارضته
في العجوز لا تجوز. العجوز: الخمر، وقتلها: مزجها.

قال ما تقول في التهود قال هو مفتاح التزهد

التهود التوبة ومنه قوله علي انا هدنا اليك

قال أيجوز ان ينتقل الرجل عن عمارة ابيه قال

ما يجوز لخامل ولا نبيه العمارة القبيلة قال

ما تقول في صبر البلية قال اعظم به من

خطية الصبر الحبس والبلية الناقة

تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف

الى ان تموت وكانت الجاهلية تزعم ان

صاحبها يحشر عليها قال أيعزر الرجل

اباه قال يفعله البر ولا يأباه التعزير

التعظيم والنصر والتوقير قال أيحل

صيد السفير قال نعم والحمل على المستشير

السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير

عزّره اي عظمه وعزر الجاني اي ادبه

السفير المصلح بين القوم هـ

من حمل الشيء على الدابة يعني يجوز ايضا حمل السفير بعد الضب على المستشير وهو طالب المشورة هـ

الجمل السمين وهو ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح

من الحائل قال ما تقول فيمن افقر اخاه قال

حبذا ما توخاه الافقار اعارة ناقة يركب فقارها

قال فان اعرى ولم قال يا حسن ما اعتمده

اعراه اعطاه ثمر نخلة عاما قال فان

اصلى مملوكه النار قال لا اثم عليه ولا عار

المملوك العجين الذي قد اجيد عجنه حتى قوي

قال أيجوز للمرأة ان تصرم بعلها قال ما حظر احد

فعلها البعل النخل الذي يشرب بعروقه من

الانهر قال فهل تؤدب المرأة على التجمل قال

اجل التجمل سوء اجتمال الغني ومنه قوله عليه السلام

لكن اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن خجلتن قال ما

تقول فيمن نحت اثلة اخيه قال اثم ولو اذن له فيه

الاثلة شجرة شبه الطرفاء الواحدة اثلة هـ

ثبت ثلاثة اذا اغتابه وقدح في عرضه • قال
أيحجر الحاكم على صاحب الثور • قال نعم لئلا يأمن
غائلة الحور • الثور المجنون • قال فهل له ان يضرب
على يد اليتيم • قال نعم الى ان يستقيم • يقال ضرب على
يده اذا حجر عليه • قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا
قال لا ولو كان له رضا • الربض الزوجة • قال فمتى يبيع
بدن السفينة • قال حين يرى الحظ فيه • البدن الدرع
القصير • قال فهل يجوز له حشيا • قال نعم اذا لم
يكن معشيا • الحشي النمل المجتمع • قال ايجوز ان يكون
الحاكم ظالما • قال نعم اذا كان عالما • الظالم الذي
يشرب اللبن قبل ان يروب ويخرج زبده • قال ايستقضى
من ليست له بصيرة • قال نعم اذا حسنت منه السيرة
البصيرة ههنا الترس • قال فان تعرى من العقل

قال ذاك عنوان الفضل • العقل ضرب من الوشي • قال
فان كان له زهو وجبار • قال لا ان كان ولد اكبابه
الزهو البسر المتلون • والجبار النخل الذي فات اليد
وضع النخلة القاعد • قال ايجوز ان يكون الشاهد
مربيا • قال نعم اذا كان ابيا • المربب الذي يكثر
عنده اللبن الرائب • قال فان بال ثم لاط • قال
هو كما لو خاط • لاط الحوض اذا طينه • قال فان
عثر على انه غزيل • قال ترد شهادته ولا تقبل
غزيل الذي يتبذل • قال فان وضح انه مائن • قال هو
وصف له زائن • المائن الذي يعول ويكفي المؤنة
من كان يمون • قال ما يجب على عابد الحق • قال
يحلف بالله الخالق • العابد ههنا الجاحد • والحق الدين
قال فان جرح قطاة امراة فماتت • قال النفس
اذا فاتت

كتاب الايمان

القطاة ما بين الوركين • قال فما تقول فيمن فقأ عين بلبل
عامدا • قال تفقأ عينه قودا واجبا • البلبل الرجل الخفيف اللحم
قال فإن ألقت الحامل حبيشا من ضربه • قال ليكفر
بالإعتاق عن ذنبه • الحبيش الجنين الملقى ميتا • قال فما
ما يجب على المختفي في الشرع • قال القطع لإقامة الردع •
المختفي نباش القبور • قال فما تصنع بمن سرق أساود
الدار • قال يقطع إن ساوين ربع دينار • الأساود
المستعملة كالإجانة والقدر والجفنة والمركن • قال
فإن سرق ثمينا من نصب • قال لا قطع كما لو غصب •
الثمين الثمن كما يقال في النصف نصيف وفي السدس سديس
قال فإن بان على المرأة السرق • قال لا حرج عليها
ولا فرق • السرق الحرير الأبيض • قال أيعقد نكاح
لم يشهده القوارى • قال لا والخالق الباري • القوارى

الشهود لأنهم يقرون الأشياء أي يتتبعونها • قال
ما تقول في عروس باتت بليلة حرة ثم ردت في حافرتها
بسحرة • قال يجب لها نصف الصداق ولا تلزمها
عدة الطلاق • يقال باتت العروس بليلة حرة إذا
امتنعت على زوجها فإن افتضها قيل باتت بليلة
شيباء • والرد في الحافرة يعني الرجوع في الطريق
الأول وكني به عن طلاقها وردها إلى أهلها • فقال
له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه الماتح
وحبر لا يبلغ مدحه المادح • ثم أطرق إطراق
الحيي • وارمّ إرمام العيي • فقال له يا فتى فأنى
منى ولي منى • فقال إنه لم يبق في كنانتي مرماة ولا
بعد إشراق صبحك مماراة • فبالله أي أرض أنبتت
فما أقيس ما أنبتت • فأنشد بلسان ذلق • وصوت صهصلق

انا في العالم مثله ... وكهل العلم قبله

غير أني كل يوم ... بين تعريس ورحلة

والغريب الدار لو حل بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدى ويهدي فاجعلنا ممن يهتدي ويهدي فساق اليه القوم ذودا مع قنية وسألوه أن يزورهم الفينة بعد الفينة فنهض يشيعهم العود ويزجي الحمد والذود قال الحارث بن همام فاعترضته وقلت عهدي بك سفيها فمتى صرت فقيها فطأطأ هنيهة

ثم أنشأ يقول

لبست لكل زمان لبوسا ... ولابست صرفيه نعمى وبوسا

وعاشرت كل جليس بما ... يلائمه لأروق الجليسا

فعند الرواة أدير الكلام ... وبين السقاة أدير الكؤوسا

وطورا بوعظي أسيل الدموع ... وطورا بلهوي أسر النفوسا

وأقري المسامع إما نطقت ... بيانا يقود الحرون الشموسا

وإن شئت أرعفت كفي اليراع ... فساقط درا تحلى الطروسا

وكم مشكل ألبس الساهي ... خفاء فصيرته مكتسي شموسا

وكم ملح لي خلبن العقول ... وأثرن في كل قلب رسيسا

وعذراء أفحمت بها فأتتني ... عليها الثناء طليقا حبيسا

على أنني من زماني حصصت ... بكيد ولا كيد فرعون موسى

يسعر لي كل يوم وغى ... أطا من لظاها وطيسا وطيسا

ويطرقني بالخطوب التي ... يذبن القوى ويشبن الرؤوسا

ويدني إلي البعيد البغيض ... ويبعد عني القريب الأنيسا

ولولا خباثة أخلاقه ... لما كان حظي منه خسيسا

فقلت له خفض الأحزان ولا تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب الكيس إلى مذهب ابن إدريس

فقال دع الهالة، ولا تهتك الأستاره، واقصر بنا
لنضرب إلى مسجد يثرب، فعسى أن نرحض بالمزاره
درن الأوزاره، فقلت هيهات أن أسير أو أوافقه
التفسيره، فقال تالله لقد أوجبت ذمامه، وطلبت
إذ طلبت إمامه، فصار مما يشفي النفس، وينفي اللبس،
قال فلما أوضح لي المعمى، وكشف عني الغمى، شددنا
الأكوار، وسرت وسار، ولم أزل من مسامرته، ومدة
مسايرته، فيما أنساني طعم المشقة، ووددت
معه بعد الشقة، حتى إذا أحللنا مدينة الرسول،
وفزنا من الزيارة بالسول، أشأم وأعرقت،
وغرب وشرقت، والله أعلم ومواطنكم،

النعمى والنعماء الشدة من غمه إذا أحزنه أو الأمر الملتبس المبهم من غمه إذا أغطاه

الشقة بعد السفر البعيد يقال شقة وشاقة

المقامة الثالثة والثلاثون التفليسية

حكى الحارث بن همام قال لما جبت البيد إلى زبيد

عاهدت الله تعالى مذ يفعت، ألا أؤخر الصلوة ما
استطعت، فكنت مع جوب الفلوات، ولهو الخلوات،
أراعي أوقات الصلوات، وأحاذر من مأثم الفوات،
وإذا رافقت في رحلة، أو حللت في حلة،
مرجت بصوت الداعي إليها، واقتديت بمن يحافظ
عليها، فاتفق حين دخلت تفليس، أن صليت مع
زمرة مفاليس، فلما قضينا الصلوة، وأزمعنا
الانفلات، برز شيخ بادي اللقوة، بالي الكسوة
والقوة، فقال عزمت على من خلق من طينة
الحرية، وتفوق در العصبية، إلا ما كلف لي لبثة،
واستمع مني نفثة، ثم له الخيار من بعد، وبيده
البذل والرد، فعقد له القوم الحبى، وربضوا أمثال
الربى، فلما آنس حسن إنصاتهم، ورزانة حصاتهم،

قال يا اولي الأبصار الرامقة والبصاير الرايقة
اما يغني عن الخبر العيان وينبي عن النار الدخان
شيب لايح وضعف بايح ووهن فادح وداء
واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن
ملك ومال وولي وآل ورفد ونال ووصل
وصال فلم تزل الجوايح تسحت والنوايب تنحت
حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار ضنك
والعيش نكد والصبية يتضاغون من الطوى
ويتمنون مصاصة النوى ولم اقم هذا المقام
الشاين والكشف لكم الدفاين الا بعد ما شقيت
ولقيت وشبت مما لقيت فليتني لم اكن
بقيت ثم تأوه تأوه الأسيف وانشد بصوت
ضعيف بقول شعر

اشكو الى الرحمن سبحانه ... تقلب الدهر وعدوانه
وحادثا قرعن مروتي ... وقوضن مجدي وبنيانه
واهتصرن عودي ويا من ... يهتصر الحادث اغصانه
وامحلت ربعي حتى جلت ... من ربعي المحل جرذانه
وغادرتني حايرا بايرا ... اكابد الفقر واشجانه
من بعد ما كنت اخا ثروة ... يسحب في النعمة اردانه
تختبط العافون اوراقه ... وتحمد الساري نيرانه
فاصبح اليوم كان لم يكن ... اعانه الدهر الذي عانه
وازور من كان له زايرا ... وعاف عافي العرف عرفانه
فهل فتى يجبر ما ابري ... من ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذي همه ... ويصلح الشأن الذي شانه

قال الراوي فضت الحاجة الى ان تستثبته لتستخبر
خبيئته وتستنفض حقيبته فقالت له قد عرفت فاورد
زنتك فقال لواح

ورأينا زمرتك. فعرفنا وجه شعبك
واحتسب اللئام عن نسبتك. فأعرض إعراض
من حُيّي بالرغام. أو بُشّر بالبنات. وجعل
يلعن الضرورات. ويتأفف من تنغيص المروّات.
ثم أنشد بلفظ صادع. وجرس خادع
لعمرك ما كل فرع يدل * جناه اللذيذ على أصله
فكم ما حلا جنى تؤتى به * ولا تسأل الشهد عن نحله
وميّز إذا ما اعتصرت الكروم * سلافة عصرك من خله
لتُغلي وتُرخص عن خبرة * وتشري كلا شري مثله
فعار على الفطن اللوذعي * دخول العمية في عقله
قال فأدهش القوم بذكائه ودهائه. واختلبهم
بحسن أدائه مع دائه. حتى جمعوا له خبايا الحُزَن
وخفايا الثُّبَن. وقالوا له يا هذا إنك جئت على

بكيّة. وتعرضت لخليّة خليّة. فحذ حذو الصبابة
وصيّرها الخطاء ولا إصابة. فنزّل قلبهم منزلة الكنّة
ووصل قبوله بالشكر. ثم تولّى يجرّ شقه. ويهبط بالخبط
طرقه. قال المخبر بهذه الحكاية. فصوّر لي أنه محتال
الخليقة. متصنّع في مشيته. فقصصت أثره متحاميًا
واقتفوا آثاره. وهو يلحظني شزرًا. ويوسعني مخبرًا
حتى إذا خلا الطريق. وأمكن التحقيق. نظر إليّ نظر
من هشّ وبشّ. وما حصّ بعدما غشّ. وقال
إني لأعاف أخا غربة. ورأيت صحبة. فهل لك في رفيق
يرفق بك ويرتفق. وينفق عليك وينفق. فقلت
له لو أتاني هذا الرفيق. لواتاني التوفيق. فقال قد
وجدت فاغتبط. واستكرمت فارتبط. ثم ضحك
مليًا. وتمثّل لي بشرًا سويًا. فإذا هو شيخنا السروجي

لا قلبة لجسمه، ولا شبهة في وسمه، ففرحت بالقسمة

وكذبت لقوله، وشمت بلامته، على سوء مقامته

فتشاقاه، وأنشد قبل أن أحاه:

طهرت برد لكيما يقال ... فقيه في الزمان المرجى

وأظهرت للناس أن قد قلبت ... فكم نال قلبي به ما رجى

ولولا الزهادة لم يرتقي ... ولولا التفلح لم ألق فلجا

ثم قال: إنه لم يبق لي بهذه الأرض مرتع، ولا في

أهلها مطمع، فإن كنت الرفيق، فالطريق الطريق

فسرنا فيها متجردين، وترافقنا عامين أجردين

وكنت على أن أصحبه ما عشت، فأبى الدهر المشتت

المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية

حكى الحارث بن همام قال: لما جبت البيد، إلى زبيد،

صحبني غلام كنت ربيته، إلى أن بلغ أشده،

وثقفته حتى كمل رشده، وكان قد أنس بأخلاقي

وخبر مجالب وفاقي، فلم يكن يتخطى مرامي، ولا

يخطي في المرامي، لا جرم أن تربه التاطت بصفري

وأخلصته لحضري وسفري، فألوى به الدهر المبيد

حين صمت تيا زبيد، فلما شالت نعامته، وشكرت

ناميته، بقيت عاما لا أسيغ طعاما، ولا أبيع

غلاما، حتى ألجأتني شوائب الوحدة، ومتاعب

القومة والقعدة، إلى أن أعتاض عن الدر الخرز،

وأرتاد من هو سداد من عوز، فقصدت من يبيع

العبيد، في سوق زبيد، وقلت: أريد غلاما يعجب

إذا قلب، ويحمد إذا جرب، وليكن ممن خرجه

الكياسين، وأخرجه إلى السوق الإفلاس، فاهتم

كل منهم لمطلبي، ووثب، وبذل تحصيله عن كثب

ثم دارت الأهلة دورها وتقلبت كورها وحورها وما لحت من عودهم وعدا ولا سح لها رعد فلما رأيت الأكياس ناسين أو متناسين علمت أن كل امرئ خلو يقري وأن لن يحك جلدي مثل ظفري فقصصت مرهص التفويض وبرزت إلى السوق بالصفر والبيض فبينا أنا أستعرض الغلمان وأستقرئ الأثمان إذ عارضني رجل قد اختطم بلثام وقبض على زند غلام وقال

من يشتري مني غلاما صنعا
في خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما نيطت به مضطلعا
يشفيك إن قال وإن قلت وعى
وإن تصبك عثرة يقل لعا
وإن تسمه السعي في الغاب سعى

وإن تصاحبه ولو يوما رعى
وإن تقنعه بطلف قنعا
وهو على الكيس الذي قد جمعا
ما فاه قط كاذبا ولا ادعى
ولا أجاب مطمعا حين دعا
ولا استحار سر أودعا
وطالما أبدع فيما صنعا
وفاق في النظم وفي النثر معا
والله لولا ضنك عيش صدعا
وصبية أضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال فلما رأيت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته من ولدان جنة النعيم وتلوت ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم

ثم استنطقته عن اسمه، لا لرغبة في علمه، بل لانظر
اين فصاحته من صباحته، وكيف لهجته من
بهجته، فلم ينطق بحلوة ولا مرّة، ولا فاه فوه
ابن امة ولا حرّة، فصفحت عنه صفحا، وقلت قبحا
لعيك وشقحا، فعار في الضحك وانجب، ثم انغض
الي وانشد

شعر

يا من تلهّب غيظه اذ لم ابح باسمي له ما هكذا من ينصف
ان كان لا يرضيك الا كشفه فاصخ له انا يوسف انا يوسف
ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن فطنا عرفت بما اخالك تعرف

قال فسراعني بشعره، واستبى لبّي بسحره، حتى
شدهت من التحقيق، وانسيت قصة يوسف الصدّيق،
ولم يكن لي همّ الا مساومة مولاه فيه، واستطلاع
طلع الثمن الذي يرتضيه، وكنت احسب انه سينظر شزرا الي،

ويغلي السيمة علي، فما حلق الى حيث حلقت، ولا
اعتلق بما اعتلقت، بل قال ان العبد اذا برز ثمنه
وخفّت مؤونته، تبرّك به مولاه، والتحف عليه هواه
واني لا اوثر تخييب هذا الغلام اليك، بان اخفف
ثمنه عليك، فزن مائتي درهم ان شئت، واشكر
لي ما حييت، فنقدته المبلغ في الحال، كما ينقد في
الرخيص الحلال، ولم يخطر لي بال، ان كل مموّه
عال، فلما تحققت الصفقة، وحقّت الفرقة،
هملت عينا الغلام، ولا هملان دمع الغمام،
ثم اقبل على صاحبه بالسلام وقال

شعر

لحاك الله هل مثلي يباع، لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الانصاف اني اكلّف خطة لا تستطاع
وان ابلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع

فوجدت منه

أما جرّبتني فخبرت مني … نصائح لم يمازجها خداع
ولم أرصد نحيّ شَرَكاً لصيدٍ … فعدت وفي حبائلي السباع
وبطّت بي المصاعب فاستقادت … مطاوعةً وكان بها امتناع
وأيّ كريهةٍ لم أبلُ فيها … وغُنْمٍ لم يكن لي فيه باع
وما أبدت لي الأيام خرقاً … فيكشف في مصارمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني … على عيبٍ يكتّم أو يذاع
فأنّى بعت عبدك بعد عجمٍ … كما نبذت برايتها الضباع
ولم يمحض قرونك بامتحاني … وإن أشرى كما يشرى المتاع
وهلّا صنت عرضي مثل صوني … حديثك يوم جدّ بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا … سكاب فما تعار ولا تباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن … طباعٌ عل فوقها تلك الطباع
على أني سأنشد عند بيعي … أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا

قال فلما وعى الشيخ أبياته، وعقل مناغاته، تنفّس

الصعداء، وبكى حتى أبكى البعداء، ثم قال: إني أحار هذا الغلام مملّ ولدي، ولا أمتري عن أفلاذ كبدي، ولولا خلوّ مراحي، وخبوّ مصباحي، لما جنحت عن عشّي، إلى أن يُشيَّع نعشي، وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين، والمؤمن هيّنٌ ليّن، فهل لك في تسلية قلبه، وتسرية كربه، بأن تعاهدني على الإقالة متى استقلته، وأن لا تشتطّ إن تقلّبت، ففي الآثار المنتقاة المروية عن الثقات: من أقال نادماً بيعته، أقاله الله عثرته. قال الحارث بن همام: فوعدته وعداً أبرزه الحياء، وفي القلب أشياء، فاستتبّ في عينيه الغلام الوله، وقبّل ما بين عينيه، وأنشد والدمع يرفضّ من جفنيه:

خفّض فديتك النفس ما تلاقي … من برحاء الوجد والإشفاق
فما تطول مدة الفراق … ولا تني ركائب التلاقي
تحثّ عن القادر الخلاق

ثم قال له استودع علك من صون نعم المولى، وشمر ذيلك للوداع

وولى، فلبث الغلام في زفير وعويل، ريثما يقطع مرحلة ميل،

فلما استفاق، وكفكف دمعه المهراق، قال أتدري لم أعولت،

وعلام عولت، فقلت أظن لفراق مولاك، هو الذي أبكاك،

فقال إنك لفي واد، وأنا في واد، ولكم بين مريد ومراد،

ثم أنشد يقول شعر

لم أبك والله على المربع ... ولا على فوت نعيم وفرح

وإنما مدمع أجفاني سفح ... على غبي لحظة حين طمح

وربطه حتى تغنى وافتضح ... وصبح المنقوشة البيض الوضح

وذاك أما ناجش هاتيك الملح ... بأنني حر وبيعي لم يبح

إذ كان في يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت مقالة في مرآة المداعب، ومعرض الملاعب،

فتصلب المحق، وتبرأ من طينة الرق، فحملنا

نجره في محاججة، اتصلت بملاكمة، وأفضت إلى محاكمة،

فلما أوضحنا للقاضي الصورة، وتلونا عليه السورة،

قال إن من لم يذر فقد أعذر، ومن حذر فكمن بشر،

ومن بصر فما قصر، على أن هذا الغلام قد نبهك فما ارعويت،

ونصح لكما وعنيت، فاستبدأ بالجهل والتيه، ولم تفسك

ولا تلمه، وحذار من اعتلاقه، والطمع في استرقاقه،

فإنه حر الأديم، غير معرض للتقويم، وقد كان أبوه أحضره

أمس قبيل أفول الشمس، واعترف بأنه فرعه الذي أنشأه،

وأن لا وارث له سواه، فقلت للقاضي أو تعرف أباه،

أعزه الله، فقال وهل يجهل أبو زيد الذي جرحه جبار،

وعند كل قاض له أخبار وأخبار، فتحرقت حينئذ وحولقت،

وأفقت ولكن حين فات الوقت، وأيقنت أن لثامه

كان شرك مكيدته، وبيت قصيدته، فنكس طرفي ما لقيت

المحوض بكسر الميم نبات تحلى بها الجواري هـ

صبرا على شقاقه هـ

والتيت ان لا اعامل مثلكما ما بقيت ولم ازل اتاوه كالحبلى
صفقتي واقتضاحي بين رفقتي فقال لي القاضي
حين راى امتعاضي وحذار ان تماضي يا هذا ما ذهب
من مالك ما وعظك ولا اجرم اليك من ايقظك فاتعظ
بما نابك وكاتم اخاك ما اصابك وتنزل ابدا ما دام ممتهنك
لتبقى الذكرى جد امامك وتحقق تخلق من ابتلي فصبر
وتجلت له العبر فاعتبر فودعته لابسا ثوبي الخجل والخزي
ساحبا ذيلي الغبن والغبن ونويت مكاشفة ابي زيد
بالهجر ومصارمته يد الدهر فجعلت اتنكب عن ذراه
والتجنب اذ اراه الى ان غشيني في طريق ضيق فحياني
بلهجة شيق فما زدت على ان عبست وما بسست
فقال ما بالك شمخت بانفك على الفك فقلت انسيت الله
اختلقت وخلقت وفعلت فعلتك التي فعلت فاضرط

قال

بي متهاديا ثم انشد متلافيا يقول
يا من بدا منه صدود موحش وتجهم
وغدا يرنش ملاوما من فيهن لا اسهم
ويقول هل حر يباع كما يباع الادهم
اقصر فما فيه بدعا مثل ما تتوهم
قد باعت الاسباط قبلي يوسفا وهم هم
هذا واقسم بالتي يسري اليها المحرم
والطائفين بها وهم شعث النواصي سهم
ما قمت ذاك الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذر اخاك وكف عنه ملام من لا يفهم
ثم قال اما معذرتي فقد وضحت واما دراهمك
فقد طاحت فان كان اشعرك ازرك مني وازورارك
عني لفرط شفقتك على غابر نفقتك فلست ممن

يلبسني مرتين، ويوطئني على جمرتين، وإن كنت طويت كشحاً
لتستنفقا علو بأبنائي، فلنبك على عقّاك البواكي، قال
الحارث بن همام: فاصطلينا بلفظه الخالب، وسحره
الغالب، إلى أن عدنا له صفيا، وبه حفيا، ونبذنا
فعلته ظهريا، وإن كانت شيئا فريا

المقامة الخامسة والثلاثون الشيرازية

روى الحارث بن همام قال: مررت في تطوافي بشيراز
على نادٍ يستوقف المجتاز، ولو كان على أوفاز
فلم أستطع تعديه، ولا خطت قدمي في تخطيه
فعجت إليه لأسبر سر جوهره، وأنظر كيف ثمرة
من زهره، فإذا أهله أفراد، والعالج إليهم مفاد
وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد، وأطيب من
جنى العناقيد، إذ اجتاز بنا ذو طمرين، قد كاد
يناصح العمرين، فحيا بلسان طليق، وأبان إبانة
منطيق، ثم احتبى حبوة المتأدبين، وقال:
اجعلنا اللهم من المقتدين، فازدراه القوم لطمريه
ونسوا أن المرء بأصغريه، وأخذوا يتداعون فصل الخطاب
ويعتدّون عوده من الحطّاب، وهو لا ينبس بكلمة
ولا يبين عن سمة، إلى أن سبر قرائحهم، وخبر
شائلهم وراجحهم، فحين استخرج دفائنهم، واستثار
كمائنهم، قال: يا قوم لو علمتم أن وراء الفدام صفو
المدام، لما احتقرتم ذا الأخلاق، وقلتم ما له من
خلاق، ثم فجّر من ينابيع الأدب، والنكت النخب
ما حلب بدائع العجب، واستوجب أن يكتب بذوب الذهب
فلما خلب كل خلب، وقلب إليه كل قلب، تجلجل
لبرهان، وتأهب للذهاب، فعلقت الجماعة بذيله، وعا [illegible]

مشترٍ سبيله، وقال له قد ربّنا وشيمُ قدحك خيّبنا
عن فيضك ومَجّك، فصمت صموت من أُلجم، ثم أعول
حتى بجحم، قال الراوي فلما استشفّ أبو زيد ولوعه
واستلوبه المألوف وصوبه، تأملت الشيخ على سهوة
محيّاه، وسموّكه ريّاه، فإذا هو إيّاه، فكتمت سرّه
كما يكتم الداء الدخيل، وسترته وإن لم يكن تخييل
حتى أوان برح عن أحواله، وقد عرف عثوري على
حاله، رمقني بعين مضطاك، ثم طفق ينشد بلسان متباك

أستغفر الله وأعوله، من فرطات أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس، ممدوحة الأوصاف في الأنديه
قتلتها لا أتقي وارثا، يطلب مني قودا أو ديه
وكلما استدنيت في قتلها، أحلت بالذنب على الأقضيه
ولم تزل نفسي في غيّها، وقتلها الأبكار مستشريه

حتى نهاني الشيب لما بدا، في مفرقي عن تلكم المعصيه
ولم أرق مذ شاب فودي دما، من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا الآن على ما ترى، مني ومن حرفتي الملديه
أروم بكرا طال تعنيسها، وحجبها عن أعين الأخطبيه
وهي على التعنيس مخطوبة، لخطبه الغانية المغنيه
وليس يكفيني لتجهيزها، على الرضا بالدون الامنيه
والبيد لا تُؤوي على درهم، والأرض قفر والسما مصحيه
فهل معين لي على نقلها، مصحوبة بالمنة الملهيه
فيغسل الهم بصابونه، والقلب من أفكاره المضنيه
ويتقي مني اتساع الذي، يصوع رياه على الأدعيه

قال الراوي فلم يبق في الجماعة إلا من نديت له كفه
وانباع إليه عرفه، فلما نجحت بغيته، وكملت منيته
أخذ يثني عليهم بما نحلت، ونشمر عن ساق سارح فتبعته

لا تستغرب دبيبه خدره ومن قتل في جدثان امره
نكاد وشكر قيامي مثل له مرامي فاربدلو مني
وقال افقه عني شعر

قتل مثلي يا صاح مزج المدام ليس قتلي بالهذم او حسام
والتي عنيت هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام
وبتجهيز الى الكاس والطاس قيامي الذي ترى ومقامي
فتفهم ما قلته وتحكم في التغاضي ان شئت ام في الملام

ثم قال انا غريب وانت رعديد وبيننا بون بعيد
ثم ودعني وانطلق وزودني نظرة من علق

المقامة السادسة والثلثون الملطية

حكى الحارث بن همام قال اخترت بملطية مطية البين
وحقيبتي ملئ من العين فجعلت هجيراي مذ القيت بها
عصاي ان اتورد موارد المرح وان اتصيد شوارد

الملح فلم يغنني بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب
ولا مرتع حتى اذا لم يبق فيها مارب ولا في الثواء
بها من غبة عمدت لنفاق الذهب في ابتياع الاهب
فلما اكملت الاعداد وتهيات الظعن منها او كاد رايت
تسعة رهط قد سبقوا القبوة وارتبوا اربوة ومائتهم
قيد الالحاظ وفكاهتهم حلوة الالفاظ فبتجهم طلبا
لمنادمتهم لا لمدامتهم وشغفا بمحاورتهم لا
بوجاهتهم فلما انتظمت عاشرهم واصحبت معاشرهم
الفيتهم ابناء علات وقذائف فلوات الا انهم
الادب قد الف شملهم الفة النسب وساوى بينهم
في الرتب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء وكالجملة
المتناسبة الاجزاء فانجحني الاهتداء اليهم واحمدت الطالع الذي
اطلعني عليهم وطفقت اقتبس بقدحي مع قداحهم

واستشفي برياحهم لا براحهم، حتى حدانا شعوب المفاوضة
الى التحاجي بالمفايضة، كقولك اذا عنيت به الكرامات
ما مثل النوم فات، فانشأنا نجلو السهى والقمر، ونجني
الشوك والثمر، وبينا نحن ننشر القشيب والبرد
وننشل السمين والغث، طلع علينا شيخ قد ذهب حبره
وسبره، وبقي خبره وسبره، فمثل مثول من يستمع وينظر
ويلتقط ما ينتثر، الى ان نفضت الكنائن، وحصحص
الباين، فلما رأى إجبال القرائح، والاكداء الماتح والمايح
جمع اذياله، وولانا قذاله، وقال ما كل سوداء تمرة
ولا كل صهباء خمرة، فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء بالاعواد
وضمنا دون جحمته بالاسداد، وقلنا له ان دواء
الشق ان يحاص، والا فالقصاص القصاص، ولا تطمع في
ان تجرح، وتبصر الفتق وتسرح، فلوى عنانه راجعا

ثم جثم بمكانه راجعا، وقال اما اذ استثرتم نحوي بالبحث
فساحكم حكم سليمان في الحرث، اعلموا يا ذوي
الشمائل الادبية، والشمول الذهبية، ان وضع الاحاجي
لامتحان الالمعية، واستخراج الخبية الخفية، وشرطها
ان تكون ذات مماثلة حقيقية، والفاظ معنوية
ولطيفة ادبية، ومتى نافت هذا النمط، ضاهت السقط
ولم تدخل السفط، وما رأيتكم حافظتم على هذه الحدود
ولا ميزتم بين المقبول والمردود، فقلنا له صدقت
وبالحق نطقت، فكل لنا من لبابك، وافض علينا
من عبابك، فقال افعل لئلا يرتاب المبطلون
ويظنوا بي الظنون، ثم قابل ناطورة القوم وقال
بيما، يا من بذكاه في الفضل واري الزناد
ماذا يماثل قولي جوع امد براد

ولم ابكم

ثم ضحك الى الثاني وقال

يا ذا الذي فاق فضلاً ... ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي ... ظهر اصابته عين

ثم لحظ الى الثالث وانشا يقول

يا من نتائج فكره ... مثل النقود الجائزه
ما مثل قولك للذي ... حاجيت صادف جائزه

ثم رمى الرابع ببصره وقال

يا مستنبط الغامض من لغز واضمار
الكشف لي ما مثل تناول الف دينار

ثم التفت الى الخامس وقال

يا ايها الالمعي اخو الذكاء المتحلي
ما مثل اهمل حليه بين حديث وعمل

ثم التفت الى السادس وقال

يا من يقصر عن مداه خطى مجاريه وتضعف
ما مثل قولك للذي اضحى يحاجيك القفا القف

ثم غمز السابع بحاجبه وقال

يا من له فطنة تجلت ... ورتبة في الذكاء حلت
بين لنا زلت دليلا ... ما مثل قول الشفيق اقلت

ثم استنصت الثامن وقال

يا من جلا فضله مطلوله الدهر وغضه
ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجى [illegible] رضه

ثم حدج التاسع ببصره وقال

يا من يشار اليه في الفضل الذكي وفي البراعه
اوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي ورس جماعه

قال الراوي فلما انتهى الى حصن مثلي قال

يا من له النكت التي يشجي الخصوم بها ونكت
انت المبرز فقل لنا ما مثل قولي خالي سكت

ثم قال تداً بهلتكم وامهلتكم وان شئتم ان اعلّلكم
عللتكم قال فالجأنا بالحب الغلاب الى استسقاء
العلل فقال لست كمن يستأثر على ندمه ولا
يمن سمنته في ادمه ثم كرّ على الاول وقال

يا من اذا اشكل المعمى جلته افكاره الدقيقه
ان قال يوماً لك المحاجي خذ تلك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده الى الثاني وقال

يا من بيانه عن فضله مبينا ما ذا مثال قولهم جابر وحشي زينا

ثم اومى الى الثالث بلحظه وقال

يا من غدا في فضله وذكائه كالاصمعي ما مثل قولك للذي حاجاك انقع

ثم حملق الى الرابع وقال

يا من اذا ما عويص جا لنا بان ظلامه
ما ذا مثال قولي استنشق ريح مدامه

ثم اومض الى الخامس وقال

يا من نتيجة فهمه عن ان يروّى او يشكا ما مثل قولك للذي اضحى يحاجي غط هلكا

ثم اقبل على السادس وقال

يا اخا الفطنة التي بان فيها كمالها
سار بالليل مدة اي شيء مثالها

ثم نحا نحو السابع وقال

يا من تحلى بفهم اقام في الناس سوقه
لك البيان فبين ما مثل لغب فروقه

ثم قصد قصد الثامن وقال

يا من سما ذروة في الفضل فاقت كل ذروه
ما مثل قولك غط ابريقا يلوح بغير عروه

ثم ابتسم الى التاسع وانشد

يا من حوى حسن الدرايه والبيان بغير شك ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكا

ثم قبض لحيته على يدي وقال

بيت

يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات ونور كوكبه كاذا اشكال صيغة جحفلة بينه تبيانا

قال الراوي فلما اطربنا بما اسمعناه وطالبناه بكشف معناه

قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد

يدان فان ابنت مننت وان كتمت غممت فظل يشاور

نفسيه ويقلب قدحيه حتى حان بذل الماعون عليه

فاقبل حينئذ على الجماعة وقال ساء علمكم ما لم تكونوا

تعلمون ولا ظننتم انكم تعلمون فاوكوا عليه الاوعية

وروضوا به الابدية ثم اخذ في تفسير ما ضلت به الاذهان

واستفرغ معه الاردان حتى اضحت افهام انور من

الشمس والاكمام كان لم تغن بالامس ولما هم بالمفر

سئل عن المقر فتنفس كما يتنفس الثكول ثم انشا يقول

لكل شعب لي شعبة وبه ربعي رحب

غير اني بسروج مستهام القلب صب

بها ربعي الاكبر والجو الذي منه المهب

والى روضتها الغناء دون الروض اصبو

ما حلا لي بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

قال الحارث بن همام فقلت لاصيحابي هذا ابو زيد السروجي

الذي ادرج ملحة الاحاجي واتخذ اصف لهم حسن

توشيته وانقياد الكلام لمشيئته ثم التفت فاذا

به قد ظعن ونأى بما قمن فعجبنا مما صنع ولم ندر اين

سلك وصقع

تفسير الاحاجي المودعة فيها

اما جور امد بمداد فمثله طوامير واما ظهر اصابته

عين فمثله مطاعين واما صاد في جائرة فمثله الفاصلة

واما تناول الفرد بنا فمثله هادية واما اهمر حلية فمثله

الغاشية واما الكف الكف فمثله مهجة واما الشقيق فلك

فمثله القحطان وأما ما اختار فضة فمثله ابارقة
لأن الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي عليه السلام
فقال في الرقة ربع العشر وأما دس جماعة فمثله
طائفة وأما خالي اسكت فمثله خالصه لأنك إذا
ناديت مضافا إلى نفسك جاز لك حذف الياء وإثباتها
ساكنة أو متحركة وقد حذف ههنا حرف النداء كما
حذفه في أصل الأحجية وصه بمعنى اسكت وأما غد
تلك فمثله هاتيك وأما حمار وحش زينا فمثله فرازين
لأن الفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد في
جوف الفرا وأما قوله اتق تمح فمثله منتهم لأن
الأمر من طاب يطوب من ومضارع وقمت تم وأما استنشق
ريح مدامة فمثله رحراح لأن الأمر من الرائحة رح وراح
الراحة نبخ وأما غط هلكى فمثله صنبور لأن الورم

الحلكي وفي القرآن وكنتم قوما بورا وأما سار بالليل
مدة فمثله سراحين وأما اجنب فروقة فمثله مقلاع
لأن الأمر من وقى يقي ق والقلاع الجبان يقال فلان رماع
لاع إذا كان جبانا ناجزوعا وأما اعط ابريقا يلوح
بغير عروة فمثله اسكوب لأن الأوس العطاء والأمر منه
أس والكوب الإبريق بغير عروة وأما الثور طلي فمثله
اللآلي لأن اللأى على وزن لعا ثور الوحش وأما
صفير جحفلة فمثله مكاشفة لأن المكاء الصفير قال
الله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية
وأصل المكاء المد ولكنه قصر في هذه الأحجية
كما حذف همزة الفراء في أحجيته وكلا الأمرين من قصر
الممدود وحذف همزة المهموز جائز والله أعلم بالصواب

المقامة السابعة والثلاثون الصعدية

حكى الحارث بن همام قال أصعدت إلى صعدة، وأنا ذو
شطاط يحكي الصعدة، واشتداد يزدري بنات صعدة،
فلما رأيت نضرتها، ورعيت خضرتها، سألت تجار الرواة
عمن تجوب به من السراة، ومعادن الخيرات لا تجده بجدوة
في الظلمات، وتجده في الظلامات، فنعت لي قاضيها
رحيب الباع، خصيب الرباع، تميمي النسب والطباع
فلم أزل أتقرب إليه بالإلمام، وأتنفق عليه بالإجمام
حتى صرت صدى صوته، وسلمان بيته، وكنت مع استبار
شهده، واستشفاف زنده، أشهد مشاجر الخصوم
واستفسر بين المعصوم منهم والموصوم، فبينما القاضي
جالس للإسجال، في يوم الحفل والاحتفال، إذ دخل
شيخ بالي الرياش، بادي الارتعاش، فتبصر الحفل
تبصر نقاد، ثم زعم أن له خصما غير منقاد، فلم يلبث

إلا كصفو شرارة، أو كحلي شارة، حتى أحضر غلاما
كأنه ضرغام، فقال الشيخ أيد الله القاضي وعصمه
من التغاضي، إن ابني هذا كالقلم الردي، والسيف
الصدي، يجهل أوصاف الإنصاف، ويرضع أخلاف
الخلاف، إن أقدمت أحجم، وإن أعربت أعجم، وإن
أذكيت أخمد، ومتى شويت رمد، مع أني كفلته
مذ درج، إلى أن شب، وكنت له ألطف من رب وأب
فأكبر القاضي ما شكاه إليه، وأطرق يعوه من جوانبه، ثم
قال أشهد أن العقوق أحد الثكلين، ولرب عقوق أقر
للعين، فقال الغلام، وقد أمضه هذا الكلام، والذي
نصب القضاة للعدل، وملكهم أعنة الفصل والفضل
إنه ما دحا قط الأمنية، ولا أخرجني إلا أمنية، ولا
نحله إلا واحرمت، ولا أوري إلا واضرمت، بيد أنه

فمن يبغي بيض الأنوق، ويطلب الطيران من النوق
فقال له القاضي: وبم أعنتك، وأمتّ طاعتك، فإنّه
منصف من المال، ومني بالإمحال، ببسيط منحان التلمظ
بالسؤال، واستمطر سحب النوال، ليفيض شربه الذي
غاض، ويتخلّص من حاله ما أنهاض، وقد كان حتّى
أخذني بالدرس، وعلّمني أدب النفس، أشرب
قلبي على أنّ الحرص متعبة، والطمع معتبة، والشره
متخمة، والمسألة ملامة، ثم أنشدني من فلق فيه
ونخبة قوافيه لمقول

ارضَ بأدنى العيش واشكر عليه ... شكرَ من القلُّ كثيرٌ لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل ... يحطّ قدر المترقي إليه
وعامِ عن عرضك واستبقه ... كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة ... صبرَ أولي العزم وأغضِ عليه

ولا ترق ماء المحيّا ولو ... خوّلك المسؤول ما في يديه
فالحرّ من إن قرنت عينه ... أخفى قرى جفنيه عن ناظريه
ومن إذا أخلق ديباجه ... لم ير أن يخلق ديباجتيه

قال: فعبس الشيخ واقمطرّ، وازورّ على ابنه وهرّ
وقال له: تبّاً يا عقق، يا من هو الشجى والشرق، ويلك
أتعلم أمك البضاع، وظئرك الإرضاع، لقد تحككت
العقرب بالأفعى، واستنّت الفصال حتى القرعى، ثم
كأنّه ندم على ما فرط من فيه، ووجدته المقة على تلافيه
فرنا إليه بعين عاطف، وخفض له جناح متلاطف
وقال: ويك يا بنيّ إنّ من أمر بالقناعة، وزجر عن
الضراعة، هم أرباب البضاعة، وأولو المكسبة بالصناعة
فأما ذوو الضرورات، فقد استثني لهم في المحظورات
وهبك جهلت هذا التأويل، ولم يبلغك ما قيل، ألسنة

الذي عارض اباه اذ قال وما جاراه

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينيك هل ارض معطلة من النبات كارض حفها الشجر

فعد عما تشير الاغبياء به فاي فضل لعود ماله ثمر

وارحل ركابك عن ارض ظمئت بها الى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الري من در السحاب فان بلت يداك به فليهنك الظفر

وان رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

قال فلما راى القاضي تنافي قول الفتى وفعله وتحليه بما ليس من حليته نظر اليه بعين غضبى وقال اميما من قيس واخرى اف لمن ينقض ما يقول ويتلون كما يتلون الغول فقال الغلام والذي جعلك مفتاحا للحق وفتاحا بين الخلق لقد نبست بما نبست وصدري ذو هنى من صبت على انه اين الباب الفتح والعطاء السرح وهل بقي من تتبرع باللهى واذا استطعم يقول ها فقال له القاضي منه قدح الخواطر سهم صائب وما كل برق خالب

يمين البروق اذا شيمت ولا تشهد الا بما علمت

فلما تبين ان القاضي قد غضب للكرام واعظم تبخيل جميع الانام علم انه سينصر كلمته ويطفئ كرومته فما كذب ان نصب شبكته وسوى في الجرع سمكته وانشا يقول

يا ايها القاضي الذي علمه وحلمه ارسخ من رضوى

قد ادعى هذا على جهله ان ليس في الدنيا اخو جدوى

وما درى انك من معشر عطاؤهم كالمن والسلوى

فجد بما ينسيه مستخزيا ما افترى من كذب الدعوى

واثني جذلان اثني بما اوليت من جدوى ومن عدوى

قال فهش القاضي لقوله واجزل له من طوله ثم لفت

وجّهه إلى الغلام، وقد نصل له أسهم الملام، وقال
له أرأيت بطلان زعمك، ومغطاء مَيْنك، فلا تعجل
بعد ها بذم، ولا تقف ما ليس لك به علم، ولا تبحث
عودًا قبل عجم، وإياك وتأبيك عن مطاوعة أبيك
فإنك إن عدت تعقه، حاق بك مني ما تستحقه، فسقط
الفتى في يده، ولاذ بحقو والده، ثم نهض يحفد، وتبعه
الشيخ ينشد،

من ضامه أو ضاره دهره، فليقصد القاضي في صعدة،
سماحه أزرى بمن قبله، وعدله أتعب من بعده،

قال الراوي، فحين بان تغرير الشيخ وتنكيره، إلى أن
أعرف مسيره، فناجيت النفس باتباعه، ولو إلى رباعه،
لعلي أطلع على أسراره، وأعرف شجرة نجاره، فبذرت الحلق،
وانطلقت حتى انطلق، ولم يزل يخطو وأعتقب، ويبعد

واقترب، إلى أن تراءى الشخصان، وحق التعارف على
الخلصان، فأبدى حينئذ الهشاش، ورفع الارتعاش،
من كاذب أخاه فلا عاش، فعرفت عند ذلك أنه السروجي
بلا محالة، ولا حؤول حالة، فاستغربت له لصاحبه، وسعى
سابحه وبارحه، فقال دونك ابن أخيك البر، وتركني ومر،
فلم يعد للقاء فترة، ثم فر كما فر، فعزب وقد
استنبت عنهما، ولم أدر أين هما، ولكن أيتهما نح،

المقامة الثامنة والثلاثون المروية

حكى الحارث بن همام، قال حُبّب إليّ مذ سعت قدمي، ونفث
قلمي، أن أتخذ الأدب شرعة، والاقتباس منه نجعة،
فكنت أنقب عن أخباره، وخزنة أسراره، فإذا ألفيت
منهم بغية الملتمس، وجذوة المقتبس، شددت يدي
بغرزه، واستنزلت منه زكاة كنزه، على أني لم ألق كالسروجي

دكا بجوبر

في غرارة النجب ووضع الهناء مواضع النقب الا انه
كان اسير من المثل واسرع من القمر في النقل ولست اهوى
ملاقاته واستحسان مقاماته ارغب في الاغتراب واستمد
السفر الذي هو قطعة من العذاب فلما توخيت الى مرو
ولا غرو بشرني بملقاه زجر الطير والفال الذي هو
بريد الخير فلم ازل اسئله في المحافل وعند تلقي القوافل
فلا اجد عنه مخبرا ولا ارى له اثرا ولا عثيرا حتى غلب
الياس الطمع وانزوى التامل والتمع فاني لدى يوم
بحضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل والسرو اذ طلع
ابو زيد في خلق مملاق وخلق ملاق فحيا الوالي تحية
المحتاج الى الغني رب التاج ثم قال له اعلم وقيت
الذم وكفيت الهم ان من عرفت به الاعمال اعلقت به
الامال ومن رفعت له الدرجات رفعت اليه الحاجات

وان السعيد لمن اذا قدر وواتاه القدر ادى زكوة النعم
كما يؤدي زكوة النعم والتزم لاهل الحرم كما يلتزم لاهل
الحرم وقد اصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك
ترتجى الركائب الى حرمك وترتجى الرغائب من كرمك وتنزل
المطالب بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل
الله عليك عظيما ثم اني شيخ ترب بعد الاتراب وعدم
الاعشاب حين شاب قصدتك من محلة نازحة وحالة
رازحة امل من بحرك دفعة ومن جاهك رفعة والتامل
افضل وسائل السائل ونائل النائل فاوجب لي عليك
واحسن كما احسن الله اليك واياك ان تلوي عذارك
عمن زارك وام دارك او تقبض راحتك عمن امتاحك
وامتار سماحك فو الله ما مجد من جمد ولا رشد
من حشد بل اللبيب من اذا وجد جاد وان بدا بعايدة عاد

قوله ابيت اللعن اي ابيت ان تفعل ما تستوجب به اللعن وكان هذا في الجاهلية تحية الملوك وقد نشأ ما من قال ... والكلام ما قال الذي تدلنا لا التحية

عابٍ والكريم من اذا استوهب الذهب لم يهب ان يهب ثم امسك يرقب اكل غرسه ويرصد مطية نفسه واحب الوالي ان يعلم هل نطفته ثمد ام لقريحته مدد فاطرق يروي في استنباط زنده واستشفاف فرنده والتبس على ابي زيد سر صمته وارجاء صلته فنوى عن غضبا وانشد مقتضبا

لا تحقرن ابيت اللعن ذا ادب ... لان بدا خلق الطمرين سبروتا

ولا تضع لاخي التأميل حرمته ... أكان ذا لسن ام كان سكيتا

وانح بعرفك من وافاك مختبطا ... وانعش بعرفك من الفيته منكوتا

فخير مال الفتى مال اشاد له ... ذكرا تناقله الركبان او صيتا

وما على المشتري حمدا بموهبة ... غبن ولو كان ما اعطاه ياقوتا

لولا المروءة ضاق العذر عن فطن ... اذا اشرأب الى ما جاوز القوتا

لكنه لابتناء المجد جد ومن ... حب السماح ثنى نحو العلى ليتا

وما تنشق نشر الشكر ذو كرم ... الا وازرى بنشر المسك مفتوتا

والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما ... حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا

والسمح في الناس محبوب خلائقه ... والجامد الكف ما ينفك ممقوتا

وللشحيح على امواله علل ... يوسعنها ابدا ذما وتبكيتا

فجد بما جمعت كفاك من نشب ... حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا

وخذ نصيبك منه قبل رائعة ... من الزمان تريك العود منحوتا

فالدهر انكد من ان تستمر به ... حال تكرهت تلك الحال ام شيتا

فقال له الوالي تالله لقد احسنت فاي ولد الرجل انت فنظر اليه عن عرض ثم انشد وهو معرض

لا تسأل المرء من ابوه ورز ... خلاله ثم صله او فاصرم

فما يشين السلاف حين حلا ... مذاقها كونها ابنة الحصرم

قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن حتى احله مقعد الخاتن ثم فرض له من سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله فنهض عنه بردن ملآن وقلب جذلان

فأتبعته حاديا حذوه، وقافيا خطوه، حتى إذا خرج من بابه، وفصل عن غابه، قلت له هنيت بما أوتيت، ومليت بما أوليت، فأسفر وجهه وتلألأ، ووالى شكر الله تعالى وتلا، ثم خطا اختيالا، وأنشد ارتجالا

من يكن نال بالحماقة حظا ... أو سما قدره لطيب الأصول

ففضيلي انتفعت لا بفضولي ... وبقولي ارتفعت لا بقبولي

ثم قال تعسا لمن جذب الأدب، وطوبى لمن جد فيه ودأب، ثم ودعني وذهب، وأودعني اللهب،

المقامة التاسعة والثلاثون العمانية

أخبر الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر إزاري، وبقل عذاري، بأن أجوب البراري، على ظهور المهاري، لأجول طورا، وأسلك تارة غورا، حتى قتلت المعالم والمجاهل، وبلوت المنازل والمناهل، وأدميت السنابك والمناسم،

وأنضيت السوابق والرواسم، فلما مللت الإصحار، وقد شجن بي أرب بصحار، ملت إلى اختبار التيار، واختيار الفلك السيار، فنقلت إليه أساودي، واستصحبت زادي ومزاودي، ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر، عاذل لنفسه وعاذر، ولما شرعنا في القلعة، ورفعنا الشراع للسرعة، سمعنا من شاطئ المرسى، حين جنا الليل وأغسى، هاتفا يقول يا أهل ذي الفلك القويم، المزجى في البحر العظيم، بتقدير العزيز العليم، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، فقلنا له أقبسنا نارك أيها الدليل، وارشدنا كما يرشد الخليل الخليل، فقال أتستصحبون ابن سبيل، زاده في زبيل، وظله غير ثقيل، وما يبتغي سوى مقيل، فأجمعنا على الجنوح إليه، وأن لا نبخل بالماعون عليه، فلما استوى على الفلك، قال أعوذ بمالك الملك، من مسالك الهلك، ثم قال إنا روينا

في الأخبار المنقولة عن الأحبار، أن الله تعالى ما أخذ
على الجهال أن يتعلموا، حتى أخذ على العلماء أن يعلموا، وإن
معي لعوذة، عن الأنبياء مأخوذة، وعندي لكم نصيحة
براهينها صحيحة، وما وسعني الكتمان، ولا من خيمي الحرمان

فانصتوا لمقالتي ٤

فتدبروا القول وتفهموه، واعملوا بما تعلمون وعلموه، ثم
صاح صيحة المباهي، وقال أتدرون ما هي، هي والله
حرز السَّفْر عند مسيرهم في البحر، والجُنّة من الغم
إذا جاش موج اليم، وبها اعتصم نوح يوم الطوفان

استعصم ٥

ونجا ومن معه من الحيوان، على ما صدعت به آي
القرآن، ثم قرأ بعد أساطير تلاها، وزخارف جلاها
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها، ثم
تنفس تنفس المغرمين، أو عباد الله المكرمين
وقال أما أنا فقد قمت فيكم مقام المبلغين، ونصحت

لكم نصح المبالغين، وسلكت بكم محجة الراشدين، فاشهد
اللهم وأنت خير الشاهدين، قال الحارث بن همام، فأعجبنا
بيانه البادي الطلاوة، وعجّت له أصواتنا بالتلاوة
وأنس قلبي من جرسه، بمعرفة عين شمسه، فقلت له
بالذي سخر البحر اللجي، ألست السروجي، فقال بلى وعزة من عز وعلا
وهل يخفى ابن جلا، فأحمدت حينئذ السفر، وسفرت
له عن نفسي إذ سفر، ولم نزل نسير والبحر رهو والجو
صحو، والزمان لهو، والعيش صفو، وأنا أجذل للقيانه
وجذل المثري بعقيانه، وأفرح بمناغاته، فرح الغريب
بمنجاته، إلى أن عصفت الجنوب، وعسفت الجنوب
ونسي السفر ما كان، وجاءهم الموج من كل مكان، فملنا
لهذا الحادث الثائر، إلى إحدى الجزائر، لنريح ونستريح
ريثما تولى الريح، وتمادى اعتياص المسير، حتى نفد

الزاد غير اليسير، فقال أبو زيد إنه لن يخرج رجي
العود بالقعود، فهل لكم في استثارة السعود بالصعود
فقلت إني لك لأتبع من ظلك، وأطوع من نعلك، فنهدنا
إلى الجزيرة على ضعف من المريرة، لنكشف عن أمر
الميرة، وكلانا لا يملك فتيلا، ولا يهتدي فيها سبيلا
فأقبلنا نجوس خلالها، ونتفيأ ظلالها، حتى أفضينا
إلى قصر مشيد، له باب من حديد، ودونه زمرة
من عبيد، فناسمنا الخدم سلما إلى الارتقاء
وأرشية للاستقاء، فألفينا كلا منهم في مسك كئيب
وكرب أشيب، فقلنا أيتها الغلمة لم هذه الغمة، فلم
يحيروا الكلام، ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء، فلما رأينا
نارهم نار الحباحب، وخبرهم كسراب السباسب
قلنا شاهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه، فانتدب

خادم قد علته كبرة، وعرته عبرة، وقال يا قوم لا
توسعونا سبا، ولا توجعونا عتبا، فإنا لفي حزن
شامل، وشغل عن الحديث شاغل، فقال له أبو زيد نفس
خناق همك، وأنبئ إن قدرت على النفث، فإنك ستجد
مني عرافا كافيا، ووصافا شافيا، فقال اعلم أن رب
هذا القصر هو قطب هذه البقعة، وشاه هذه الرقعة
إلا أنه لم يخل من كرب، لخلوه من ولد، ولم يزل يستثمر
المغارس، ويتخير من المغارس النفائس، إلى أن
بشر بحمل هذه عقيلة، وآذنت رقلته بفسيلة، فنذرت
له النذور، وأحصيت الأيام والشهور، ولما حان
النتاج، وصيغ له الطوق والتاج، عسر مخاض الوضع
حتى خيف على الأصل والفرع، فما فينا من يعرف
قرارا، ولا يطعم النوم إلا غرارا، ثم أجهش بالبكاء

واعول وردد الاسترجاع وطول فقال له ابو زيد اسكن
ياهذا واستبشر وابشر بالفرج وبشر فعندي
عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في الخلق فبادر
العلمة الى مولاهم متباشرين بانكشاف لاوائهم
فلم يلبث الا كلا ولا حتى برز من سلم بنا اليه
فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال الحي رب
ليخضل مالك ان صدق مقالك ولم يفل فالك
فاستحضر قلما مبريا وزبد البحر نديا وزعفرانا قد
اديف في ماء ورد نظيف فما ان رجع النفس حتى
احضر ما التمس فسجد ابو زيد وعفر وسبح واستغفر
ثم اخذ القلم واسحنفر وكتب على الزبد بالمزعفر
ايهذا الجنين اني نصح لك والنصح من شرائط الدين
انت مستعصم بكن كنين وقرار من السكون مكين

مبشرين بكشف لوائهم

من شروط الدين

ما ترى فيه ما يروع من الف مزاح ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولت الى منزل الاذى والهون
وترآى لك الشقاء الذي تلقاه فتبكي له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر ان تبيع المحقق بالمظنون
واحترز من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبه بظنين
ثم انه طمس المكتوب على غفلة وتفل عليه مائة تفلة
وشد الزبد في خرقة حرير بعد ما ضمخها بعبير وامر
بتعليقها على فخذ الماخض وان لا تعلقها يد حائض
فلم يكن الا كفواق حالب او كدواق شارب حتى اندلق
شخص الولد الخصيبي الزند بقدرة الواحد الصمد فامتلأ
القصر حبورا واستطير عميده سرورا واحاطت
الجماعة بابي زيد تثني عليه وتقبل يديه وتتبرك بمساس

عيش رغيد طيب واسع

طرّبه حتى خيّل إليّ أنه القرنيّ أويس، أو الأسديّ
دبيس. ثم انثال عليه من جوائز المجازاة، وصلات
الصِّلات، ما قيّض له الغنى، وبيّض وجه المنى.
ولم يزل ينتابه الدَّخل من نتج السِّخال، إلى أن
أُعطي البحرُ الأمان، وتسنّى الإيتام إلى عُمان،
فما اكتفى أبو زيد بالنِّحلة، وتأهّب للرِّحلة، فشحّ
الوالي بحركته، بعد خبرته ببركته، بل أوعز بضمّه
إلى خزانته، وأن تُطلق يده في خزانته. قال الراوي
بن همّام: فلمّا رأيته قد مال، إلى حيث يُكسب المال،
أخذت عليه بالتعنيف، ومحّضته مفارقة المألف
والأليف، فقال: إليك عنّي، واسمع منّي:
لا تصبونّ إلى وطنٍ فيه تُضام وتُمتهن
وارحل عن الدار التي تُعلي الوهاد على القُنن
واهرب إلى كِنٍّ يقي ولوَ انّه حِضنا حضن
وضعِ التذكّر للمعاهد والحنين إلى السَّكن
واعلم بأنّ الحرّ في أوطانه يلقى الغَبن
كالدرّ في الأصداف يُستزرى ويُبخس في الثمن
وارأب بنفسك أن تقيم بحيث يغشاك الدَّرن
وجُب البلاد فأيّها أرضاك فاختره وطن
ثم قال: حسبك ما استمعت، وحبّذا أنت لو اتّبعت.
فأوضحت له معاذيري، وقلت: كن عذيري، فعذر
واعتذر، وزوّد حتى لم يذر. ثم شيّعني
تشييع الأقارب، إلى أن ركبت في القارب،
فودّعته وأنا أشكو الفراق، وأذمّه،
وأودّ لو كان هلك الجنين وأمّه.

المقامة الأربعون التبريزية

أخبر الحارث بن همام قال أزمعت التبرّز من
تبريز حين نبت بالذليل والعزيز وخلت
من المجير والمجيز فبينا أنا في إعداد الأهبة
وارتياد الصحبة لقيت أبا زيد السروجي ملتفّا
بكساء ومحتفّا بنساء فسألته عن خطبه وإلى
أين يسري مع سربه فأومى إلى امرأة منتصبة
باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت
هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني قشف
العزبة فلقيت منها عرق القربة ثم طلبت
بحقي وتكلفني فوق طوقي فأنا منها نضو
وجى وعلق شجو وشجى وها نحن قد تساعينا
إلى الحاكم ليضرب على يد الظالم فإن انتظم
بيننا الوفاق وإلا فالطلاق ولات انطلاق

قال فملت إلى أن أخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب
فجعلت شغلي دبر أذني وصحبتهما وإن كنت لا
أغني فلما حضرا القاضي وكان ممن يرى فضل
الإمساك ويضن بنفاثة السواك جثا أبو زيد بين يديه
وقال أيد الله القاضي وأحسن إليه إن مطيتي
هذه أبية القياد كثيرة الشراد مع أني أطوع
لها من بنانها وأحنى عليها من جنانها فقال لها
القاضي ويحك أما علمت أن النشوز يغضب الرب ويوجب
الضرب فقالت إنه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار
بالجار فقال له القاضي تبا لك أتبذر في السباخ
وتستفرخ حيث لا إفراخ اغرب عني لا نعم عوفك
ولا أمن خوفك فقال أبو زيد إنها ومرسل الرياح
لأكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة

وجعجع النعامة، أكذب من أبي ثمامة، حين مخرق باليمامة،
فنزّ أبو زيد نزيز الشواظ، واستشاط استشاطة
المغتاظ، وقال لها: ويلك يا دفار يا فجار، يا غصّة البعل
والجار، أتعمدين في الخلوة لتعذيبي، وتبدين في الحفلة
المحفلة تكذيبي، وقد علمت أني حين بنيت عليك، ورنوت
إليك، ألفيتك أقبح من قردة، وأيبس من قدّة، وأخشن
من ليفة، وأنتن من جيفة، وأثقل من هيضة، وأقذر
من حيضة، وأبرد من قشرة، وأبرد من قرّة، وأحمق
من رجلة، وأوسع من دجلة، فسترت عوارك، ولم
أبد عارك، لو حباك شيرين بجمالها، وزبيدة بمالها، وبلقيس
بعرشها، وبوران بفرشها، والزبّاء بملكها، ورابعة
بنسكها، وخندف بفخرها، والخنساء بشعرها في صخرها،
لأنفت أن تكوني قعيدة رحلي، وطروقة فحلي، قال

فتذمّرت المرأة وتنمّرت، وحسرت عن ذراعيها ساعدها
وشمّرت، وقالت له: يا ألأم من مادر، وأشأم من
قاشر، وأجبن من صافر، وأطيش من طامر، أترميني
بشنارك، وتفري عرضي بشفارك، وأنت تعلم أنك
أحقر من قلامة، وأعيب من بغلة أبي دلامة،
وأفضح من حبقة في حلقة، وأحير من بقّة في حقّة، وهبك
الحسن في لفظه ووعظه، والشعبي في علمه وحفظه،
والخليل في عروضه ونحوه، وجرير في غزله ومجونه،
وقسّاً في فصاحته وخطابته، وعبد الحميد في بلاغته
وكتابته، وأبا عمرو في قراءته وإعرابه، وابن قريب
في روايته عن أعرابه، أتظنني أرضاك إماماً للمحراب،
وحساماً للقراب، لا والله ولا بوّاباً للباب، ولا عصا
للجراب، فقال لهما القاضي: أراكما شنّاً وطبقة،

وجباه وبندقه فأبرز ايها الرجل الالدّ واسلك في
سبيل الجدّ والا فأنت فلقى عن سبايه وقرى اذا
اتى البيت من بابه فقالت المراة والله ما اسجر عنه
لساني الا اذا كساني ولا ارفع له شراعي دون
اشباعي فحلف ابو زيد بالمحرجات الثلاث انه لا يملك
سوى اطماره الرثاث فنظر القاضي في قصصهما
نظر الالمعي وافكر فكرة اللوذعي ثم اقبل عليهما
بوجه قد قطّبه ومجنّ قد قلّبه وقال الم يكفكما التساب
في مجلس الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى ترقيتما
من فحش المقاذعة الى خبث المخادعة وايم الله
لقد اخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة
فان امير المومنين اعز الله ببقائه الدين نصبني
لاقضي بين الخصماء لا لاقضي دين الغرماء وحق نعمة

التي احلّتني هذا المحلّ وملّكتني العقد والحلّ لئن لم توضحا لي
جلية خطبكما وخبيّة خبّكما لاندّدنّ بكما في الامصار
ولاجعلنّكما عبرة لاولي الابصار فاطرق ابو زيد اطراق
الشجاع وقال له سماع سماع

أنا السروجي وهذي عرسي ... وليس كفو البدر غير الشمس
وما تنافى انسها وانسي ... ولا تناءى ديرها عن قدسي
ولا عدت سقياي عن غرسي ... لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسّي
حتى كأنا لخفوت النفس ... اشباح موتى نشروا من رمس
فحين عزّ الصبر والتأسّي ... وشفّنا الضرّ الاليم المسّ
قمنا لسعد الجدّ او للنحس ... هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلحي الحرّ حين يرسي ... الى التحلّي بلباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي ... فانظر الى يومي وسل عن امسي

وامرّ بحثي إن تشأ أو حبسي ففي يديك صحتي ونكسي
فقال له القاضي ليثبت أنبك وأنطب نفسك فقد حق لك
أن تحف خطيئتك وتوفر عطيتك فثابت الزوجة عند
ذلك واستطالت وأشارت إلى الحاضرين وقالت
يا أهل تبريز لكم حاكم أوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى أنه يوم اللقا قسمته ضيزى
قصدته والشيخ يبغي جنى عود له مازال مهزوزا
فسرّح الشيخ وقد نال من جدواه تخصيصا وتمييزا
وردّني أخيب من شائم برقا خفيا في شتا نوروزا
كأنه لم يدر أني التي لقنت الشيخ الأراجيزا
وأنني إن شئت غادرته أضحوكة في أهل تبريزا
فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما وانصلات لسانيهما علم
أنه قد مني منهما بالداء العياء والداهية الدهياء والله

١٧٥

متى منح أحد الزوجين وصرف الآخر صفر اليدين كان
لمن قضى الدين بالدين أو صلي المغرم كالغريمين فطلسم
وقطب سهم واخرنطم وبرطم ومهمهم وعمعم ثم
التفت يمنة وشأمة وتململ كآبة وندامة وأخذ يذم
القضاء ومتاعبه ويعدد شوائبه ونوائبه ويفند
طالبه وخاطبه ثم تنفس كما يتنفس الحريب وأنحى
حتى كاد يفضحه النحيب وقال إن هذا لشيء عجيب أأرشق
في موقف بسهمين وألزم في قضية بغرمين أأطيق
أن أرضي الخصمين ومن أين ومن أين ثم عطف إلى
حاجبه المتنفل بمآربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل
وإمضاء هذا يوم الاغتمام هذا يوم الاغترام هذا يوم
البحران هذا يوم الخسران هذا يوم عصيب هذا يوم
نصاب فيه ولا نصيب فأرضي عني هذين المهذارين

وأقطع لسانيهما بدينارين، ثم فرق الأصحاب، وأغلق الباب،
وأشيع أنه يوم مذموم، وأن القاضي فيه مهموم،
لئلا يحضره خصوم، قال: فأمر الحاجب على دعائه،
وتباكى لبكائه، ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين، وقال
أشهد أنكما لأحيل الثقلين، لكن احترما مجالس الحكام،
واجتنبا فيها فحش الكلام، فما كل قاض قاضي تبريز،
ولا كل وقت تسمع الأراجيز، فقالا له: مثلك من حجب،
وشكرك قد وجب، ونهضا وقد حظيا بدينارين،
وأصليا قلب القاضي نار رين،

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة
من الأمر الذي يزاوله كما أن حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق وقوله
جعلته دبر أذني أي اطرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء
اطرحته

لا يأمرنهما باحترام مجالس الحكام على صفة التحويل باحترام مجلس الحاكم فرد كان المجلس أو غير فرد وهذا الكلام يشبه مسألة الجامع رجل حلف لا يتزوج النساء فتزوج امرأة واحدة حنث في يمينه

ظهورهم وقوله أكذب من سجاح يعني التي تنبأت في عهد
مسيلمة الكذاب وسارت إليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به
ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام
لكونه من الأسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة
ومنه قولهم ملكت فأسجح وقولها أكذب من أخي ثمالة هو كنية
مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان تنبأ باليمامة وتحرك لها إلى أن سار
إليه خالد بن الوليد وقتله وقوله لا نعم عوفك العوف الحال
والعوف أيضا الذكر ويدعى للباني على أهله فيقال له نعم عوفك
وقوله يا دفار يا فجار هذان اسمان معدولان عن دافرة وفاجرة
والدفر النتن وبه سميت الدنيا أم دفر وكل ما سمي بصفة غالبة
ثم عدل بها إلى فعال بني على الكسر عند النداء كقولهم يا لكاع
ويا خباث ويا فجار ويا دفار ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء
إلا في ضرورة الشعر كقول الحطيئة: أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع

وأما قوله أحمق من رجلة فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيقتلعها
أو يقطعها وأما قولها ألأم من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر
كان اتخذ حوضا ليسقي إبله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه
لئلا ينتفع به أحد من بعده وأما قولها أشأم من قاشر فإنه فحل كان
في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما طرق إبلا إلا ماتت وقيل المراد
به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه الأرض من النبات وأما
قولها أجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به
كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقبله من جوارح
الجو ومصايد الأرض وقيل إنه طائر يعلق نفسه إذا جنه الليل
ببعض من الأغصان ولم يزل يصفر طول الليلة خوفا من أن ينام فيؤخذ
وقيل إنه الذي يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة أن
يظهر على أمره وقيل إن المراد به في المثل المصفور به وهو اللص يندر
بالصفير فيهرب فعلى هذا القول فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق

أي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء
مفعول بمعنى فاعل كقوله سبحانه وتعالى حجابا مستورا أي ساترا وأما قولها أطيش
من طامر فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه وأما قول
القاضي أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة فإنه أراد به أن كلا منكما
كفو لصاحبه ومقاوم لصاحبه وكل من المثلين تفسيره مختلف فيه
أما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقه
فقال الكلبي إنهما قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن دعمي بن جديلة
بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد وكانت طبقة لا
تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن رجلا
من دهاة العرب وكان ألزم نفسه أن لا يتزوج إلا بامرأة تلائمه فكان
يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض أسفاره فلما
أخذ منهما السير قال له شن أتحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل
هل يحمل الراكب الراكب فأمسك عنه وسارا حتى أتيا على زرع فقال

قدم
الرجل

له شيئا أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له يا جاهل أما تراه في
سنبله فأمسك حتى إن استقبلتهما جنازة فقال له شيخ أترى
صاحبها حيا أم ميتا فقال له ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا
إلى القبر حيا ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل فصار به إلى منزله
وكانت له بنت تسمى طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت
له ما نطق إلا بالصواب ولا استفهمك إلا عما يستفهم عن مثله
أما قوله أتحملني أم أحملك فإنه أراد أتحدثني أم أحدثك
حتى نقطع الطريق بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع أكل فإنه
أراد هل استسلف ربه ثمنه وأما استفهامه عن حياة صاحب
الجنازة فإنه أراد به أم لا فلما خرج الرجل إليه حدثه بتأويل
ابنته كلامه فخطبها إليه فزوجه إياها فلما سار بها إلى قومه و
ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت مثلا وحكي
عن الأصمعي أنه سئل عن تفسير هذا المثل فقال أظن الشن وعاء

يخد صح

القبور له

صوابا

ادم صح

من أدم كان قد استشن فلما اتخذ له غطاء وافقه فضرب فيه هذا المثل
وأما حذاة وبندقة فإنه يقال في المثل المضروب لمن يفزع بعدوه
ادبلي بشظيين من حذاة وراك بندقة وكان في الأصل حذاة بائنا
الكهاء فرخمه في النداء وقد اختلف في المراد بهما فقيل هو الطائر المعروف
وبندقة الرامي وقيل هما قبيلتان من سعد العشيرة فأغارت
حذاة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم
ثم كرت بندقة على حذاة فأبحت عليهم وروى بعضهم هذا المثل حذ
أعد مهموز على مثال عصا وقفا وزعم أنه اسم القبيلة وأما
قوله أخطأت استكما الحفرة فإنه مثل يضرب لمن يخطي في مقصده
ويضع الشيء في غير موضعه وأما قوله طلسم وطرسم معنى
طلسم أي كره وجهه ومعنى طرسم أي أطرق أسه وقوله
اخرنطم وبرطم أي غضب وقطب وقيل معنى اخرنطم غضب مع
تكبر ومعنى برطم غضب مع تعبس وقوله ممهم وغمغم أي لم يبين الكلام

على بندقة

فاحتت سالما

ورجي

المقامة الحادية والاربعون التنيسية

حدث الحارث بن همام قال طحت دواعي التصابي
في علواء شبابي فلم ازل ربا للغيد وادنا للاغاريد
الى ان وافى النذير وولى العيش النضير فقرمت
الى رشاد انتباه وندمت على ما فرطت في جنب
الله ثم اخذت في كسح الهنات بالحسنات وتلافي
الهفوات قبل الفوات فملت عن معاداة الغادات
الى ملاقاة الثقات وعن مقاناة القينات الى
مداناة اهل الديانات وآليت ان لا اصحب الا من
نزع عن الغي وفاء متشرعا الى الرشد وان لقيت الحي
من هو خليع الرسن مريد الوسن رأيت داري
عن داره وفررت من عره وعاره فلما القتني الغربة
بتنيس واحلتني مسجدها الانيس رأيت به ذا حلقة

ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجأش متين ولسان
مبين مسكين ابن آدم واي مسكين ركن من
الدنيا الى غير ركين واستعصم منها بغير مكين
وذبح من حبها بغير سكين يكلف بها لغباوته
ويكلب عليها لشقاوته ويعتد فيها بمفاخرته ولا
يتزود منها لآخرته اقسم بمن مرج البحرين
ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم
لما نادم ولو افكر فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر
المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر في المآل لحسن
قبح الاعمال يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب
في اكتناز الذهب وخزن النشب لذوي النسب
ثم من البدع العجيب ان يعظك وخط المشيب
وتؤذن شمسك بالمغيب ولست ترى ان تنيب وتهذب

المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من يرتشف

يا ويح من انذره شيبه وهو على غي الصبى منكمش

يعشو الى نار الهوى بعدما اصبح من ضعف القوى يرتعش

ويمتطي اللهو ويعتده اوطأ ما يفترش المفترش

لم يهده الشيب الذي ما رأى نجومه ذو اللب الا دهش

ولا انتهى عما نهاه النهى عنه ولا بالى بعرض خدش

فذاك ان مات فسحقا له وان يعش عد كمن لم يعش

فهو كمن لم

لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش

وحبذا من عرضه طيب يروق حسنا مثل برد رقش

فقل لمن قد شاكه ذنبه هلكت يا مسكين او تنتقش

شاكته الشوكة دخلت في جسده

فاخلص التوبة تطمس بها من الخطايا السود ما قد نقش

وعاشر الناس بخلق رضي ودار من طاش ومن لم يطش

ورش جناح الحر ان حصه زمانه [illegible] كان من لم يرش

وانجد الموتور ظلما فان عجزت عن النجادة فاستجش

وانعش اذا ناداك ذو كبوة عساك في الحشر به تنتعش

وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس على من عطش

فلما فرغ من منكراته وقضى انشاد ابياته نهض صبي قد شدن واعرى البدن وقال يا ذوي الحصاة والانصات الى الوصاة قد وعيتم الانشاد وفهمتم الارشاد فمن نوى منكم ان يقبل ويصلح المستقبل فليبر عن نيته ولا يعد عن عطيته فوالذي يعلم الاسرار ويغفر الاصرار ان سري لكما تردون وان وجهي ليستحق الصون فاعينوا رزقتم العون قال فاخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب ويسني له المطلوب حتى انبط جفره واعشوشب قفره فلما ان ترع الكيس انصلت يميس

وتحمّد بتنفيس. ولم يحلُ للشيخ المقام بعد انقطاع
الكلام. فاستشرف الأيدي للدعاء. ثم تخطّى إلى الانكفاء.
قال الراوي: فأزمعتُ إلى أن أعجمه. وأجلو مترجمه.
فتبعته وهو يشتدّ في سمته. ولا يفتر عن توصمته.
فلما أمن المفاجي. وأمكن التناجي. لفت جيده إليّ.
وسلّم تسليم البشاشة عليّ. ثم قال: أراقك ذكاء
ذاك الشويدن. فقلت: أي والمؤمن المهيمن.
قال: إنه فتى السروجي. ومخرج الدرّ من اللجّي.
فقلت: أشهد أنك لشجرة ثمرته. وشواظ شرارته.
فصدّق كهانتي. واستحسن إبانتي. ثم قال: هل لك
في استدار البيت لنتنازع كأس الكميت. فقلت له:
ويحك أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم.
فافترّ افترار متضاحك. ومرّ غير مماحك. ثم بدا

له أن تراجع إليّ. وقال: احفظها عنّي وعِ:

اضرب بصرف الراح عنك الأسى ... وروّح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به ... تدفع عنك الهمّ قد رابني

ثم قال: أمّا أنا فسأنطلق إلى حيث أصطبح وأغتبق.
وإذا كنتَ لا تصحب. ولا تلائم من يطرب. فلستَ
لي برفيق. ولا طريقك لي بطريق. فخلِّ سبيلي وتنكّب.
ولا تنقّر عنّي ولا تنقّب. ثم ولّى مدبرًا ولم يعقّب.
قال الحارث بن همام: فالتهبتُ وخبلتُ عند انطلاقه.
ووددتُ لو لم ألاقه. تمّت

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارث بن همام قال: ترامت بي مرامي النوى.
ومساري الهوى. إلى أن صرت ابن كل تربة. وأخا
غربة. إلا أني لم أكن أقطع واديًا. ولا أشهد ناديًا.

الحجاجية

الا اقتباس الادب المسلّي عن الاحزان المغلي قيمة الانسان
حتى عرفت في هذه الشنشنة وتناقلتها عني الالسنة
وصارت اعلق بي من الهوى ببني عذرة والشجاعة
بآل صفرة فلما القيت الجران بنجران واصطفيت
بها الخلّان والجيران تخذت انديتها معيشي وموسمي
وفكاهتي وسمري فكنت اتعهدها صباح مساء
واظهر فيها على ما ستر وساء فبينما انا في نادٍ محشود
ومحفل مشهود اذ جثم لدينا هِمٌّ عليه هدمٌ مجتابا
جبّة ملقٍ بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل
ونجوم النوافل قد بيّن الصبح لذي عينين وناب العيان
مناب عدلين فماذا ترون فيما ترون ايها المسنون العون
أم تتأوّن اذ تدعون فقالوا والله تالله لقد غطت وود
ان تستنبط فغضت فناشدهم الله عما اصيب منهم حتى

استنبط ما بهم فقالوا اكنا نتناضل بالالغاز كما يتناضل
يوم البراز فما بال الالغاز شعبت من المفضول وانحو هذا
الفضل بنمط الفضول فلسنا لسن القوم ووجزه يا شيخ
اللوم واخذ هو يتنصّل من هفوته ويتندّم على فوهته
وهم مضنون على مؤاخذته وملبّون داعي منابذته
الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع
فعذوا عن اللذع والقذع ثم هلم الى ان نلغز
وتحكم المتبرز فسكن عند ذلك توقّدهم وانحلت
عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا
ان يكون اول لهم فأمسك ريثما يعقد شسعًا او يشد
شسعًا ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش وملّيتم العيش
وانشد ملغزا في مروحة الخيش
وجارية في سيرها مشمعلّة ولكن على اثر المسير قفولها

لها سابق من جنسها يستحثها ... على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف بالندى ... ويبدو إذا ولى المصيف نحولها

ثم قال وهاكم يا أولي الفضل ومراكز العقل وأنشد
ملغزا في جابول النمل

ومنتسب إلى أمٍّ ... تنشأ الصلة منها
يعانقها وقد كانت ... نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني ... ولا يلحى ولا ينهى

ثم قال ودونكم الخفية العلم المعتكر الظلم
وأنشد ملغزا في القلم

وما مأموم به عرف الإمام ... كما باهت بصحبته الكرام
له إذ يرتوي طيشان صاد ... وسكن حين يعروه الأوام
ويذري حين يستسقي دموعا ... يرق كما يروق له ابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل

وأنشد ملغزا في الميل

وما ناكح أختين جهرا وخفية ... وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه ... وإن طال يعلو لم تجده يميل
يزيد مهما عند المشيب تعهدا ... ويزداد دهرا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا أولي الألباب معيار الآداب وأنشد
ملغزا في الدولاب

وجاف وهو موصول ... وصول للبر بالجافي
غريق بارز فاعجب ... له من راسب طافي
يسح دموع مهضوم ... ويهضم هضم متلاف
وتخشى منه جبارية ... ولكن قلبه صافي

قال فلما رشق بالخمس التي نسق قال يا قوم لا تبرحوا
هذه الخمس واعقدوا عليها الخمس ثم رائكم وضم
الذيل أو الازدياد من الكيل فاستفز القوم سهوه

الزيادة على ما أشربوا من البلادة فقالوا له إن
وفقنا دون جدك لنمنح من استنه زندك
فإن اتممت عشرا عن عندك فاحترز اهتزاز
من فلج سهمه واخبر تشحذه ثم افتتح النطق
بالبسملة وانشد ملغزا في المروحة

ومستورة معمومة طول دهرها
وما هي تدري ما السرور ولا الغم
تقرب أحيانا لأجل جنيبها
وكم ولد لولده طلقت ام
وتبعد أحيانا وما حال عهدها
وإبعاد من لم يشنه عهده ظلم
إذا قصر الليل استلذ وصالها
وإن طال فالإعراض عن وصلها نعم

لها ملبس باد أنيق مبطن
بما يزدري لكن لما يزدري الحلم

ثم كشر عن أنيابه الصفر وانشد ملغزا في الظفر

ومنهوم الشبا نام
وما يحيى ولا يشرب
يدب في العشر دون النحر
فاسمع وصفه واعجب

ثم تخازر تخازر العفريت وانشد ملغزا في طاقة الكبريت

ومحضورة تدنى وتقصى
وما منها إذا افكرت بله
لها رأسان مشتبهان جدا
وكل منهما لا حيلة فيه
تلون إن تمتع خضابا
وتلحى إذا عرا ما الخضاب ولا توب

ثم تمطط تمطط القرم وانشد ملغزا في جلب الكرم

وما شيء إذا فسد
تحول غيه رشدا
وإن هو راق وصفا
أثار الشر حيث بدا
زكي العرق والده
ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار وانشد ملغزا في الطيار

وجرحُ طيّتِهِ شقّهُ مائلٌ ، وما عابهُ بهما عاقلُ
يُرى أبدًا فوقَ عليّتهِ ، كما يعتلي الملكُ العادلُ
تساوي لديهِ الحصا والنضارُ ، وما يستوي الحقُّ والباطلُ
وأعجبُ أوصافهِ إن نظرتَ ، كما يبطلُ الكيّسُ الفاضلُ
تراضى الخصومُ بهِ حاكمًا ، وقد عرفوا أنّهُ مائلُ

قال فظلّت الأفكارُ تهيمُ في أوديةِ الأوهامِ ، وتجولُ جولانَ المستهامِ ، إلى أن طالَ الأمدُ ، وحصحصَ الكمدُ ، فلمّا رآهم يرتدّون ولا يهتدون ، ويقضون النهارَ بالمنى ، قال يا قومِ إلامَ تنظرون ، وحتّامَ تنظرون ، ألم يأنِ لكم استخراجُ الخبيءِ ، واستسلامُ الغبيِّ ، فقالوا له تاللهِ لقد أعوصتَ ، ونصبتَ الشَّرَكَ فقنصتَ ، فتحكّم كيف شئتَ ، وجُزِ الغنمَ والصيتَ ، ففرضَ عن كلِّ معمّى نصابًا ، واستخلصهُ منهم نِصابًا ، ثمّ فتحَ الأقفالَ ، ووسمَ الأغفالَ ، وحاولَ الإجفالَ ، فاعتلقَ بهِ مردةُ القومِ ، وقالوا لهُ لا نسمةَ بعدَ اليومِ ، فاستنسبْ قبلَ الانطلاقِ ، وصُنْها متعةَ الطلاقِ ، فأطرقَ حتّى قلنا مريبٌ ، وأنشدَ والدمعُ مجيبٌ

سَروجُ مطلعُ شمسي ، وربعُ لهوي وأنسي
لكن حُرِمتُ نعيمي بها ولذّةَ نفسي
واعتضتُ عنها اغترابًا أمَرَّ يومي وأمسي
ما لي مقرٌّ بأرضٍ ولا قرارٌ لعنسي
يومًا بنجدٍ ويومًا بالشامِ أضحي وأمسي
أُزجي الزمانَ بقوتٍ منغّصٍ مستخسِّ
ولا أبيتُ وعندي فلسٌ ومن لي بفلسِ
ومن يعشْ مثلَ عيشي باعَ الحياةَ ببخسِ

ثمّ إنّهُ اختصَّ خلاصةَ النصِّ ، وبرزَ ضاربًا في الأرضِ

فناشدناه ان يعود، واستنبناه الوعود، فلا وابيك
ما رجع، ولا التعنيف له نجع

المقامة الثالثة والاربعون

حكى الحارث بن همام قال هفا بي البين المطوح، والتشبيب
المبرح، الى ارض يضل بها الخريت، ويفرق فيها
المصاليت، فوجدت ما يجد الحائر الوحيد، ورايت ما
كنت منه احيد، الا اني شجعت قلبي المزؤود، ونسأت اذ زجرت
نضوي المجهود، وسرت سير الضارب بقدحين،
المستسلم للحين، ولم ازل بين وخد وذميل، واجازة
ميل بعد ميل، الى ان كادت الشمس تجب، والضياء
يحتجب، فارتعت لاظلال الظلام، واقتحام جيش حام،
ولم ادر اكفت الذيل وارتبط، ام اعتمد الليل واختبط،
وبينا انا اقلب العزم، وامخض الحزم، ترآى لي شخص

جمل، مستذر بجبل، فترجيته بغية مريح، وقصدته
قصد مشيح، فاذا الظن كهانة، والركوبة عيرانة،
والمرتجى قد ازدمل ببجاده، والنجاد بقادة، فجلست
عند راسه، حتى هب من نعاسه، فلما ازدهر سراجه،
واحس بمن فاجأه، نفر كما ينفر المريب، وقال اخو
ام الريب، فقلت لخابط ليل ضل المسلك، فاضئ لي
اقدح لك، فقال ليسفر عنك همك، فرب اخ لك لم
تلده امك، فانسرى عند ذلك اشفاقي، وسرى
الوسن الى آماقي، فقال عند الصباح يحمد القوم
السرى، فهل ترى كما ارى، فقلت اني لك لاطوع من
حذائك، واوفق من غذائك، فصدع بمجيبي، وانخ
بنجيبي، ثم احتملنا مجدين، وارتحلنا مدلجين،
ولم نزل نعاني السرى، ونعاصي الكرى، الى ان بلغ الليل

غايته، ونشر الفجر رايته، فلما اسفر الفاضح، ولم
يبق الا واضح، توسمت رفيق رحلتي، وسمير ليلتي، فاذا
هو ابو زيد مطلب الناشد، ومعلم الراشد، فتهادينا
تحية المحبين، اذا التقيا بعد البين، ثم تباثثنا
الاسرار، وتناثثنا الاخبار، وبعيري يبخط من الكلال،
وراحلته ترقد رقيف الرئال، فاعجبني اشتداد ايدها،
وامتداد صبرها، فاخذت استشف جوهرها، واسائله
من اين تخيرها، فقال ان لهذه الناقة خبرا احلو
المذاقة، انيق لسياقه، فان احببت استماعه فانخ،
وان لم تشأ فلا تنخ، فانخت لقوله نضوي، واهدفت
لما يروي، فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت،
وكابدت في تحصيلها الموت، ومازلت اجوب عليها
البلدان، واطس بها الظران، الى ان وجدتها عدة

اسفاري، وعدة فراري، لا يلحقها العناء، ولا تنو اهقها
وجناء، ولا تدري ما العصا، فاذ صدتها للنخيل والشرا،
واخللتها محل البر والسن، فاتفق ان ندت منذ مدة،
ومالي سواها قعدة، فاستشعرت الاسف، واستشرفت
التلف، ونسيت كل رزء سلف، ومكثت ثلاثا لا
استطيع انبعاثا، ولا اطعم اليوم الا حثاثا، ثم
اخذت في استقراء المسالك، وتفقد المسارح والمبارك،
وانا لا استنشي منها ريحا، ولا استغشي باسا مريحا،
وكلما اذكرت مضاءها في السير، وابراءها المباراة
الطير، لاعني الاذكار، واستهوتني الافكار، فبينما انا
في عواء بعض الاحياء، اذ سمعت من شخص منيف،
وصوت متحد، من ضلت له مطية، حضرمية وطية،
جلدها قد وسم، وعرها قد جسم، وزمامها قد ضفر،

وظهرها كان قد كسر ثم جبر، تزين الماشية، وتغني
الناشية، وتقطع المسافة النائية، وتطلق ابدا لكد المدانية
لا يعتورها الونى، ولا يعترضها الوجى، ولا تحوج
الى العصا، ولا تعصي فيمن عصى، قال ابو زيد فجذبني
الصوت الى الصايت، وبشرني بدرك الفايت، فلما
افضيت اليه وسلمت عليه، قلت له سلم المطية، وتسلم
العطية، فقال وما مطيتك غفرت خطيتك، قلت
ناقة جثتها كالهضبة، وذروتها كالقبة، وحلبها
ملء العلبة، وكنت اعطيت بها عشرين، اذ خلت
يبرين، فاستزدت الذي اعطى، ودريت الله اعطا
قال فاعرض حين سمع صفتي، وقال لست بصاحب
لقطتي، فاخذت بتلابيبه، واضربت على تكذيبه
وهممت بتمزيق جلابيبه، وهو يقول

كالهضبة

يا هذا ما مطيتي بطلبتك، فاكفف من غربك وعد
عن سبك، والا فقاضني الى حاكم هذا الحي، البري
من البغي، فان اوجبها لك فتسلم، وان زواها
عنك فلا تتكلم، فلم ار دوا قضيتي، ولا مساغ
غصتي، الا ان اتي الحكم، ولو لكم، فانحطنا الى
شيخ ذكي النصبة، ابي العصبة، يونس منه سكون
الطاير، وان ليس بالحاير، فاندرأت اتظلم وا
وصاحبي مرمم لا يترمرم، حتى اذا انتثلت كنانتي
وقضيت من القصص لبانتي، ابرز نعلا ذرنية
الوزن، محذوة لمسالك الحزن، فقال هذه التي
عرفت، واياها وصفت، فان كانت هي التي
اعطي بها عشرين، وها هو من المبصرين، فقد كذب
في دعواه، وكبر ما افتراه، اللهم الا ان يجد فداله

تألم

ويبين مصداق ما قاله، فقال الحكم اللهم غفرا وجعل
يقلب النعل بطنا وظهرا، ثم قال اما هذه النعل فنعلي
واما مطيتك ففي رحلي، فانهض لتسلم ناقتك واقبل
الخير بحسب طاقتك، فقمت وقلت
اقسم بالبيت العتيق ذي الحرم، والطائفين العاكفين في الحرم
انك نعم من ابتغي تحكيمه، وخير قاض في الاعاريب حكم
فاسلم ودم دوام النعام والنعم
فاجاب من غير روية، وعقب نية وقال
جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم، اذ لست استوجب شكرا لله ثم
شر الانام من اذا استقضى ظلم، ثم من اساء فلم يرع الحرم
فذاك والكلب سواء في القيم
ثم انه نقد بين يدي من سلم الناقة لي، ولم يمتن علي
فرحت اجر ذيل الطرب، واقول يا للعجب، قال الحارث بن همام

فحصل الادب الاعجم

فقاسمتك

فقلت تالله لقد اطرفت، ومرقت بما عرفت، فانشدتك
لله هل لقيت اسجح منك بلاغة، واحسن للوطء صياغة
فقال اللهم نعم، فاسمع وانعم، كنت عزمت حين اتهمت
على ان اتخذ ظعينة، لتكون لي معينة، فعيني بعثير
الخطب، وكاد الامر يستتب، اقلدت قلق المتحرز
من اللوم، المتأمل كيف مسقط السهم، وبت ليلتي
اناجي القلب المعذب، واقلب العزم المذبذب، الى
ان اجمعت على ان اسبح، واشاور اول من يصبح، فلما
تقوضت الظلمة اطنابها، وولت الشهب اذنابها، غدوت
غدو المتعرف، وابتكرت ابتكار المتعيف، فانبرى لي
غلام فيه وجه ساذج، فتيمنت منظره البهيج
واستفتحت رايه في التزويج، فقال او تبغيها عوانا
ام بكرا تعانا، فقلت اختر لي ما ترى، فقال القيت اليك العري

تعال الى التبيين، وعليك التعيين، فاسمع انا افتيك
بعد ان اعاديك، اما البكر فالدرة المخزونة، والبيضة
المكنونة، والباكورة الجنية، والسلافة الشهية، والروضة
الانف، والطوق الذي ثمن وشذر، لم يدنسها لامس،
ولا استغشاها لابس، ولا مارسها عابث، ولا وكسها
طامث، ولها الوجه الحيي، والطرف الخفي، واللسان
العيي، والقلب النقي، ثم هي الدمية الملاعبة،
واللعبة المداعبة، والغزالة المغازلة، والملحة الكاملة،
والوشاح الطاهر القشيب، والضجيع الذي يشب ولا
يشيب، واما الثيب فالمطية المذللة، واللهنة
المعجلة، والبغية المسهلة، والطبة المعللة، والقرينة
المتحببة، والخليلة المتقربة، والصناع المدبرة، والفطنة
المختبرة، ثم انها عجالة الراكب، وانشوطة الخاطب،

ونعرة العاجز، ونهزة المبارز، عريكتها لينة، وعقلتها
هينة، ودخلتها متبينة، وخدمتها مزينة، واقسم
لقد صدقت في النعتين، واجليت المعنيين، فايتهما هاما م
قلبك، وعلى ايتهما قام زنبك، قال ابو زيد فرايته جندلة
تتقيها المراجم، وتدمى منها المحاجم، الا اني قلت له كنت
سمعت ان البكر اشد حبا، واقل خبا، فقال لعمري لقد
قيل هذا، ولكن كم من قول اذى، ويحك اما هي المهرة
الابية العنان، والمطية البطيئة الاذعان، والزندة
المتعسرة الاقتداح، والقلعة المتصعبة الافتتاح،
ثم ان مؤونتها لكثيرة، ومعونتها يسيرة، وعشرتها
صلفة، ودالتها مكلفة، ويدها خرقاء، وفتنتها صماء،
وعريكتها خشناء، وليلتها ليلاء، وفي رياضها عناء،
وعلى خبرتها غشاء، وطالما اخزت المنازل، وفركت المغازل،
وربما

واخلقت الهازل، واضرعت الفنيق البازل، ثم انها الآن
تقول انا اليس واخلس، فاطلب من يطلق ويحبس
فقلت له ما ترى في الثيب يا ابا الطيب، فقال ويحك
اترغب في فضالة المآكل، وثمالة المناهل، واللباس
المبتذل، والوعاء المستعمل، والذواقة المتطرفة،
والخراجة المتصرفة، والوقاح المتسلطة، والمحتكرة
المتسخطة، ثم كلمتها كنت وصيفة وطالما بغي على قصر
وشتان ما بين اليوم والامس، واين القمر من الشمس، وهيهات صح
وان كانت الحنانة البروك، والطماحة الهلوك، فهي
الغل القمل، والجرح الذي لا يندمل، فقلت له فهل
ترى ان اترهب، واسلك هذا المذهب، فانتهرني انتهار
المؤدب، عند زلة المتأدب، ثم قال ويلك اتقتدي
بالرهبان، والحق قد استبان، اف لك ولوهن

رأيك، وتبا لك ولذوي ميلك، اتنكر ما سمعت بان
لا رهبانية في الاسلام، او ما خبرت ما نكح نبيك محمد
عليه السلام، ثم قال اما تعلم ان السكن الصالحة القرينة صح
تربت بيتك، وتلبي صوتك، وتغض طرفك، وتطيب
عرفك، وبها ترى قرة عينك، وريحانة انفك، وفرحة
قلبك، وخلد ذكرك، وتعلة يومك وغدك، فكيف
رغبت عن سنة المرسلين، ومتعة المتأهلين،
وشرعة المحصنين، ومجلبة المال والبنين، ولله
لقد ساءني فيك، ما سمعت من فيك، ثم اعرض اعراض
المغضب، ونزا نزوان العنطب، فقلت له قاتلك الله
اتنطلق متبحترا، وتدعي متجنيا، فقال اظنك تدعي
الحيرة، لتخلد عميرة، وتستغني عن المهيرة، فقلت
له قبح الله ظنك، ولا اشتد قرنك، ثم رحت عنه

مراح الخزيان، وتبت من مشاورة الصبيان، قال الحرث بن همام فقلت اقسم بمن انبت الايك، ان الجدل منك واليك، فاغرب في الضحك، وطرب له المتهتك، ثم قال الق العصا ولا تسل، فاخذت اسهب في مدح الادب، وافضل رتبه على ذوي النشب، وهو ينظر الي نظر المتجاهل، ويغضي عن اغضاء المتمهل، فلما افرطت في العصبية للعصابة الادبية، قال لي صه، واسمع مني وفقه:

يقولون ان جمال الفتى ... وزينته ادب راسخ
وما ان يزين سوى المكثرين ... ومن طود سودده شامخ
فاما الفقير فخير له ... من الادب القرص والكامخ
واي جمال له ان يقال ... اديب يعلم او ناسخ

ثم قال ستتضح لك صدق لهجتي، واستنارة حجتي،

المنهمك خ

اسرفت

العصبية خ

وسرنا لا نألو جهدا، ولا نستفيق جهدا، حتى اداناا السير الى قرية عزب عنها الخير، فرحلنا للارتياد، وكلانا منفض من الزاد، فما ان بلغنا المحط والمناخ المختط، اذ لقينا غلام لم يبلغ الحنث، وعلى عاتقه ضغث، فحياه ابو زيد تحية المسلم، وسأله وقفة المتفهم، فقال وعمّ تسأل وفقك الله، قال ايباع ههنا الرّ بالخطب، قال لا والله، قال ولا البلح بالملح، قال كلا والله، قال ولا الثمر بالسمر، قال هيهات والله، قال ولا العصيدة بالقصيدة، قال اسكت عافاك الله، قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق، قال اين يذهب بك ارشدك الله، قال ولا الثرايد بالفرايد، ولا الغز الجزل بالشعر الجزل، قال عدّ عن

ها

فلما خ

ما عمّ صح

طب

القصايد بالعصايد خ

عدّ عن هذا اصلحك الله

هذا التصحيف، واستحلى ابو زيد تراجع السؤال
والجواب، والتكايل من هذا اللباب، ولمح الغلام
ان الشوطبطي، والشيخ شوتيطين، فقال
له حسبك يا شيخ فقد عرفت فنك، واستبنت انك
نحل الجواد ضنبر، والنقر به خبير، اما بهذا المكان
فلا تشتري الشعر بشعيرة، ولا النثر بنثارة،
ولا القصص بقصاصة، ولا الرسالة بغسالة،
ولا حكم لقمان بلقمة، ولا اخبار الملاحم بلحمة، واما
جيل هذا الزمان، فما منهم من يميح، اذا اصيغ
له المديح، ولا من يجيز، اذا انظم له الاراجيز،
ولا من يغيث، اذا اطربه الحديث، ولا من يمير،
ولو انه امير، وعندهم ان مثل الاديب كالربع
الجديب، ان لم تجد الربع ديمة، لم يكن له قيمة،

ولا دانته بهيمة، ولكن الاديب ان لم يعضده نشب،
فقد نسبه نصب، وعز به حصب، ثم انشد يعدو،
وولّى يحدو، فقال لي ابو زيد، أعلمت ان الادب قد
بار، وولت انصاره الادبار، فبوت له بحسن البصيرة،
وسلمت له بحكم الضرورة، فقال دعنا الان من المصاع،
وخض في حديث القصاع، واعلم ان الاسجاع
لا تشبع من جاع، فما التدبير فيما يمسك الرمق ويطفي
الحرق، فقلت الامر اليك، والزمام بيديك، فقال
ارى ان ترهن سيفك، لتشبع جوفك وضيفك،
فناولنيه فافهم، لا تقلب اليك بما تلتقم، فاحسنت به
الظن، وقلدته السيف والرهن، فما لبث ان كر كالناقة،
ورفض الصدق والصداقة، فمكثت مليا اترقبه، ثم
نهضت اتعقبه، فكنت كمن ضيع الصيف، ولم الفه ولا السيف،

جم الرماد مرهف الشفار لم تحل في لبد ولا وبار
من بحر وار واقتداح وار
ثم تلقاني بمحيا حيي وصافحني براحة أريحي
واقتادني إلى بيت عشاره تخور واعشاره تفور
وولائده تمور وموائده تدور وبالسياره أضياف
قد جلبهم جالبي وقلبوا في قالبي وهم يجتنون
فاكهة السمار ويمرحون مرح ذوي الفنار فأخذ
مأخذهم في الاصطلاء وعدن بهم وجد الثمل بالطلاء
ولما أن سرى الخصر واشرى الحصر أتينا بموائد
كالهالات دورا والروضات نورا وقد شحن باطعمة
الولائم وجمعن من الطيبات واللذائذ من فصنا ما
قيل في البطنة ورأينا الإمعان فيها من الفطنة حتى
إذا أكلنا بصاع الحطم واشفينا على خطر التخم

المقامة الرابعة وتعرف بالشتوية

حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم
فاحمة اللمم إلى نار تضرم على علم وتنم عن كرم
وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها
مغموم وغيمها مركوم وأنا فيها أصرد من
عين الحرباء والعنز الجرباء فلم أزل أمص عنسي
وأقول طوبى لك ولنفسي إلى أن تبصر الموقد الحي
وتبين ارقالي فابتدر يعلو أكمه ويتسنم جرثومه
حيث من حاطب ليل سار هداه بل أهداه ضوء النار
إلى رحيب الباع رحب الذراع مرحب بالطارق المنتاب
ترعاب جعد الكف بالدينار ليس بمحجوب عن الزوار
ولا لمعتام القرى مختار إذا اقشعرت ترب الأقطار
وضنت الأنواء بالأمطار فهو على بؤس الزمان الضار

تجاوزنا مشتبكَ الغُمرِ ثمّ تبوّأنا مقاعدَ الشمسِ
واتخذ كلٌّ منّا يشول بلسانه وينشر ما في صوانه
ما عدا شيخًا مشتهبًا فَودُه مُخلَولقًا بُردُه فإنّه
ربض تجرةً وأوسعنا هُجرةً فغاظنا تجنّبه
الملتبسُ موجبُه المعجزُ ورفضُه مؤنّبُه إلّا أنّا ألَنّا
له القولَ وخشينا له في المسألة الغولَ وكلّما
رُمنا أن يفيضَ كما فضنا أو يُفيضَ كما أفضنا
أعرضَ إعراضَ العليّة عن الأرذلين وتلا إن
هذا إلّا أساطيرُ الأوّلين ثمّ كان الحجنةُ هاجنتَه
والنفسُ الحربيّةُ ناجيتَه فدلفَ وازدلفَ وخلعَ
الصلفَ وتبرّأ أن يبالي ما سلفَ ثمّ استرعى
سمعَ السامرِ واندفعَ كالسيلِ الهامرِ وقال
عندي أعاجيبُ أرويها بلا كذبٍ عن العيانِ فكنّوني أبا العجبِ

رأيتُ يا قومُ أقوامًا غذاؤهمُ بولُ العجوزِ وما أعني ابنةَ العنبِ
بولُ العجوزِ لبنُ البقرةِ والعجوزُ أيضًا من أسماءِ الخمرِ
ومستنّين من أعرافِ قومِهمُ أن يشتووا حرقةً تُغني من السغبِ
الحرقةُ القطعةُ من الجرادِ.
وكاتبين وما خطّت أناملُهم حرفًا ولا قرأوا ما خُطّ في الكتبِ
الكاتبون الخرّازون يقال كتب السقاءَ والمزادةَ إذا خرزهما
وناهبين عقابًا في مسيرِهمُ على تمكّنِهم في البرّ واللببِ
العقابُ الرايةُ وكانت رايةُ رسولِ الله عليه السلام تسمّى عقابًا
ومبتلين ذوي نبلٍ بُدرتُهم نبيلةٌ فانثنوا منها إلى الهربِ
النبيلةُ الجيفةُ ومنه نبّل البعيرُ إذا ماتَ وتزوّج
وعصبةٍ لم ترَ البيتَ العتيقَ وقد حجّت جُثيًّا بلا شكٍّ على الرُّكبِ
معنى حجّت جثيًّا غلبت بالحجّة مجادلين جاثين على الركب ومعنى حجّ جاثيًا
ونسوةٍ بينما أدخلن من حلبٍ أصبحن كاظمةً من غير ما تعبِ

الحلبُ والكاظمةُ ... بلاد البصرة

كاظمة في هذا الموضع كاظمة الغيظ

وبملحين سروا من ارض كاظمة ۞ واصبحوا حين لاح الصبح في حلب

اي اصبحوا يحلبون اللبن

وقادرين متى ما سار صنعهم ۞ اقصر وافيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ والقدير المطبوخ فيها في القدر

ويافع لم يلامس قط غانية ۞ شاهدته وله نسل من العقب

والنسل ههنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون والعقب موخر القدم

وشائب غير مخف للمشيب بدا ۞ في البدو وهو فتى السن لم يشب

الشائب ههنا مازج اللبن بالماء والمشيب الممزوج يقال فيه مشيب ومشوب

ومرضع بلبان لم يغذ فمه ۞ رايته في شجار بين السبب

الشجار المحفة ما لم تكن مظللة فان ظللت فهي الهودج

والسبب ههنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء

وزارع ذرة حتى اذا حصدت ۞ صادفت غبيرا يهواها اخو الطرب

١٩٦

الغبيراء السكر المتخذ من الذرة وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم وتسمى ايضا السكركة

وراكضا وهو مغلول على فرس ۞ قد غل ايضا وما ينفك عن خبب

المغلول ههنا العطشان وقد غل اي عطش

وذا يد طلق يقتاد راحلة ۞ مستعجلا وهو مأسور اخو كرب

المأسور الذي يجب الاسر وهو احتباس البول

وجالسا ماشيا تهوي مطيته ۞ به وما في الذي اوردت من ريب

الجالس الماشي نجد والماشي الذي كثرت ماشيته

وعليه فسر بعضهم قوله تعالى ان امشوا كانه دعا لهم بنماء الماشية

بالنماء وكثرة الماشية

وحائكا اجذم الكفين ذا خرس ۞ فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

الحائك ههنا الذي اذا مشى حرك منكبيه وفحج بين رجليه

وصادحا بالغنا من غير ان علقت ۞ كفاه يوما بزمج لهو ولم يتب

الغنا ارتفاع الانف وتحدب وسطه وصدوع به اي كشفه

وذا اشطاط كصدر الرمح قامته ... وسابقته بعني يشكو من الحدب

الحدب ما ارتفع من الارض

وساعيا في مسرات الانام يرى ... افراحهم ما اتاهم كالظلم والكذب

افراحهم اثقالهم بالدين ومنه قوله عليه السلام لا يترك في الاسلام مفرح اي الذي ركبته الديون

ومغرما بمناجات الرجال له ... وماله في حديث الخلو من ارب

الخلو منا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ... ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الاول العهد والذمام الثاني جمع ذمة وهي البير القليلة الماء

وعنى بالمذهب المسلك اي ماله في البدو اثار قليلة الماء

وذا قوى ما استبانت قط لينته ... ولينة مستبين غير محتجب

اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة الدقل اردأ التمر

وساجدا فوق نجد غير مكترث ... بما اتى بل يراه افضل القرب

النجد الحصير المتخذ من لحاء النخل

وعاذر اموما لمن طال بعذرته ... مع التلطف والمعذور في صخب

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترف ... والماء يجري عليها جري منسرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البلجة

وقرية دون فحص القطا شحنت ... بديلم عيشهم من خلسة السلب

القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير

السلب لحاء الشجر المعروف بالشر يعمل منها الحبال

وكوكبا يتوارى عند رؤيته ... الانسان حتى يرى في امنع الحجب

الكوكب النكتة البيضاء التي تحدث في العين وانسان ... انسان العين

وروثة قومت مالا له خطر ... ونفس صاحبها بالمال لم تطب

الروثة مقدم الانف

وصحفة من نضار خالص شربت ... بعد المكاس بقيراط من الذهب

النضار منا شجر النبع وقال بعض التابعين

لا باس بان يشرب في قدح النضار عنى به هذا

ومستجيشا خشخاش لبيرح ما ٭ أظله من أعاديه فلم يخب

الخشخاش الجماعة عليهم دروع وأسلحة

وطالما مر بي كلب وفي فمه ٭ ثور ولكنه ثور بلا ذنب

الثور القطعة من الأقط

وكم رأى ناظري فيلا على جمل ٭ وقد تورك فوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفائل الرأي

ودائبة مقلتي عيناهما وهما ٭ تجري من الغرب والعينان في حلب

العينان هنا المقلتان والغرب مجرى الدمع

وكم لعبت بعرض البيد مشتكيا ٭ وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة والعرض الوسط

وكنت أبصر كرازا لراعيه ٭ بالدو يحفظ من عينيه كالشهب

الكراز الكبش الذي يحمل عليه الراعي أداته

وكم نزلت بأرض لا نخيل بها ٭ ونعم يوم رأيت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب

وكم رأيت قطا بالفلا طبقا ٭ يطير في الجو منصبا إلى صبب

الطبق القطعة من الجراد

وكم مشايخ في الدنيا رأيتهم ٭ مخلدين ومن ينجو من العطب

المخلد الذي أبطأ شيبه

وكم يدالي وحشي يشكي سغبا ٭ بمنطق ذلق أمضى من القضب

الوحش الرجل الجائع

وكم دعاني مستنج فجادني ٭ وما أجاز ولا أخللت بالأدب

المستنجي الجالس على النجوة وهي المكان المرتفع الذي نظرته تجاوز

وكم أخذت قلوصي تحت جنبذة ٭ تظل ما شئت من عرس ومن عرب

الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهي المرأة المتحببة إلى زوجها ومنه قوله عربا أترابا

وكم نظرت إلى من سره ساعته ٭ ودمعه مستهل القطر كالسحب

سره قطع سرره وسرته ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة

ولكم رأيتُ قميصاً خُصَّ صاحبُه ، حتى انثنى واهيَ الأعضاء والعصبِ

القميص الدابّة التي القمّاص

ولكم إزارٍ لوَ انّ الدهر أتلفه ، لجفَّ لبدٌ خبيثُ السّير مضطربِ

إزار المرأة ومنه قول الداعي فدىً لكم من أخي ثقةٍ إزاري

هذا ولكم من فأنبئ معجبةٍ عنبري ، ومن مُلَحٍ تُلهي ومن نُخَبِ

فإن فطِنتم للحن القول بان لكم ، صدقي ودلّكم طلحي على رُطَبِ

وإن شدَهتم فإنّ العار عمّكمُ ، من بحتر بين العود والخشبِ

قال الحارث بن همّام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه

وتأويل معاريضه ، وهو يلهو بنا لهوَ الخليّ بالشجيّ

ويقول ليس بعُشّك فادرُجي ، إلى أن تعيّنا النتاج واستحكم

الارتتاج ، فألقينا إليه المقادة ، وخطبنا منه الإفادة

فوقفنا بين الطمع واليأس ، وقال الإياس من إيناس

فعلمنا أنه ممّن يرغب في السَّلَم ، ويرتشي في الحُكم ، وساءنا

إباءُ مولانا أن يُعرِّض للغُرم ، أو يُجنِّب بالرَّغم ، فأحضر

ناقةً عيديّة ، وحُلّةً سعيديّة ، وقال له خذ ممّا جلا لك

ولا تبرز الضّنّا ذنباً لك ، فقال أشهد أنّها شِنشِنة

أخزميّة ، وأريحيّة حاتميّة ، ثمّ قابلنا بوجهٍ بِشرُه يشِفّ

ونضرتُه ترِفّ ، وقال يا قوم إنّ الليل قد اخلولق ، والنعاس

قد استحوذ ، فافزعوا إلى المراقد ، واغتنموا راحة الراقد

لتستعيدوا نشاطاً ، وتبعثوا نشاطاً ، فقفوا ما أفتي وتستحصل

لكم المنعة ، فاستصوبوا كلّ ما رآه ، وتوسّد وسادة

كراه ، فلمّا وسِنت الأجفان ، واغتمض الضيفان ، وثب

إلى الناقة فرحلها ، ثمّ ارتحلها ورحلها ، وقال مخاطباً لها

شعر

يا ناقُ سيري وخِدي ، وادّلجي أوبي واسئدي

حتى تطا خفّاك مرعاها الندي ، فتنتحي حيثُ وتسعدي

وتأمني أن تتهمي وتنجدي ، إيهِ فدتك النفس واجهدي

وأقوى لأدم قد قد فقد قد ، واقنعي بالنشيج عند المورد

ولا تخطي دون إدراك المقصد ، فقد حلفت حلفة المجتهد

بحرمة البيت الرفيع العمد ، إنك إن أحللتني في بلد

حللت مني محل الولد

قال فعلمت أنه السروجي الذي إذا باع انباع ، وإذا ماراه الصباع انصاع ، ولما انبلج صباح اليوم ، وهبّ النوام من النوم ، أعلمتهم أن الشيخ حين أعشاهم السبات طلقهم البتات ، وركب الناقة وفات ، فأخذ منهم ما أقام وما أقعد ، ونسوا ما طاب منه بما خبث ، ثم انشعبنا في كل مشعب ، وذهبنا تحت كل كوكب ، قال القسم بن علي قد فسرت سر كل لغز نحته ، ولم أبعد على من يقرأه كشفه ، وقد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ، ربما التبس تفسيرها على بعض من تفرغ إليه

فأحببت أيضا إيضاحها له ليكفى حيرة المشيخة ، وكلفة الفكرة ، ووصمة البحث والمسألة ، وبالله تعالى الاستعانة والقوة

قوله عشوت إلى نار يعني تبينتها فقصدتها فإن لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له أي من يعرض ، قوله وكنت أضر من عين الحرباء والعنز الجرباء هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لأن الحرباء تدور أبدا مع الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومي ~~في قوله مشابهها~~ رقيب الحسناء بالحرباء في قوله

ما بالها قد حسنت ورقيبها ، أبدا قبيح قبح الرقباء

ما ذاك إلا أنها شمس الضحى ، أبدا يكون رقيبها الحرباء

والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم أن العنز الجرباء تصحيف المثل الأول وقوله نجر وابل

شيطانا مارجا

يعني الجمل المكتنز شحما الكثير مخا وقوله عشاره تخور
واعشاره تفور العشار النوق الحوامل وبرام اعشار البرمة
العظيمة كانها شعبت لعظمها ويقال برمة اعشار وجفنة
اكسار وثوب اسمال وبرد اخلاق وحبل ارمام ووصف
الجماعة منها كوصف الواحد وقوله فاكهة الشتاء كناية
عن النار ومنه قول بعض المحدثين النار فاكهة الشتاء فمن
يرد اكل الفواكه فليصطل ان الفواكه في الشتاء شهية والنار
للمقرور افضل ما كل وقوله موائد كالهالات يعني دارات
القمر ودارات الشمس تسمى اطفاوة وقوله مشوش الغمر
يعني المنديل يقال مش يده بالمنديل اي مسحها ومنه قول امرئ القيس
نمش باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب
وقوله متشابها في ذاته اي صار من الشيب في لون واحد اشهب
ومنه قول امرئ القيس ايضا مالك اكتنبا اماجيها شاب بعدي راس هذا واشهب

وقوله ربض حجرة يعني ناحية ويقال في المثل لمن يشارك في الرخاء
ويتجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة وقوله فاستمرئ
سمح الشام يعني الشمال لان الشام اسم للجميع كالحاضر اسم للحي
النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض اهل
اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السمار من السمر
وهو ظل القمر ماخوذ من السمرة فلما كان غالب احوال السمار
انهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه ولهذا يرجع
قولهم لا اكلمه القمر والسمر وقوله ليس بعشك فادرجي هذا
مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة فان
كان في حائط او كهف جبل فهو وكر وقوله لا ابساس قبل
الايناس هذا مثل ايضا ومعناه انه ينبغي ان يؤنس الانسان
ثم يكلف واصله ان حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبس
بها للحلب والابساس ان يقول لها بس بس لتسكن فتدر واذا كان

بس بس

الناقة التي تدر على الابساس سميت البسوس وقوله
برغب في الشكم الشكم ما اعطيته على سبيل المكافاة فان
اعطيته مبتديا فهو الشلو ومنه قول الراجز شكمي عبيد وكذاك شكمي
للخير والشر بقاء عندي كالارض مهما استودعت تودي
وقوله ساء ابا مثوانا يعني المضيف الذي اووا اليه وثووا
عنده وقوله ناقة عبيدية قيل انها منسوبة الى فحل نجيب اسمه
عبيد وقيل بل هي منسوبة الى فخذ من مهرة يقال لهم
بنو عبيد بن الامري على وزن العامري وكانت مهرة وعبيد
يتخذان نجايب الابل فنسبت اليهما وقوله حلة سعيدية
هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلعم
كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها اليه وقوله لا نرزا
اضيافنا زبالا اي لا نرزاهم شيا وان قل والزبال في
الزبال ما تحمله النملة بفيها وقوله شنشنة اخزمية

اشار به الى المثل الذي ضربه جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن
الحشرج بن اخزم الطائي حين نشا حاتم وتخيل اخلاق
جده اخزم في الجود فقال شنشنة اعرفها من اخزم
وتمثل عقيل بن علفة بهذا حين قال
ان بني ضرجوني بالدم من يلق اساد الرجال يكلم
شنشنة اعرفها من اخزم
ومن ادعى ان المثل له فقد سها فيه وقوله اجلوذ اي
انهزع في الذهاب ومثله اخروط وقوله وثب الى الناقة
ورحلها يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لانها
فاعلة بمعنى مفعولة كقوله في عيشة راضية اي
مرضية وكقوله سبحانه من ماء دافق اي مدفوق والراحلة
تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية
وراوية وقوله ارتحلها اي ركبها وفي الحديث ان النبي عليه السلم

سجد فركبه الحسين رضي الله عنه فابطأ في سجوده فلما
قضى صلوته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله وقوله
ورحّلها اي ازعجها واشخصها واخذ بها في الرحيل ومنه
الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن
ترحّل الناس وقوله فادلجي واوبي واسئدي الادلاج
ان تسير الليل كله والاسم منه الدَّلجة بفتح الدال
والادّلاج بالتشديد ان تسير من آخره والاسم منه
الدُّلجة بضم الدال وقيل ان الدلجة بفتح الدال وضمها
بمعنى واحد والتأويب سير النهار وحده والاسآد ان
تسير ليلا ونهارا والتنشّح ان تشرب دون الري وقوله
فاخذه منهم ما قدم وما حدث يقال ذلك لمن يستولي عليه
الهموم وتتوارد عليه صح
الهمّ والدال من حدث تضم في هذا الموضع وحده ليوافق
لفظ قدم وان افرد حدث عن قدم وجب فتح الدال

٢٠٢

من حدث ومثله قولهم هناني ومرأني الشيء صح بحذف الالف
من امرأني اذا ذكر مع هناني فان افردته وجب ان
تقول امرأني الشيء وقوله ذهبوا تحت كل كوكب ونحوه صح
هذا المثل يضرب لمن تختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم تتفرق

المقامة الخامسة والاربعون الرملية

يحكي الحرث بن همام قال كنت اغتذيت عن اولي التجارب
ان السفر مرآة الاعاجيب، فلم ازل اجوب
كل تنوفة، واقتحم كل مخوفة، حتى اجتليت كل
اطروفة، ثم اعجب ما لمحته، واغرب ما استملحته
اني حضرت قاضي الرملة، وكان من ارباب الدولة
والصولة، وقد ترافع اليه بال في بال، وذات جمال
واسمال، فهمّ الشيخ بالكلام، وتبيان المرام
فمنعته الفتاة من الافصاح، وحسأته عن النباح،

ثم نفضت عنها فضلة الوشاح، وانشدت بلسان السليطة الوقاح فقالت

يا قاضي الرملة يا ذا الذي ❊ في يده التمرة والجمرة
اليك اشكو جور بعلي الذي ❊ لم يحج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكه ❊ وخف ظهرا اذ رمى الجمرة
كان على راي بني يوسف ❊ في صلة الحجة بالعمرة
هذا على اني مذ ضمني ❊ اليه لم اعص له امرة
ثمره اما الفه حلوة ❊ ترضي واما فرقة مرة
من قبل ان اخلع ثوب الحيا ❊ في طاعة الشيخ ابي مرة

فقال له القاضي قد سمعت ما عزتك اليه، وتوعدتك عليه، فجانب ما عرك، وحاذر ان تغرك وتعرك، فجثا الشيخ على ثفناته، وفجر ينبوع نفثاته، وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ ❊ يوضح فيما رابها عذره

والله ما اعرضت عنها قلى ❊ ولا هوى قلبي قضى نذره
وانما الدهر عدا صرفه ❊ فابتزنا البدرة والبذرة
فمن لي فقر كما جيدها ❊ عطل من الخرزة والشذرة
وكنت من قبل ارى في الهوى ❊ ودينه راي بني عذرة
ثم نبا الدهر فهجرت الدمى ❊ هجران عف اخي حذرة
وملت عن حرثي لا رغبة ❊ عنه ولكن اتقي بذره
فلم تلم من هذه حاله ❊ واعطف عليه واحتمل هذره

قال الراوي فالتطت المراة من مقاله، وانتضت الحجج لجداله، وقالت له ويلك يا مرقعان، يا من هو لا طعام ولا طعان، اتضيق بالولد ذرعا، ولكل اكولة مرعى، لقد ضل فهمك، واخطا سهمك، وسفهت نفسك، وشقيت بك عرسك، فقال لها القاضي اما انك لو جادلت الخنساء، لانثنت عنك

خرساء، وأمّا هو فإن كان صدق في زعمه، ودعوى
عدمه، فلعله في مهمّ تنفقه، ممّا يشغل عن تزيّنه، فأطرقت
تنظر ازورارًا، ولا تُبين حوارًا، حتى قلنا قد
راجعها الخفر، أو حاق بها الظفر، فقال لها
الشيخ تعسًا لك أن زخرفت، أو كتمت ما عرفت،
فقالت ويحك وهل بعد المنافرة كتم، أو بقي لنا على
سرٍّ ختم، وما فينا إلا من صدق، وهتك صونه
إذ نطق، فليتنا لاقينا البكم، ولم نلق الحكم،
ثم التفعت بوشاحها، وتباكت لافتضاحها، وجعل
القاضي يعجب من خطبهما ويعجّب، ويلوم لهما الدهر
ويؤنّب، ثم أحضر من الورق ألفين، وقال
أرضيا بها الأخوين، وعاصيا التنازع بين
الإلفين، فشكراه على حسن السراح، وانطلقا

وهما كالماء والراح، وطفق القاضي بعد مسرحهما، وتنائي
شبحهما، يثني على أدبهما، ويقول هل من عارف بهما،
فقال له عين أعوانه، وخالصة خلصائه، أمّا الشيخ
فالسروجي المشهود بفضله، وأمّا المرأة فقعيدة
رحله، وإنّما تحاكمهما مكيدة من فعله، وأحبولة
من حبائل ختله، فاحفظ القاضي ما سمع، وتلهّب
كيف خُدع، ثم قال للواشي بهما، قم فردّهما، ثم
اقصص بهما وضنّ بهما، فنهض ينفض مذرويه، ثم
عاد يضرب أصدريه، فقال له القاضي أظهر
ما تبثّه، ولا تخف ما استخبثته، فقال ما زلت
أستقري الطرق، وأستفتح الغلق، إلى أن
أدركتهما مصحرين، وقد ذمّا مطيّ البين،
فرغّبتهما في العلل، وكفلت لهما بنيل الأمل،

استطبته وما

فانشب قلب الشيخ ان مياس وقال الفرار بقراب
أكيس وقال مى بل العود احمد والفروقة
تحمد فلما تبين الشيخ سفه رايها وغرر اختيارها
امسك حبل ذلها ثم انشا يقول لها

دونك نصحي فاقتفي سبله واغني عن التفصيل بالجملة
طيري متى نفرت من خلة وطلقيها ابنة بتلة
وحاذري العود اليها ولو سباها ناطور بعل الابلة
فخير ما للصب ان لا يرى بشقة فيها له عملة

ثم قال لي عذبت فيما وليته فارجع من حيث جئت
وقل لمن سالك ان شئت

رويدك لا تعتب جهلت بالاذى فقصي وشمل المال ويحك منصدع
ولا تغضبن من ترئيد سائل فما هو صوع اللسان بمنتزع
وان تك قد تابتك منه خديعة فقبلك شيخ الاشعريين قد خدع

فقال له القاضي قاتله الله فما املح شنشنته واحسن فنونه
ثم انه احتجب بأثناء بردين وحسرة من العين فقال
له بعض من لا يرى الالتفات الى ان ترى الشيخ
والفتاة قبل بينهما بحذف الحباء ويبين لهما الخداع
للادباء قال الراوي فلم ار في الاغتراب كهذا
العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب

المقامة السادسة والاربعون الحلبية

حدث الحارث بن همام قال نزع بي الى حلب
شوق غلب وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ
خفيف الحاذ حثيث النفاذ فاخذت اهبة السير
وخففت نحوها خفوف الطير ولم ازل مذ حللتها ربوعها
وارتبعت ربيعها افاني الايام فيما يشفي الغرام
ويروي الاوام الى ان اقصر القلب عن ولوعه وطار

غُرابُ البين بجدّ توقّعه، فأغراني البالُ الخِلْوُ والمرح

الخلو بأن أقصد لاصطياف بقعتها، وأسبر رقاعة

أهل رقعتها، فأسرعت إليها إسراع النجم، إذا انقضّ

للرجم، فحين خيّمت برسومها، ووجدت روح نسيمها

لمح طرفي شيخًا قد أقبل مريرة، وأدبر غريرة، وعنده

عشرة صبيان، صنوان وغير صنوان، فابتدرته بقدم

الحرص لأختبر به أدباء حمص، فمشى جيش

وأقبلته، وحيّا بأحسن تحيّته، فجلست إليه

لأبلو جنطقه، وأستبه كنه حمقه، فما لبث أن

أشار بعصيّته، إلى أكبر صبيته، وقال له

أنشد الأبيات العواطل، واحذر أن تماطل، فجثا

جثوّ ليث، وأنشد من غير ريث

أعدد لحسّادك حدّ السلاح، وأورد الآمل ورد السماح

وصارم اللهو ووصل المها، وأعمل الكوم وسمر الرماح

واسع لإدراك محلّ سما، عماده لا لادّراع المراح

والله ما السودد حسو الطلا، ولا مراد الحمد رود رداح

واهًا لحرّ صدره واسع، وسمحه ما سرّ أهل الصلاح

مورده حلو لسؤّاله، وماله ما سألوه مطاح

ما أسمع الآمل ردًّا ولا، ماطله والمطل لؤم صراح

ولا أطاع اللهو لمّا دعا، ولا كسا راحًا له كأس راح

سودده إصلاحه سرّه، وردعه أهواءه والطماح

وحصّل المدح له علمه، ما مهر العور مهور الصحاح

فقال له أحسنت يا بُرَين، يا رأس الزُّبَين، ثم قال

لتلوه المشتبه بصنوه، أُدْنُ يا نُوَيرة، يا قمر الدُّوَيرة

فدنا ولم يتباطا، وتخطّى منه مقعد المعاطا، فقال له

أمْلِ الأبيات العرائس، وإن لم تكن نفائس، فبرك

القلم وقط، ثم اختصر اللوح وخط:

فتنتني فجننتني تجني ... بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض ... غنج يقتضي تغيض جفني

غشيتني بزين تثنت فشفتني ... بزي يشف بي بتثني

فتظنيت تجتبيني فتجني ... بنفث يشفي تخيب ظني

ثبتت في غش حب بتزيي ... خبثت بتجني تشفي ضغن

فنزت في تجني فتنتني ... بتنشج يشجي بغير فقن

فلما نظر الشيخ إلى ما حبره، وتصفح ما زبره، قال له: بورك فيك من طلا، كما بورك في لا ولا. ثم هتف: اقرب يا قطرب. فاقترب منه فتى كأنه نجم دجية، أو تمثال دمية. فقال له: ارقم الأبيات الأخياف، وتجنب الخلاف. فأخذ القلم ورقم، معجم وغير معجم:

اسمح فبث السماح زين ... ولا تخب آملا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال ... فنن أم في السؤال خفف

واحلم فجفن الكرام تغضي ... وصدرهم في العطار تقفقف

ولا تظن الدهور تبقي ... مال ضنين ولو تقشف

ولا تخن عهد ذي وداد ... ثبت ولا تبغ ما تن تيف

فقال له: شلت يداك، ولا كلت مداك. ثم نادى: يا غشمشم، يا عطر منشم. فلباه غلام كدرة غواص، أو جوذر قناص. فقال له: اكتب الأبيات المتائم، ولا تكن من المشائيم. فتناول القلم المثقف، وكتب من غير أن يتوقف:

ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد ... وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف ... ناعس تاعس بحد يحد

قدرها قدرها وتاهت وباهت ... واعتدت واغتدت بخد يخد

فارقتني فأرقتني وشطت ... وسطت ثم نم وجد وجد

فبرز فتى قد نبت وحبت ، مغضبا مغضبا يود تود ،
فطفق الشيخ يتأمل ما سطره ، ويقلب فيه نظره
فلما استحسن خطه ، واستصح ضبطه ، قال له لا شل
عشرك ، ولا استخبث نشرك ، ثم أهاب بفتى فاران
يسفر عن أزهار بستان ، فقال له أنشد البيتين
المطرفين ، المشتبهي الطرفين ، اللذين أسكتا
كل نافث ، وأمنا أن يعززا بثالث ، فقال له اسمع
لا وقر سمعك ، ولا هرم معك ، وأنشد من غير تلبث
ولا تريث ،

سم سمة تحسن آثارها ، واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لا تأته ، لتقتني السودد والمكرمه

فقال له أجدت يا زغلول ، يا أبا الغلول ، ثم نادى
أوضح يا ياسين ، ما يشكل من ذوات السين ، فقصر

ولم يتأن ، وأنشد بصوت أغن :

نقس الدواة وسبخ الكلم مثبتة ، سيناهما إن همَا خطا وإن درسا
ومكنس الشين في تسبيب وباسقة ، والسبخ والبخس والقسبر وافترسا
وفي تقبست بالليل الكلام وفي ، مستبطن وتمسحر واتخذ جرسا
وفي فريس وبرد قارس فمن استصوا منى ولن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغيش ، يا صناجة الجيش ، ثم قال ثب
يا عنبسة ، وبين الضادات الملتبسة ، فوثب وثبة
نبل مثاب ، ثم أنشد من غير عتاب :

بالضاد يكتب قد قبضت دراهما ، يا آملي وارضخ لتسمح الخبره
وبصقت أنضو والقماح وضجعة ، والقض وهو الصدر واقبض بردشه
وبضضت مقلتة دهري فرضه ، وقد اعترض منه الفريضة للنحور
وقضت منشأ الحسن وقد دنا ، فضح النصارى وهو عيد منتظر
وقرضته والخمر قارصة إذا ، تحذف اللسان وكل هذا مستقطا

إذا قهر القسب القهر

فقال له رعيا لك يا بني، فلقد اقررت عيني، ثم استحضر ذا جثة كالبندق، ونغشة كالسوذق، وامره ان يقف بالمرصاد، ويسرد ما اجري على السين والصاد، فنهض يسحب برديه، ثم انشد مشيرا بيديه،

ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه • وان تشا فهو بالصادات يكتتب
مغص وقفيص ومسطار ومملس • وسالغ وصراط الحق والسقب

المغص الوجع المعترض في الجوف ومسكن الغني، والقفيص قفيص البيضة، والمسطار الخمرة المزة ويقال لها المسطارة ايضا، والمملس الذي يسقط من يدك ولا تشعر به، والسالغ اخر اسنان ذوات الظلف، والسقب القرب،

والسامغان وسقر والسويق ومسلاق • وعن كل هذا نفصح اكثر الكتب

السامغان جانبا الفم، والمسلاق الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد، فقال له احسنت يا حبقة يا عنز

بقة، لقول العرب لمن تصغر اليه نفسه حبقة معجمة بواحدة من فوق وغير معجمة، ثم نادى يا زغفل، يا ابا زنفل، الزنفل الداهية العظيمة، وهو ايضا شبه المنقل، فلباه فتى اخشن من بيضة في روضة، فقال له ما عقد مبحث الافعال التي آخرها حرف اعتلال، فقال له اسمع لا صم صداك، ولا سمعت عداك،

كناية عن الموت

مشبه المنقل

ثم انشد وما استرشد،

اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه • فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان تر قبل التاء ياء فكتبه • بياء والا فهو يكتب بالالف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي • تعداه والمهموز في ذاك يختلف

يكتب

بالياء والا فاكتبه بالالف

في

فطرب الشيخ لما اداه، ثم عوذه وفداه، ثم قال هلم يا قعقاع، يا نابغة البقاع، فاقبل فتى احسن من باب القرى في عين ابن البشرى، فقال له اصدع بتمييز

شعر

الظاء من الضاد لتصبح أكباد الأضداد فاهتز

لقوله واهتش وانشد بصوت أجش

أيها السائلي عن الظاء والضاد لكي لا تضله الألفاظ

إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ

هي ظمياء والمظالم والإظلام والظلم والظبي واللحاظ

والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ

والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ

والحظى والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والأيقاظ

والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ

والأظافير والمظفر والمحظور والحافظون والإحفاظ

والحظيرات والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ

والوظيفات والمواظب والكظة والانتظار والإلظاظ

ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والإغلاظ

أصل حنك — المبالغة في المدح — الباقي العنبين — التغزل — الإغضاب — التخمة — الإلزام والإلحاح — مستدق الساق — ما الكرش — من الغلظ

ونظيف والظرف والظلف الظاهر ثم الفظيع والوعاظ

وعكاظ والظعن والمظ والحنظل والقارظان والأوشاظ

المظ رمان البر والقارظ جاني القرظ وهو النبات

المدبوغ به والأوشاظ الأخلاط والجماعات

وظراب الظران والشظف الباهظ والجعظري والجواظ

الظراب الربا الصغار واحدتها ظرب والظران

الحجارة المحددة واحدتها ظررة والجعظري

المنتفخ بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل

الأكول المختال والشظف سوء العيش

والظرابين والحناظب والعنظب ثم الظيان والأرعاظ

الظرابين جمع ظربان وهي دابة لا يطاق فسوها

ويجمع أيضا على ظرابي وعلى ظربى وهو جمع شاذ

بحذف النون والحناظب ذكور الخنافس والعنظب ذكر

جمع واعظ — والظعن — بالتركية ابت توكلاكي — نبات يدبغ به — البوس — الثقل — [illegible]

والشناظي والدلظ والظاب والطبظاب والعنظوان والجنعاظ
الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظاب الصخب
وقد تبدل الباء منه ميما وقيل ان الظاب والظام
اسمان لسلف الرجل والعنظوان نبت والطبظاب
الداء يقال ما به طبظاب كما يقال ما به قلبة والجنعاظ
الاحمق وقيل المتسخط عند الطعام انتهى
والشناظير والتعاظل والعظالم والبظر بعد والانعاظ
الشناظير جمع شنظير وهي السيئ الخلق والتعاظل
تلازم الجراد والكلاب عند السفاد والعظلم الخطمي
اي الجماع
هي هذي سوى النوادر فاحفظها لتقفو آثار الحفاظ
واقض فيما صرفت منها كما تقضيه في اصله كقيظ وقاظ
فقال الشيخ احسنت لا فض فوك ولا بر من يجفوك
فوالله انك مع الفتى الغض لاحفظ من الازهر واجمع من

والانعاظ انتشار الذكر والبظر هنة متدلية في فرج المرأة

يوم العرض ولقد اوردتكم زلالي وثقفتكم
تثقيف العوالي فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا
تكفرون قال الحارث بن همام فعجبت مما ابداه من براعة
معجزاته برقاعته وما اظهره من جذالة مع وخامة حماقته
ولم يزل بصري يصعد فيه ويصوب وينقب عنه وينقب
وهو كمن ينظر في الظلماء او يسري في يهماء فلما استشعر
تعجبي واستبان تحيري حملق الي وتبسم وقال لم
يبق من يتوسم فبهت لفحوى كلامه ووجدته ابا
زيد عند ابتسامه واخذت الومه على تدرعه بجلباب النوكى
وتخبطه في جدول الحمقى وكان وجهه اشرب رمادا
او اشرب سوادا الا انه انشد وما تمادى
تحببت بحمق وهذه الصناعة لا ارزق حظوة اهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر غير الرقيع ولا يوطر الماء الا بقاعه

لي
داود خير
طرقي
ظلماء

ولا لأني أكلّف من دهره سوى ما لعجز يبسط باعه

ثم قال أما إن التعليم اشرف صناعة وأربح بضاعة

وأنجح شفاعة وأفضل براعة وربّه ذو إمرة مطاعة

وهيبة مشاعة ورعية مطواعة يتسيطر تسيطر أمير

ويرتب ترتيب وزير ويتحكم تحكم قدير ويتشبه

بذي ملك كبير لولا أنه في أمر يسير ويتسم بحمق

شهير ويتقلب بعقل صغير ولا ينبّئك مثل خبير

فقلت له تالله إنك لابن الأيام وعلم الأعلام وإ

لست حجر اللاعب بالأفهام والمذلل له سبل الكلام

ثم لم أزل معتكفا بناديه ومغترفا من سيل واديه

إلى أن غابت الأيام الغرّ ونابت الأحداث الغبر

ففارقته ولعيني لعين

والكمال براعة

وصاحبه

تحرّج

الى السند

المقامة السابعة والاربعون الحجرية

حكى الحارث بن همام قال احتجت إلى الحجامة وأنا

بحجر اليمامة فأرشدت إلى شيخ يحجم بلطافة ويسفر

عن نظافة فبعثت غلامي لإحضاره وأرصدت

نفسي لانتظاره فأبطأ بعد ما انطلق حتى خلته

قد أبق أو ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق

مسعاه الكالّ على مولاه فقلت له أبطأ فتيل

وصلود زنده فزعم أن الشيخ أشغل من ذات

النحيين وفي حجر جرب حنين فعمدت المشي

إلى حجامه وحرت بين إقدام وإحجام ثم رأيت

أن لا تعنيف على ما يأتي الكنيف فلما شهدت

موسمه وشاهدت ميسمه رأيت شيخا مشياته ظريفة

وحركته خفيفة وعليه من النظارة أطواق ومن

الزحام طباق وبين يديه فتى كالصمصامة مستعد

للحجامة

ونكرته

والشيخ يقول له أبالك قد أبرزت رأسك قبل أن تبرز
قرطاسك ووليتني قذالك ولم تقل في ذلك
ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا يطلب أثرا بعد عين
فان كنت رضيت بالعين جمعت في الأخذ عين
وان كنت ترى الشح أولى وخزن الفلس في الكيس
أخلى فاقر أعين وتولّى وأغرب عني والا...
فقال والذي صوّغ المين كما جرّم صيد الحرمين إني
لأفلس من ابن يومين فتبّ بسبيل تلعبني وأنظرني
الى سعتي فقال الشيخ ويحك إن مثل الوعود
كغرس العود متوقّف أن يدركه العطب أو يدرك منه
الرطب فما يدريني أتحصل من عودك على جنى أم
أحصل منه على ضنى ثم ما الثقة بأنك حين تبعد
تستفي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية

هذا الجيل فأرحني بالله من التعذيب وارحل الى
حيث يهوي الذيب فاستوى الغلام اليه وقد
استولى الخجل عليه وقال والله ما تخييس بالوعد
غير الخسيس الوغد ولا يردّ عدة العذر الا الوضيع
القدر ولو عرفت من أنا لما أسمعتني الخنا لكنك
جهلت فقلت وحيث وجب أن تسجد بلّت وكالقبح
الغربة والإقلال وأحسن قول من قال شعر

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن … فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما يشين الحر موجعة … فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما أصلي الياقوت جمر غضا … ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة أبيك وعولة أهليك أأنت
في موضع تخريطهن وحبس ستهن أم موقف
جلد يكشط وقفا ينشط وهبك كما ادّعيت وسلم

وأعزب / جرّم صح

ما قلت صح

وذهب اذكار البنة كما ادعيت صح

[illegible]

ان لك البيت أتحصل بذلك جمّ قرالك لا ولله
ولو أنّ بك إباء على عبد مناف او مالك دان
له عبد المدان فلا تطلب ما لست له بواجد ولا تضرب
في حديد بارد وباه إذا باهيت بموجودك لا بجدودك
وبمحصولك لا بأصولك وبصفاتك لا برفاتك
وبأعلاقك لا بأعراقك ولا تطع الطمع فيذلك
ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه

بنيّ استقم فالعود تنمي عروقه قويماً ويغشاه إذا ما التوى نوى
ولا تطع الحرص المذلّ وكن فتىً إذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلّق إلى النجم لمّا أن أطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح أن يرى على من إلى الحرّ اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لم يخن إذ نبا زمان ومن يرعى إذا ما النوى نوى
وإن تقدر فاصفح فلا خير في امرئ إذا اعتلقت أظفاره بالشوى شوى
يصفح

ومن ح

وإياك والشكوى فلم ير ذو نهى شكا بل أخو الجهل الذي ما اغوى غوى
فقال الغلام للنظارة بالأعجوبة والطرفة الغريبة
أنّه في السماء واسته في الماء ولفظ كالصهباء وفعل
كالحصباء ثم أقبل على الشيخ بلسان سليط وغيظ
مستشيط وقال أفّ لك من صوارع باللسان
ممتلئ
روائغ عن الإحسان تأمر بالبرّ وتحق عقوق
ميال
الدهر فإن يكن سبب محنتك نفاق صنعتك فرماها
الله بالكساد وإفساد الحسّاد حتى ترى أفرغ
من حجام ساباط وأضيق رزقاً من سم الخياط
فقال له الشيخ بل سلّط الله عليك بثر الفم وتبيغ
الدم حتى تلجأ إلى حجام عظيم الاشتطاط ثقيل
الاشتراط كليل المشراط كثير المخاط والضراط فلما
تبين الفتى أنه يشكو إلى غير مصمت ويزاول استفتاح
ادينابع

باب مصمت، اضرب عن رجع الكلام، واحتفز للقيام، (تهيأ)
وعلم الشيخ انه قد أفحم، بما اسمع الغلام، فجنح الى سلمه،
وبذل ان يأخذ بحلمه، ولا يبغي اجرا على حجمه، وابى الغلام
الا المشي بدائه، والهرب من لقائه، ودام الارتجاج
وسباب، ولزاز وجذاب، الى ان فضح الفتى من الشقاق،
وتلا ردنه سورة الانشقاق، فاعول حينئذ لوفارة
خسره، وانعطاط عرضه وطمره، واخذ الشيخ يعتذر
من فرطاته، ويغيض من عبراته، وهو لا يصغي الى
اعتذاره، ولا يقصر عن استعباره، الى ان قال له
فداك عمك، وعداك ما يغمك، اما تسأم الاعوال، اما
تعرف الاحتمال، اما سمعت بمن اقال، واخذ يقول من قال:

اخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه ... من نار غيظك واحلم ان جنا جاني

فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به ... والاخذ بالعفو احلى ما جنا جاني

صح واصفح

٢١٦

لاملس خلاف الاجرد

فقال له الغلام، اما انك لو ظهرت على عيني المتلدد، لعذرت
في دمعي المنهمر، ولكن هان على الاملس ما لاقى الدبر،
ثم كأنه نزع الى الاستبصار، فاقلع عن البكاء، وفاء
الى الارعواء، وقال للشيخ قد ضربت الى ما اشتهيت
فان قرح ما اوهيت، فقال هيهات، شغلت شعاني جداواي

جدواي

فشم بارق سواي، ثم انه نهض يستقري الصفوف
ويستجدي الوقوف، وينشد في ضمن ما يطوف:

اقسم بالبيت الحرام الذي ... تهوي اليه الزمر المحرمة

لو ان عندي قوت يوم لما ... مستشري المشارط والمحجمة

ولا ارتضت نفسي التي لم تزل ... تسمو الى المجد بهذي السمة

ولا اشتكى هذا الفتى غلظة ... مني ولا شاكته مني حمة

لكن صروف الدهر غادرنني ... كخابط في الليلة المظلمة

واضطرني الفقر الى موقف ... من دونه خوض اللظى المضطرمة

فهل فتى يتداركه برفقه ◦ أو تعطفه عليه من جمة

قال الحرث بن همام فكنت أول من آوى لبلواه ◦ ورق لشكواه ◦ فنفحته بدينارين ◦ فقلت له لا كانا ولو كان ذا مين ◦ فابتهج بباكورة جناه ◦ وتفاءل بها لنيل الغناه ◦ ولم تزل الدراهم تنهال عليه ◦ وتنثال لديه ◦ حتى آل ذا عيشة خضراء ◦ وحقيبة بجراء ◦ فازدهاه الفرح عند ذلك ◦ وهنأ نفسه هنالك ◦ وقال للغلام هذا ربيع أنت بذرته ◦ وحلب لك شطرته ◦ فهلم لنقتسم ◦ ولا نحتشم ◦ فتقاسما بينهما شق الابلمة ◦ ونهضا متفقي الكلمة ◦ ولما انتظم عقد الاصطلاح ◦ وهم الشيخ بالرواح ◦ قلت له قد تبوع ذمي ◦ ونقلت إليك قدمي ◦ فهل لك أن تحميني ◦ وتكلف ما دهمني ◦ فصوب طرفه في وصعد ◦ ثم ازدلف إلي ◦ وأنشد ◦

كيف رأيت خدعتي وختلي ◦ وما جرى بيني وبين سخلي

حتى انثنيت فابزا بالخصل ◦ اريحية باض الخصب بعد المحل

بالله يا مهجة قلبي قل لي ◦ هل أبصرت عيناك قط مثلي

يفتح بالرقية كل قفل ◦ ويستبي بالسحر كل عقل

ويعجز الجد بما الهزل ◦ إن يكن الاسكندري قبلي

فالطل قد يبدو أمام الوابل ◦ والفضل للوابل لا للطل

قال فتهضتني أرجوزته عليه ◦ وأرتني الله شيخنا المشار إليه ◦ فقرعته على الابتذال ◦ والالتحاق بالأرذال ◦ فأعرض عما سمع ◦ ولم يبال بما قرع ◦ وقال كل اجداء يجتدي الجاني الوقح ◦ ثم قاما في مقاصاة المهان ◦ وانطلق وابنه كفرسي رهان ◦ قال القاسم علي رحمه الله قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب وها أنا أفسر منها ما إخاله يلتبس على بعض المقتبس ◦ أما قوله

من يقتبس نسخة

ابطأ . فنيد وصلو ذنب فهو مولى عايشة بنت سعد بن ابي وقاص كانت
بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر فاقام بها سنة ثم جاءها
بعد السنة يشتد ومعه جمر فتبدد فقال تعست العجلة واما ذات النحيين
فهي امراة من تيم اللات بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلاها
خوات بن جبير الانصاري ليبتاع منها ففتح احدهما وذاقه ودفعه اليها
فامسكته باحدى يديها ثم فتح الاخر وذاقه ودفعه اليها فامسكته بيدها
الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين
وشحها على السمن فلما قام عنها قالت لا هناك فضرب بها المثل
فيمن شغل وهي في هذا الموضع مفعوله لانها شغلت واكثر الامثال التي
على افعل تاتي من فعل الفاعل واما قوله انوف في السماء واست في
الماء فيضرب هذا المثل لمن يكبر مقاله ويصغر فعاله واما قوله
افرغ من حجام ساباط فذكر انه كان حجاما ملازما ساباط المداين يحجم
الجندي بدانق نسية وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها احد

فكان يبرز امه عند تمادي عطلته فيحجمها لكي لا يعترع بالبطالة فما
زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت واما قوله يشكو الى غير مصمت فهو
مثل يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه ولا يعبا باستماع شكايته
لانه لو اشكاه لصمت وامسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جمله
انك لا تشكو الى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل او مت
واما قوله شغلت شعابي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل عني
ما اصرفه الى غيري والشعاب التوالج احدها شعب وقوله
كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع معناه ان المجهود يقنع بما يجد
والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها واما البعير الموقع
فهو الذي يكثر اثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون الحرامية

روى الحرث بن همام عن ابي زيد السروجي قال ما
زلت مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي

أحنّ إلى عيان البصرة، حنين المظلوم بالنصرة، لما أجمع
عليه من أرباب الدراية، وأصحاب الرواية، من خصائص
معالمها وعلمائها، ومآثر مشاهدها وشهدائها، وأسأل
الله تعالى أن يوطئني ثراها، لأفوز بمرآها، وأن
يمطيني قراها، لأقتري قراها، فلما أحلّنيها الحظ، وزحّ
لي فيها اللحظ، رأيت بها ما يملأ العين قرّة، ويسلّي
عن الأوطان كل ذي غربة، فغلّست في بعض الأيام
حين نصل خضاب الظلام، وهتف أبو المنذر بالنوّام
لأخطو في خططها، وأقضي الوطر من توسّطها، فأداني
الاختراق في مسالكها، والانصلات في سككها، إلى
محلّة موسومة بالاحترام، منسوبة إلى بني حرام، ذات
مساجد مشهودة، وحياض مورودة، ومبانٍ وثيقة
ومغانٍ أنيقة، وخصائص أثيرة، ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا ، وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ، ومفتون برنّات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ، ومطّلع إلى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقارٍ ، أضرّا بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها ، ونادٍ للندى حلو المجاني
ومغنى ما يزال يغنّ فيه ، أغاريد الغواني والأغاني
فصِل إن شئت فيها من يصلّي ، وإما شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها ، أو الكاسات منطلق العنان

قال فبينما أنا أنفض طرقها، وأستشفّ جوهرها، إذ
لمحت عند دلوك براح، وإظلال الرواح، مسجدًا
مشتهرًا بطرائقه، منزدهيًا بطوائفه، وقد أجرى
أهله ذكر حروف البدل، وجروا في حلبة الجدل
فعجت نحوهم، لأستمطر نوءهم، لا لأقتبس نحوهم

فلم يكن الا كقبسة العجلان، حتى ارتفعت الاصوات بالاذان،
ثم ردف التأذين بروز الامام، فأعمدت طي الكلام،
وحلت الحبى للقيام، وشغلنا بالقنوت عن استمداد
القوت، وبالسجود عن استنزال الجود، ولما قضي
الفرض، وكاد الجمع ينفض، انبرى من الجماعة،
كهل حلو البراعة، له من السمت الحسن، ذلاقة
اللسن، وفصاحة الحسن، وقال يا جيرتي الذين
اصطفيتهم على اغصان شجرتي، وجعلت خطتهم
دار هجرتي، واتخذتهم كرشي وعيبتي، واعددتهم
لمحضري وغيبتي، اما تعلمون ان لبوس الصدق
ابهى الملابس الفاخرة، وان فضوح الدنيا افضح
من فضوح الآخرة، وان الدين محاض النصيحة،
والارشاد عنوان العقيدة الصحيحة، وان المستشار

مؤتمن، والمسترشد بالنصح قمن، وان اخاك هو الذي
عذلك، لا الذي عذرك، وصديقك من صدقك، لا من
صدّقك، فقال له الحاضرون ايها الخل الودود، والحبر
المودود، ما سر كلامك الملغز، وما شرح خطابك الموجز،
وما الذي تبغيه منا لنبحث ولو اعجز، فوالذي حبانا
بمحبتك، وجعلنا من صفوة احبتك، ما نألوك نصحا، ولا
ندخر عنك نصحا، فقال جزيتم خيرا، ووقيتم ضيرا،
فانكم ممن لا يشقى بهم جليس، ولا يصدر عنهم تلبيس،
ولا تخيب فيهم مظنون، ولا يطوى دونهم مكنون، واني
سأبثكم ما حل في صدري، واستفتيكم فيما عيل له
صبري، اعلموا اني كنت عند صلود الزند، وصدود الجد،
اخلصت مع الله نية العقد، واعطيته صفقة العهد،
على ان لا اسايم مداما، ولا اعاقر ندامى، ولا اجتني

قهوة ولا التي نشوة فسولت لي النفس المضلة
والشهوة المذلة ان نادمت الابطال وعاطيت الارطال
واضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا
الكميت وتناسيت التوبة كالميت ثم لم اقنع بهاتيك
المرة في طاعة ابي مرة حتى عكفت على الخندريس
في يوم الخميس وبت صريع الصهباء في الليلة الغراء
وها انا بادي الكآبة لرفض الانابة نامي الندامة
لوصل المدامة شديد الاشفاق من نقض الميثاق معترف
بالاسراف في عب السلاف فيا قوم هل لكفارة تعرفونها
تباعد عن ذنبي وتدنيني الى ربي قال ابو زيد فلما
حل انشوطة نفثه وقضى الوطر من استكانة بثه ناجتني
نفسي يا ابا زيد هذه نهزة صيد فشمر عن ساعد وايد
فانتهضت من مجثمي انتهاض الشهم واخترطت من

حفصة

٢٢١

الصفة اخترط السهم وقلت

ايها الاروع الذي فاق مجدا وسوددا
والذي يبتغي الرشاد لينجو به غدا
ان عندي علاج ما بت منه مسهدا
فاستمعها عجيبة غادرتني ملددا
انا من ساكني سروج ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها ومطاعا مسودا
منزلي مألف الضيوف ومالي لهم سدى
اشتري الحمد بالنهى واقي العرض بالجدا
لا ابالي بمنفس طاح في البذل والندى
اوقد النار باليفاع اذا الليل اخمدا
ويراني المؤملون ملاذا ومقصدا
لم يشم بارقي صد فانثنى يشتكي الصدى

لولا رام قابس قدح زندي فاصلدا

طالما ساعد الزمان واصبحت مسعدا

فقضى الله ان يغير ما كان عودا

فثوى الروم ارضنا بعد ضغن تولدا

فاستباحوا حريم من صادفوه موحدا

وحووا كل ما استبد بحالي وما بدا

فانطلقت في البلاد طريدا مشردا

اجتدي الناس بعد ما كنت من قبل مجتدا

ولي بي خصاصة اتمنى لها الردى

والبلاء الذي به شمل انسي تبددا

استباء ابنتي التي اسروها القتلى

اي حم

فاستبن محنتي ومد نصرتي يدا

واجرني من الزمان فقد جار واعتدى واعني على فكاك ابنتي من يد العدى

فبه ينجي الملاك ثم عمن تمردا

وبه يقبل الانابة ممن تنصدا

وهو كفارة لمن زاغ من بعد ما اهتدى

ولئن كنت منشدا فلقد كنت مرشدا

فاقبل النصح والهداية واشكر لمن هدى

واسمح الآن بالذي يتيسر لتحمدا

قال ابو زيد فلما اتممت هذا مني وتوهم المسؤول صدق كلمي اغراه الكرم بمواساتي ورغبه الكلف بمكافاتي فرضخ لي على الحافرة ونضح لي بالعدة الوافرة فانقلبت الى وكري فرحا بنجح مكري قد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حوك القصيدة الى لوك العصيدة قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من انبعك فما اعظم

حلب عليّ فاستغربت في الضحك ثم انشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت في دهر كأسد بيشة
وادر قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشة
وصد النسور فان تعذر صيدها فاقنع بريشة
واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشة
وارح فؤادك ان نبا دهر من الفكر المطيشة
فتغاير الاحداث يؤذن باستحالة كل عيشة

ثم تباعدنا تباعد الامس من اليوم بعد ما تمضمضت عيناي بالنوم

المقامة التاسعة والاربعون الساسانية

حكى الحارث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة وابتزه قيد الهرم النهضة احضر ابنه بعد ما استجاش ذهنه وقال له يا بني انه قد دنا ارتحالي من

الفناء واكتحالي بمرود الفناء وانت بحمد الله ولي عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرق الحصا ولكن قد يذكر الذكار ويجعل صيقلا للافكار واني اوصيك بما لم يوص به شيث الانباط ولا يعقوب الاسباط فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحتذ مثالي واقتف امثالي فانك ان استمعت نصحي واستصبحت بصبحي امرع خانك وارتفع دخانك وان تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قل رماد اثافيك وزهد ظلك وبهظك فيك يا بني اني جربت حقائق الامور وبلوت تصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه والفحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت سمعت ان المعايش امارة وتجارة وزراعة وصناعة فمارست هذه الاربع لانظر ايها اوفق وانفع

طاب معاشك وطال انتعاشك

فما اجتنيت منها معيشة ولا استرغدت فيها عيشة، أمّا
فرص الولايات وخلس الامارات فكأضغاث الاحلام
والفيء المنتسخ بالظلام وناهيك غصّة بمرارة الفطام
وأمّا بضايع التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات
وما اشبهها بالطيور الطيارات وأمّا اتخاذ الضياع
والتصدّي للازدراع فمنهكة للاعراض وقيود عائقة
عن الارتكاض وقلّما خلا ربّها من اذلال او رزق روح
بال وأمّا حرف اولي الصناعات فغير فاضلة عن
الاقوات ولا نافقة في جميع الاوقات ومعظمها
معصوب بشبيبة الحياة ولم ار ما هو بارد المغنم لذيذ
المطعم وافي المكسب صافي المشرب الا الحرفة التي
وضع ساسان اساسها ونوّع اجناسها واضرم في
الخافقين نارها واوضح لبني غبراء منارها فشهدت

وقايعها معلّما واخترت سيماها لي ميسما اذ كانت المتجر
الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور والمصباح الذي يعشو
اليه الجمهور ويستصبح به العمي والعور وكان اهلها
اعزّ قبيل واكرم جيل لا يرهقهم من حيف ولا تعلقهم
شبا سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون لدان
ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون
بمن قام وقعد انديتهم منزّهة وقلوبهم مرفّهة
وطعمتهم معجّلة واوقاتهم غرّ محجّلة اينما سقطوا
لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون اوطانا ولا
يتّقون سلطانا ولا يمتازون عمّن يغدو خماصا ويروح بطانا
فقال له ابنه يا ابت لقد صدقت فيما نطقت ولكنك
رتقت وما فتقت فبيّن لي كيف اقتطف ومن اين تؤكل
الكتف فقال يا بنيّ ان الارتكاض بابها والنشاط جلبابها

والفطنة مصباحها، والقحة سلاحها، فلن اجول من
قطرب، واسرى من جندب، وانشط من ظبي مقمر،
وابسط من ذئب متنمر، وافرح من زنجي جد لجيل،
واقرع باب غيك بسعيك، وجب كل فج، وخض
كل لج، وانتجع كل روض، وارسل دلوك الى كل حوض،
ولا تسام الطلب، ولا تمل الدأب، فقد كان مكتوبا
على عصا شيخنا ساسان، من طلب جلب، ومن جال نال،
ومن طلب در الكلام، اجتلب در الكرام، واياك
والكسل، فانه عنوان النحوس، ولبوس ذوي البؤس،
ومفتاح المتربة، ولقاح المتعبة، وشيمة العجزة
الجهلة، وشنشنة الوكلة التكلة، وما اشتار العسل
من اختار الكسل، ولا ملأ الراحة، من استوطأ الراحة،
وعليك بالاقدام، ولو على الضرغام، فان جرأة الجنان

تنطق اللسان، وتطلق العنان، وبها تدرك الحظوة،
وتملك الثروة، كما ان الخور صنو الكسل، وسبب الفشل،
ومبطأة للعمل، ومخيبة للامل، ولهذا قيل في المثل
من جبن انكسر، ومن هاب خاب، ثم ابرز يا بني، في بكور
ابي زاجر، وجرأة ابي الحارث، وحماسة ابي قترة، وختل
ابي جعدة، وحرص ابي عقبة، ونشاط ابي وثاب،
ومكر ابي الحصين، وصبر ابي ايوب، وتلطف ابي غزوان،
وتلون ابي براقش، واخلب بصوغ اللسان، واخدع
بسحر البيان، وارتد السوق قبل الحلب، وامتر الضرع
قبل الحلب، وسائل الركبان قبل المنتجع، ودمث
لجنبك قبل المضطجع، واشحذ بصيرتك للعيافة، وانعم
نظرك في القيافة، فان من صدق توسمه، طال تبسمه،
ومن اخطات فراسته، ابطات فريسته، وكن يا بني

خفيف الاكل قليل الكل راغبا عن العل فانها من
الوكل بالطل وعظم وقع الحقير واشكر على النقير
ولا تفرط عند الورد ولا تستغرب رشح الصلد ولا
تياس من روح الله انه لاييأس من روح الله الا
القوم الكافرون واذا خيرت بين درة منزورة
ودرة موعودة فمل الى النقد وفضل اليوم على
الغد فان للتاخير آفات وللعزائم بدوات وللعدات
معقبات وبينها وبين النجح عقبات واي عقبات
وعليك بصبر اولي العزم ورفق ذوي الحزم وجانب
خرق المشتط وتخلق بالخلق السبط وقرن الازم
بالربط وشب البذل بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نبا بك
بلد او نابك فيه كمد فبت منه املك واسرح

٢٢٦

عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن الرحلة
ولا تكرهن النقلة فان اعلام شريعتنا واشياخ
عشيرتنا اجمعوا على ان الحركة بركة والتواني هلكة
والطراوة سفتجة وزروا على من زعم ان الغربة كربة
والنقلة مثلة وقالوا هي تعلة من قنع بالرذيلة
ورضي بالحشف وسوء الكيلة واذا ازمعت الاغتراب
واعددت له العصا والجراب فتخير الرفيق المسعد
من قبل ان تصعد فان الجار قبل الدار والرفيق
قبل الطريق

شعر

خذها اليك وصية لم يوصها قبلي احد
غراء حاوية خلاصات المعاني والزبد
نخلتها تنقيح من محض النصيحة واجتهد
فاعمل بما مثلته عمل اللبيب اخي الرشد
حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال يا بني قد وصيت واستقصيت، فإن اهتديت
فواهاً لك، وإن اعتديت فآهاً منك، والله خليفتي عليك
وأرجو أن لا يخلف ظني فيك، فقال له ابنه يا أبت لا قوض
عرشك ولا رفع نعشك، فلقد قلت سدداً، وعلمت
رشداً، ونحلت ما لم ينحل والد ولداً، ولئن أمهلت
بعدك، ولا ذقت فقدك، فلأتأدبن بآدابك الصالحة (فلأتقفين)
ولأقتدين بآثارك الواضحة، حتى يقال ما أشبه الليلة
بالبارحة، والغادية بالرائحة، فاهتز أبو زيد لجوابه
وابتسم وقال من أشبه أباه فما ظلم، قال الحارث
بن همام فأخبرت أن بني ساسان حين سمعوا هذه
الوصايا الحسان، فضلوها على وصايا لقمان، وحفظوها كما
تحفظ أم القرآن، حتى إنهم ليرونها إلى الآن أولى
ما لقنوه الصبيان، وأنفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون البصرية

حكى الحارث بن همام قال أشعرت في بعض الأيام هماً
برح بي استعاره، ولاح علي شعاره، وكنت سمعت
أن غشيان مجالس الذكر، يسرو غواشي الفكر، فلم أر
لإطفاء ما بي من الجمرة، إلا قصد الجامع بالبصرة
وكان إذ ذاك مأهول المساند، مشفوه الموارد
يجتنى من رياضه أزاهير الكلام، ويسمع في أرجائه
صرير الأقلام، فانطلقت إليه غير وان، ولا لاو على
شان، فلما وطئت حصاه، واستشرفت أقصاه، تراءى
لي ذو أطمار باليه، فوق صخرة عاليه، وقد عصبت به
عصب لا يحصى عديدهم، ولا ينادى وليدهم
فأممت قصده، وتوردت ورده، ورجوت أن أجد
شفائي عنده، ولم أزل أتنقل في المراكز، وأغضي اللكاز

الأواكن الى ان جلست تجاهه بحيث امنت اشتباهه
فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه
فتسرّى بمرآه همّي وانقشعت كتيبة غمّي وخبر رائي
وبصر بمكاني فقال يا اهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوّى
تقاكم فما اضوع ريّاكم وافضل مزاياكم بلدكم اوفى
البلاد طهرة وازكاها فطرة وافسحها رقعة وامرعها
نجعة واقومها قبلة واوسعها دجلة واكثرها نهرا
ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة دهليز البلد الحرام
وقبالة الباب والمقام واحد جناحي الدنيا والمصر
المؤسس على التقوى لم يتدنس بنيران النيران ولا
طيف فيه بالاوثان ولا سجد على اديمه لغير الرحمن
ذو المشاهد المشهودة والمساجد المقصودة والمعالم
المشهورة والمقابر المزورة والآثار المحمودة والخطط

المحدودة به يلتقي الفلك والركاب والحيتان والضباب
والحادي والملاح والقانص والفلاح والناشب
والرامح والسارح والسابح وله آية المد الفايض
والجزر الغايض واما انتم فممن لا يختلف في خصايصهم
اثنان ولا ينكرها ذو شنآن جمهوركم اطوع
رعية لسلطان واشكرهم لاحسان وزاهدكم اورع
الخليقة واحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم
عالم كل زمان والحجة في كل اوان ومنكم من استنبط
علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه
وما من فخر الا ولكم فيه اليد الطولى
والقدح المعلى وان شئتم فانتم احق به واولى
ثم انكم اكثر اهل مصر مؤذنين واحسنهم في النسك
قوانين وبكم اقتدي في التعريف وعرف التسحير

علامة

في الشعر الشريف ، ولكم اذا اقترت المضاجع وهجع
الهاجع ، تذكار يوقظ النائم ، ويونس القائم ، وما
ابتسم ثغر فجر ، ولا نبغ نور في بر ولا بحر
الا ولتأذينكم بالاسحار ، دوي كدوي النحل في البحار
وبهذا اعلمكم صادع النقل ، واخبر النبي عليه السلم من قبله
وبين ان دويكم بالاسحار ، كدوي النحل في الاشجار ، فبشرا
لكم ببشارة المصطفى ، واها لمصركم وان كان قد عفا
ولم يبق منه الا شفا ، ثم انه خزن لسانه ، وخطم بيانه
حتى خبخب بالانصار ، وفرق بالاقصار ، فتنفس
تنفس من قيد لقود ، او ضبثت به براثن اسد ، ثم
قال اما انتم يا اهل البصرة فما منكم الا العالم المعروف
ومن له المعرفة والمعروف ، واما انا فمن عرفني فانا
ذاك ، وشاني المعارف من ذاك ، ومن لم يثبت عرفني

فساصدقه صفتي ، انا الذي انجد واتهم ، وايمن واشام
واصحر وابحر ، وادلج واسحر ، نشات بسروج ، وربيت
على السروج ، ثم ولجت المضايق ، وفتحت المغالق
وشهدت المعارك ، ولنت العرائك ، واقتدت الشمس
وارغمت المعاطس ، واذبت الجوامد ، وامعت الجلامد
فسلوا عني المشارق والمغارب ، والمناسم والغوارب
والمحافل والجحافل ، والقبائل والقنابل ، واستوضحوا
من نقلة الاخبار ، ورواة الاسمار ، وحداة الركبان
وحذاق الكهان ، لتعلموا كم فج سلكت ، وحجاب هتكت
ومهلكة اقتحمت ، وملحمة الحمت ، وكم الباب خدعت
وبدع ابتدعت ، وفرص اختلست ، واسد افترست
ولكم مملوك غادرته لقى ، وكامن استخرجته بالرقى
وخبء سحبته حتى انصدع ، واستنبطت ذلك له بالخدع

ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب، والفود غربيب، وبرد
الشباب قشيب، فاما الآن وقد استشن الاديم، وتأود
القويم، واستنار الليل البهيم، فليس الا الندم ان
نفع، وترقيع الخرق الذي قد اتسع، وكنت رويت في
الآثار المسندة، والاخبار المعتمدة، ان لله من الله
تعالى في كل يوم نظرة، وان سلاح الناس كلهم
الحديد وسلاحكم الدعوة، فقصدتكم انضي الرواحل
واطوي المراحل، حتى قمت هذا المقام فيكم، ولا
منّ لي عليكم، اذ ما سعيت الا في مآربي، ولا تجشمت
الا لراحتي، ولست ابغي عطيتكم بل استدعي ادعيتكم
ولا اسالكم اموالكم، بل استنزل سؤالكم، فادعوا
الله تعالى بتوفيقي للمتاب، والاعداد للمآب، فانه
رفيع الدرجات، مجيب الدعوات، وهو الذي يقبل

التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ثم انشد
استغفر الله من ذنوب ... افرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلاً ... ورحت في الغي واغتديت
وكم اطعت الهوى اغتراراً ... واحتلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضاً ... الى المعاصي وما ونيت
وكم تناهيت في التخطي ... الى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا ... نسياً ولم اجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير ... من المساعي التي سعيت
يا رب عفواً فانت اهل ... للعفو عني وان عصيت
قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء، وهو يقلب
وجهه في السماء، الى ان دمعت اجفانه، وبدا رجفانه
فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابة، وانجابت غشاوة
الاسترابة، فجزيتم يا اهل البصرة، جزاء من هدي من الحيرة

في القمر

فلم يبق له من شب لمستوره، ورضخ له بميسوره، فقبل عفو
بر منهم، واقبل يغرق في شكرهم، ثم انحدر من الصنبرة، واطنب
يوم شاطئ البصرة، واعتقبته الى حيث تخالينا،
وامنا التجسس والتجسيس علينا، فقلت له لقد اغربت
في هذه النوبة، فما رايك في التوبة، فقال اقسم بعلام
الخفيات، وغفار الخطيئات، ان شاني لعجاب،
وان دعاء قومك لمجاب، فقلت زدني افصاحا،
زادك الله صلاحا، فقال وابيك لقد قمت فيهم مقام والله
المريب الخادع، ثم انقلبت منقلب المنيب الخاشع،
فطوبى لمن صفت قلوبهم اليه، وويل لمن باتوا يدعون
عليه، ثم ودعني وانطلق، واودعني القلق، فلم
ازل اعاني الفكر، واتشوق الى خبره ما ذكر، وكلما لاجله
استنشيت خبره من الركبان، وجوابة البلدان،

كنت كمن حاور عنقاء، او نادى صخرة صماء، الى ان
لقيت بعد تراخي الامد، وتراقي الكمد، ركبا قافلين
من سفر، فقلت هل من مغربة خبر، فقالوا ان
عندنا لخبرا اغرب من العنقاء، واعجب من نظر
الزرقاء، فسالتهم ايضاح ما قالوا، وان يكيلوا
لي بما اكتالوا، فحكوا انهم المّوا بسروج، بعد ما فارقها
العلوج، فراوا ابا زيدها المعروف، وقد لبس الصوف
وام الصفوف، وصار بها الزاهد الموصوف، فقلت
اتعنون ذا المقامات، فقالوا انه الان ذو الكرامات،
فحفزني اليه النزاع، ورايتها فرصة لا تضاع،
فارتحلت راحلة المعد، وسرت نحوه سير المجد، حتى
حللت بمسجده، وقرارة متعبده، فاذا هو قد نبذ صحبة
اصحابه، وانتصب في محرابه، وهو ذو عباءة مخلولة،

وشمله موصول، فهيبته مهابة من ولج على الأسود

وألفيته ممن سيماهم في وجوههم من أثر السجود

ولما فرغ من سبحته، حياني بمسبحته، من غير

أن نغم بحديث، ولا استخبر عن قديم ولا حديث،

ثم أقبل على أوراده، وتركني أعجب من اجتهاده، وأغبط

من يهدي الله من عباده، ولم يزل في قنوت وخشوع،

وسجود وركوع، وإخبات وخضوع، إلى أن أكمل

إقامة الخمس، وصار اليوم أمس، فحينئذ انكفأ

إلى بيته، وأشركني في قرصه وزيته، ثم نهض

إلى مصلاه، وتخلى بمناجاة مولاه، حتى إذا التمع

الفجر، وحق للمتهجد الأجر، عقب تهجده بالتسبيح

ثم اضطجع ضجعة المستريح، وجعل يرجع بصوت فصيح

خل ادكار الأربع، والمعهد المرتبع، والظاعن المودع، وعد عنه ودع

واندب زمانا سلفا، سودت فيه الصحفا، ولم تزل معتكفا، على القبيح الشنع

كم ليلة أودعتها، مآثما أبدعتها،

لشهوة أطعتها، في مرقد ومضجع

وكم خطى حثثتها، في خزية أحدثتها،

وتوبة نكثتها، لملعب ومرتع

وكم تجرأت على، رب السماوات العلى،

ولم تراقبه ولا، صدقت فيما تدعي

وكم غمطت بره، وكم أمنت مكره،

وكم نبذت أمره، نبذ الحذا المرقع

وكم ركضت في اللعب، وفهت عمدا بالكذب،

ولم تراع ما يجب، من عهده المتبع

فالبس شعار الندم، واسكب شآبيب الدم،

قبل زوال القدم، وقبل سوء المصرع

عنه انحراف المقلع

واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف واعص هواك وانحرف

الام تسهو وتني ومعظم العمر فني

فيما يضر المقتني ولست بالمرتدع

اما ترى الشيب وخط وخط في الراس خطط

ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص

وطاوعي واخلصي واستمعي النصح وعي

واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى

واخشي مفاجاة القضا وحاذري ان تخدعي

وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى

وان مثواك غدا في قعر لحد بلقع

اها له بيت البلى والمنزل القفر الخلا

ومورد السفر الالى واللاحق المتبع

بيت يرى من اودعه قد ضمه واستودعه بعد الفضاء والسعة قيد ثلث اذرع

لا فرق ان يحله داهية او ابله

او معسر او من له ملك كملك تبع

وبعده العرض الذي يحوي الحيي والبذي

والمبتدي والمحتذي ومن رعا ومن رعي

فيا مفاز المتقي وربح عبد قد وقي

سوء الحساب الموبق وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى ومن تعدى وطغى

وشب نيران الوغى لمطعم او مطمع

يا من عليه المتكل قد زاد ما بي من وجل

لما اجترحت من زلل في عمري المضيع

فاغفر لعبد مجترم وارحم بكاه المنسجم

فانت اولى من رحم وخير مدعو دعي

قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق
حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل ابكي عليه ثم برز الى
مسجده بوضوء تهجده فانطلقت ردفه وصليت مع من
صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر اخذ
يهينم بدرسه ويستكل يومه في امسه وفي
ضمن ذلك يبدي ارنان الرقوب ويبكي ولا بكاء يعقوب
حتى استبنت انه قد التحق بالافراد واشرب قلبه هوى
الانفراد فاخطرت بقلبي عزمة الارتحال وتخليته
بتلك الحال فكأنه تفرس ما نويت او كوشف بما اخفيت
فعزمت ان اعجل قيامي لكي لا يستثقل مقامي فزفر
زفير الاواه ثم قرا فاذا عزمت فتوكل على الله
فاستجلت عند ذلك بصدق المحدثين وايقنت ان في الامة
محدثين ثم دنوت اليه كما يدنو المصافح وقلت اوصني

ايها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا
فراق بيني وبينك فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي
وزفراتي يتصعدن من التراقي وكانت هذه خاتمة التلاقي
قال السعيد ابو محمد ابو القاسم علي رحمه الله هذا آخر المقامات
التي انشاتها بالاغتراب وامليتها بلسان الاضطرار وقد الجيت
الى ان ارصدتها للاستعراض وناديت عليها في سوق الاعراض
هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع ومما يستوجب ان
يباع ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي نظر
الشفيق لسترت عواري الذي لم يزل مستورا ولكن كان
ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها
من اباطيل اللغو واضاليل اللهو واسترشده الى ما
يعصم من السهو ويحظي بالعفو انه هو اهل التقوى
واهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والآخرة تمت

للاعتراض

نجز تحريراً حامداً لله ومحمّداً ومصلّياً على نبيّه النبيه محمّداً
على يدي العبد الضعيف الراجي رحمة ربه اللطيف النازح عن راحته والوطن
الممنو بجموع الحدثان والرمز الساكي عن يد الاواق في سنين مفارقة الوطن
المقر بعيوبه المعترف بذنوبه محمد بن ايوب بن يوسف بن حسن بن
نصير بن آق اغلي ثم الجندي كم القريمي رزقه الله الثبات في دار التحصيل
وصانه عن التورط في مهاوي التعطيل اصلح شانه وحرسه عما
شانه وبلغه الى اقصى مناه وانا له ما يتمناه في دينه ودنياه
وعفى معاصيه قبل ان ياخذ التمييز نواصيه بكرمه العميم ولطفه الجسيم
انه هو الغفور الرحيم فرغ من كلمات حسنة عن حجره في يوم
الاثنين السادس من رجب وقاه عن الوجب في التاريخ الهجري
والمنحران النبوي سنة سبع وتسعين وثمانمائة ٨٩٧
اللهم احسن اتمامه بها وامل فؤاده اليها يا ذا الجلال والاكرام

بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بالخير

الرسالتان السينية والشينية إنشاء الإمام أبي محمد القاسم بن
علي بن محمد بن عثمان الحريري رحمة الله عليه، كتب أحدهما
وهي الشينية إلى الشيخ الإمام شمس الشعراء طلحة بن
أحمد بن طلحة النعماني نور الله ضريحه، والثانية وهي السينية
على لسان ثم أمير أمين الملك أبي الحسن بن قطير المداركي
وكان يتولى ديوان الاستيفاء بالبصرة إلى الأمين الأجل
الحسام، وقد كان يدعى الإسفهسلار الأجل النفيس والقابه
تجي في الرسالة، وقد كان نزل على الحسام وشربا جميعا في
داره بالبصرة في المحلة الموسومة ببني حرام وهي محلة
الشيخ الحريري، وكان أمين الملك جاره وصديقه، ثم
سفر إلى القبيس فلم يدعه فكتب إليه على لسانه برسالة
نور الله مضجعه، وجعل دار السلام مرجعه، وقد التزم

فيها أن لا تخلى كلمة من السين

الرسالة السينية غير معجمة

باسم القدوس أستفتح، وبإسعاده أستنجح، سجية سيدنا
الإسفهسلار الرئيس، السيد النفيس، سيد الرؤساء،
سيف السلاطين، حرست نفسه، واستنارت شمسه،
وأنس إنسه، وبسق غرسه، استمالة الجليس، ومساهمة
الأنيس، ومساعدة الكسير والسليب، ومواساة النسيب
والنسيب، والسيادة تستدعي استدامة السنن،
وحراسة الرسم الحسن، وسمعت بالأمس تدارس الأنس
سلاسة خندريسه، وسلسال كؤوسه، ومحاسن مجلسه
المستتب، وإحسان مسمعه ستارته، فاستسلفت السراء،
وتوسمت الاستدعاء، وسوفت نفسي بالاجتباء، وآنستها
بمؤانسة الجلساء، وجلست أستقري السبل، وأستطلع الرسل،
وأستطرف تناسي اسمي، وأساور الوساوس لاستحالة رسمي
وأسامر

وسيف السلاطين مستأنس بأنس السماع وحسو الكؤوس
سلافة ولبس لباس السلو يناسب حسن سمات النفوس
وسن تناسي جلاسه واسوا السجايا تناسي الجليس
وسن حسو ذي بطش الرسوم وطمس الرسوم كرمس النفوس
واساءة حسرة واستعاض لقسوته سكرة الخندريس
وساقي الحسام بطاس السلاف واسمى يعبوس وبوس
سالسوة كسوة مستغنيا والبس سربال سال يؤوس
واسطر سيئاته سيرة تسير اساطيرها كالبسوس
وحسبنا السلام والسلام لرسول الاسلام

الرسالة الشينية معجمة وقد التزم فيها ان لا تخلو كلمة من الشين

بارشاد المنشي انشأ

شغفي بالشيخ شمس الشعراء ريش معاشه وقشر باشه
واشرق شهابه واعشوشب شعابه يشاكل شغف المنتشي

بالنشوة والمرتشي بالرشوة والشادن بشبح الشباب
والعطشان بشيم الشراب وشكري لتجشمه وشفقته
وشواهد شفقته يشابه شكر الناشد للمنشد والمسترشد
للمرشد والمستبشر للمبشر والمستجيش للجيش المشمر
وشعاري انشاد شعره واستجلاء المكاشر المكاشح بشره
وشغلي اشاعة وشايعه وتشييد شوافعه والاشادة
بشدوله وشنوفه والمشورة بتشفيعه وتشريفه واشهد
شهادة المشبع المكاشف والمقشر الكاشف لا تشاوره
برهش الشانيء والواشي وبلاشي شعر الكاشح والمشاهد
كاشتباه الشده ولمباشرته تباشير الرشد
ولمشاحنته تشجي المشاجر ومشاجرته تشغب المشاجر
ولمشاغبته تشظي الاشطان وتشيط الشياطين فشرفا
للشيخ شرفا وشغفا بتنشيه شغفا

فأشعاره مشهورة ومشاعره ۔ وعشرته مشكورة وعشائره

شأى الشعراء المشعلين شعوره ۔ فشانيه محشو الحشا ومشاعره

وشوّه بن قيس المرقش قبله ۔ فأشياعه يشكونه ومعاشره

وشاق الشباب الشمّ والشيب وشيه ۔ فمنشوره يشهى المشوق وناشره

شمائله معشوقة كشمول له ۔ فمشتبه مستبشر ومعاشره

شكور ومشكور وحشو مشاشه ۔ شهامة شمّير بطيش مشاجره

تشاغله مخشية وشنانه ۔ شآمية في جاش للشر شاهره

شفى بالأناشيد النشاوى وشوقهم ۔ فمشفقه مستشنع وشانيه شاكره

ولشجو فيهتز الشجي لشدوه ۔ ويشعفه إنشاده فيشاطره

تجشم عشايا فشرد وحشي ۔ ونشر مشتاه بنشر بشائره

مناشده يشعب تشرق شمسه ۔ وأشكل شكل الشيخ شايره

وأشهد شاهد الأشياء ومشبع الأحشاء ۔ ليشعل شواظ

أشتيا في شحطه وليشعث شمل نشاطي نشطه

فناشدت الشيخ ليشعر بأشياء شتى لشموعه وأحاشي

لتشييعه، وشايتي بنشيده الموشّى، وتشاكلي شخصه

بالإشراق والعشي، وحاشاه حاشاه بغشيه شبهه

ويغشاه، فليستنشق شذى شجوي لشطونه، وليرشي

لمشاركة شجونه، واشتغالي بغشية شؤونه، ليشتق

حاشي، ويشارف انكماشي، عاش منتعش الحشاشة، مستفز

البشاشة، مشحوذ الشفار، منتشر الشرار، شاماً

للأشرار، شجاً ذا بالأشعار، يشير بشيح، وتحوش، وينتقش

المنقوش، مشتبه الشدين الشطن، الشامخ العرش،

وتشبهه بشيئين البشر، وشفيع المحشر، تمّ